كتابي
عدد ممتاز
البوهيمية
وكتب أخرى
حلمي مراد
١٠
قروش

«ديانا» ، آلهة الصيد عن لوحة فى متحف اللوفر لرسام مجهول من القرن السادس عشر

« المرأة ذات اللؤلؤة » عن لوحة للرسام « كامى كورو »
(١٧٩٦ - ١٨٧٥)

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الخامس والعشرون (السنة الثالثة) : مارس ١٩٥٤
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة: اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول ، ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة
تليفون ٥٩٥٥٦ ، و ٦٥٦٠٨

عزيزي القارئ ..

◆ عند ما استفتيتك فى العدد الماضى استفتاء مفصلا عما تتمناه «لكتابك» فى مستهل عامه الجديد الثالث ، وسألتك ضمن الاستفتاء عن عدد الاعداد الممتازة التى تحب ان تصدر من كتابى كل عام .. كنت أتوقع كل شىء ، الا أن تفاجئنى باجماعك الساحق على أن تصدر « جميع » اعداد كتابى ممتازة ، على نسق الاعداد الممتازة الثلاثة التى اصدرتها لك فى غضون العام المنصرم ، والتى نالت من اقبالك وحازت من اعجابك حدا بات حديث الدوائر الصحفية فى مصر وشقيقاتها العربية جميعا منذ تاريخ صدورها ..

لكنك تعلم عن يقين ، وتلمس ولا بد فى كل مناسبة ، ان كتابى لا يتحرى غير رغباتك ، ولا يصدر الا لارضائك ، واشباع نهمك الى هذا اللون من الثقافة الرفيعة التى طالما افتقدتها فى غيره فلم تجدها .. ومن ثم كانت رغباتك وأمانيك هى لى بمثابة «الامر » الذى لا يقبل جدلا ولا نقاشا ، أو نكوصا . مهما كان ما تنطوى عليه هذه الرغبات من مطالب شاقا على ومرهقا لى .. **لذلك حزمت أمرى واعتزمت بعون الله أن أستجيب لطلبك فاصدر كتابى « ممتازا » على الدوام ، غير ضنين عليك فى سبيل ذلك بجهد أو اعباء .. وهكذا تجد العدد الذى بين يديك اليوم فاتحة لاعداد متوالية أرجو أن يكون كل منها أقوى من سابقه ، وأضعف من لاحقه !**

فقط استميحك عذرا اذا جاء اجماعك هذا مفاجئا لى ، بحيث لم يتسع لى الوقت كى اعد للامر عدته فى روية وأناة .. فهل أطمع منك فى أن تتغاضى عما قد يصادفك فى هذا العدد من هنات أو قصور عن تحقيق امانيك جميعها من المحاولة الاولى ؟.. هذا ما أرجوه وأطمع فيه ، وبفضل تعاوننا المشترك آمل أن تجىء أعداد كتابى القادمة محققة بالتدريج لاقصى آمالك وأمانيك ..

ولما كان هذا الاستعداد الضخم والابواب الجديدة التى « بدأت » احشدها لك ابتداء من هذا العدد - والتى سترى باذن الله المزيد المنوع منها فى الاعداد القادمة - سوف تبهظنى بنفقات لا قبل لى بها ، فضلا عن النفقات الاصلية للاعداد الممتازة فى ذاتها من حيث لوحاتها الفاخرة وطباعتها وغلافها وزيادة صفحاتها .. الخ - لذلك لم يكن بد من أن تساهم معى فى تحقيق برنامج كتابى الجديد بتحمل هذه الزيادة الطفيفة فى السعر من ٨ الى ١٠ قروش ابتداء من هذا العدد .. ولتثق سلفا ان كل قرش تدفعه فى كتابى سوف ينفق فى تحسينه ومضاعفة الجهد الذى يبذل فيه ..

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

كتابى

أعــداد نفدت

كتابى الاول : ((خطـايا الحب)) وكتب أخرى ، وكتابى الثانى : ((قلب عذراء)) وكتابى الثالث : ((الهاربة من الجنـة)) وكتابى الرابع : ((حـواء الجديدة)) وكتابى الخامس : ((أحدب نوتردام)) وكتابى السادس : « جريمة حب » .

اعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى السابع ((عشيقة نابليـون)) ، والثامن ((مـذكرات كيوبيد)) ، والتاسع ((صنم تحطم)) ، والعاشر ((حديقة الله)) ، والحادى عشر ((عندما تحقد المرأة)) ، والثانى عشر ((لعبة الحب والموت)) ، والثالث عشر ((توبة خاطئة)) ، والرابع عشر ((ايها الربيع ترفق)) ، والخامس عشر ((الشيطان على الارض)) ، والسادس عشر ((ليدى هاملتون)) ،والسابع عشر ((الارملة المرحة)) والثامن عشر ((حياة جورج صاند)) ، والتاسع عشر ((حياة سارة برنـار)) ، والعشرون ((رباعيات عمر الخيام)) ، والحادى والعشرون ،((حياة بيتهوفن)) ، والثانى والعشرون ((حياة موسولينى)) ، والثالث والعشرون ((كوخ العم توم)) والرابع والعشرون ((الزوج والعشيق)) .

◆ وتطلب من صاحب كتابى ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة (عمارة الجندول)، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ، و١٦ ، وثمن كل منهما بالبريد المسجل ١٢ قرشا ، والعدد العشرون وثمنه عشرون قرشا (تحديدا للطلبات نظرا لوشك نفاده وعدم امكان اعادة طبعه)

◆ ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER أو بشـيك على احد بنوك القاهرة ، ولا تقبـل العملة الاجنبيـة او أذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

الاشـتراكات

◆ ترسـل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسـودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة .. وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان . عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصـف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ) ترسل القيمة بشيك بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد فى كل بلد MONEY ORDER وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و٧٠ قرشا (عن نصف سنة) ـ أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات في بيروت وفي بغداد (بشارع السنك ، بغداد)

قصة مصرية : للمحرر

- ١ -

◆ **من** صمته أدركت أن همه يضنيه ، ويتجمع فى رأسه قبل أن ينفجر ويفيض على لسانه · كان صمتا كالذى يسبق المصارحة ، يرهق كلا الجليسين : المترقب ·· والمتردد !

لكن تردده طال أكثر مما قدرت ، ولم تفلح فى انهائه وسائل الاستدراج التى جربتها معه ، فقد ظل ينظر الى الفضاء خارج النافذة بثبات عجيب ، وكأن بصره مشدود الى الافق بخيوط غير منظورة ·· فتركته لشروده وشغلت نفسى بمحاولة استنتاج السر الذى أغراه باصطحابى معه الى منزله فى ذلك الضحى !·· ان المصادفة وحدها هى التى جمعتنا · كنت أعبر شارع فؤاد الاول داخل سيارة « تاكسى » حين أوقفتنى اشارة المرور عند تقاطع شارع عماد الدين · وفيما أنا أنتظر اشارة الاذن باستئناف المرور ، فوجئت بباب التاكسى الايمن يفتح ، ويقفز منه الى جوارى ضابط بوليس ·· تبينت فورا انه « عزت »، زميل الدراسة القديم ··

كانت قد مضت أعوام لم أره خلالها الا لماما ، فى فترات متباعدة ، فكنا فى كل مرة نتبسط فى الحديث فنستعيد ذكريات الماضى ، ونتواعد على أن نلتقى كثيرا ونبعث زمالتنا القديمة من جديد ·· لكن الايام كانت لا تلبث أن تباعد بيننا فى كل مرة ، فينسى كلانا صاحبه ! وفى آخر مرة التقينا فيها، منذ نحو عامين ، **علمت منه انه قد انتقل من دنيانا - نحن العزاب - الى جوار زوجته ·· فأدركت أن الشقة بيننا قد ازدادت اتساعا ، وافترقنا يومئذ دون أن نتواعد !**

حتى جمعتنا المصادفة هذه المرة فى التاكسى ، فرجانى « عزت » فى الحاح أن أصحبه الى منزله · وكانت فى صوته

رنة توسل جعلتنى أهمل العمل الذى كنت منطلقا اليه ، وأمضى معه !

ووقف بنا التاكسى فى أحد شوارع « شبرا » الضيقة ، أمام « عمارة حرب » ٠٠ مبنى من تلك المبانى التى شيدت على عجل أثناء الحرب بقصد الاستغلال الفاحش ٠٠ ثم تقدمنى صديقى الى مسكنه فى الطابق الثانى ٠٠

على اننا لم نكد نستقر فى غرفة الاستقبال ، ويقدم لى عزت بعض الشراب ، ولم أكد أتهيأ أخيرا لسماع ما يريد أن يفاتحنى فيه ، حتى شرد منى ٠٠ وراح يتطلع الى النافذة ، فى هيئة من نسى وجود ضيف الى جواره !

❖

◆ **وران** على المكان سكون كئيب ، ذكرنى فجأة بأننى لا أرى حولى فى جو البيت الموحش ذلك الرونق السحرى الذى تضفيه المرأة على جو بيتها ، والذى ينطق قطع الاثاث الصامتة وتحف البيت الصغيرة بأن وراء تنسيقها يد ، وذوق ، مخلوقة ناعمة٠٠ ولا أتنسم ذلك العطر الغامض الذى يهدى حواسنا الى وجود امرأة فى المكان ! ٠٠ فقلت لصديقى مندفعا دون تدبر : « على فكرة ، ألم تقل لى يوما انك قد تزوجت ؟ ٠٠ انى لا ألمح فى بيتك ظلا لحواء ؟! »

فامتقع وجهه بغتة ، وتبينت على صفحته ذلك الاضطراب الذى يحدثه القاء حجر ثقيل فى بحيرة ساكنة ! ٠٠ **ورغم ذلك لم أستطع قمع ما تملكنى على الفور من شعور شاذ بالارتياح ، لعله شعور الجراح حين يرى انبثاق الصديد من دمل ملوث على أثر وخزة من مبضعه ، أو شعور القصاص حين تنبئه بادرة بأنه مقبل على سماع قصة من الحياة !**

وصدق حدسى ، فان صديقى لم يلبث ان رمقنى بنظرة خلت

معها كأن قاع نفسه قد طفا فجأة على سطح حدقتيه ، فعكرهما ٠٠ ثم قال في لهجة الجاد : « متى عرفت منى نبأ زواجى ؟ »

فقلت ، وأنا أجهل مقصده من السؤال : «منذ نحو عامين» ٠٠ وعندئذ أطلق ضحكة استهتار ساخرة ، ثم قال متكلفا المزاح والمرح : « أوهوه ٠٠ صح النوم ٠ أو تظننى « محدث نساء » أصبر عامين كاملين على رفقة ، أو ربقة ، زوجة واحدة ؟! »

لكن سخريته من نفسه لم تطل ، فقد نهض على الاثر من مقعده فى تأفف وضيق ، وأخذ يذرع الغرفة فى عصبية ظاهرة، وقد استرد مظهر الجد الصارم ٠٠ ثم أقبل على يمسك بذراعى ويناشدنى فى صوت ينطق بالحيرة القاسية : « اسمع يا فلان ٠٠ أرجو ألا تسخر منى ، فأنا أريد استشارتك فى أمر خطير ، بالنسبة لى على الاقل ٠٠ »

وقبل أن أفهم شيئا ، أو أستفسره عما يقصد ، قادنى من ذراعى الى حجرة مجاورة كانت مغلقة النوافذ ، ثم اقترب بى من « شيش » النافذة المطلة على الشارع الضيق ٠٠ **ولفرط دهشتى رأيته يضع عينه على ثقب مستدير فى حجم القرش ، يدل مظهره على انه قد ثقب فى خشب النافذة حديثا ، ثم رفع وجهه الى وهو يقول : « بربك أنظر ٠٠ تأمل هذه الفتاة التى تسقى أصص الازهار فى الشرفة المقابلة، وقل لى رأيك فيها ٠٠ بصراحة »**

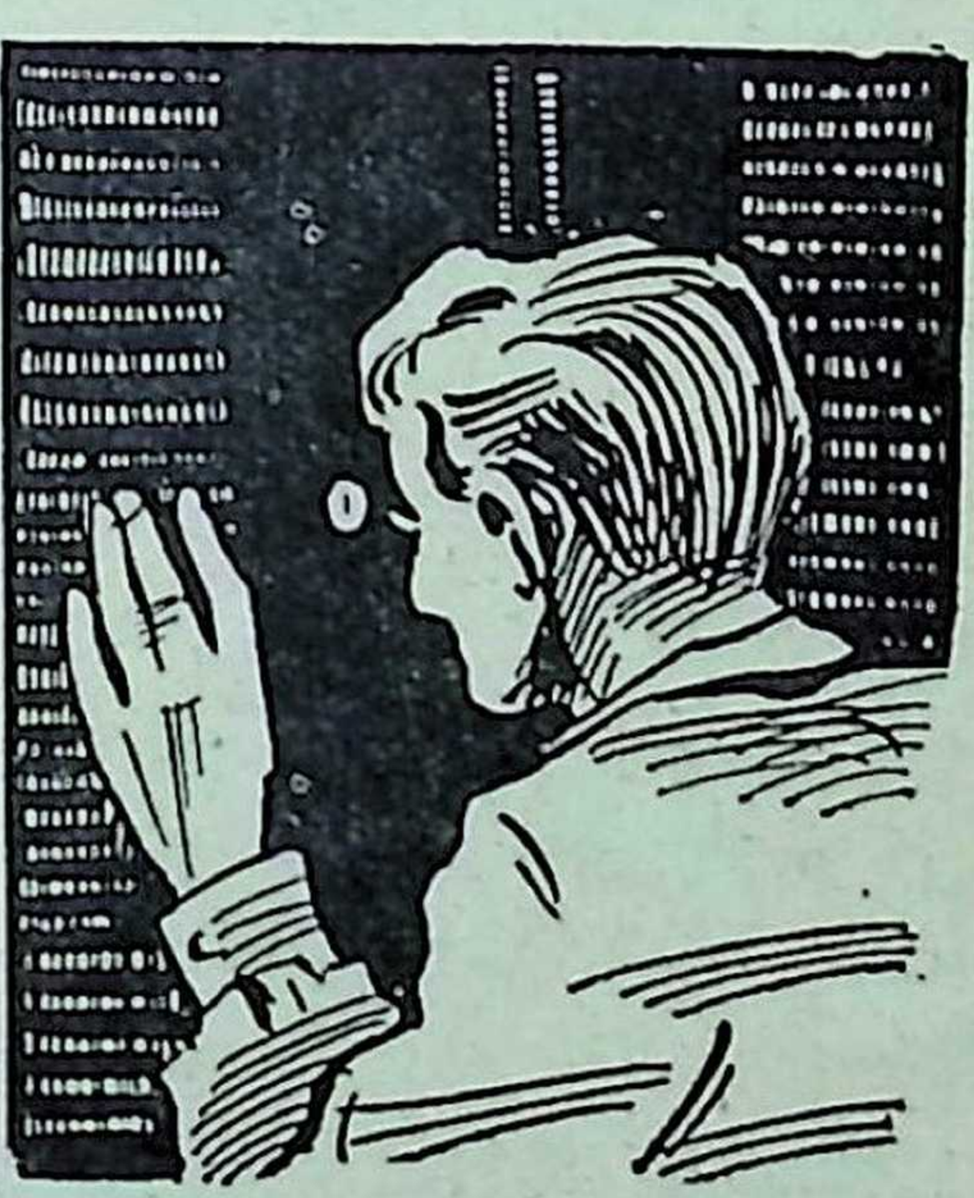

وعقدت الدهشة لسانى ٠٠ فقد كان ما رأيته عجبا! ٠٠ كانت الفتاة صبية يافعة لا تزيد على الخامسة عشرة ، فتملكنى ميل

قوى الى أن أصيح به هازئا : « ماذا ٠٠ أتريد أن ٠٠ تتبناها ؟ » ٠٠ لولا انى لمحت على وجهه لهفة ساذجة الى سماع رأيى ، فكتمت سخريتى اشفاقا عليه ٠٠ وتكلفت أن أقول فى اعجاب مصطنع : « وماذا يمكن أن يكون رأيى فيها ٠٠ لا شك أنها جميلة ، ورشيقة ٠٠ »

ولم يخب تقديرى ، فقد انفرجت أساريره فرحا بهذا المديح، ولكن في ومضة سريعة ، كأنما دون وعى ، فقد عاد يسألنى فى لعثمة وحماس ظاهرين : «ولكن٠٠ليس جمالها الذى يعنينى وانما أنا أريد أن أعرف ٠٠ هل تعتقد ان لها ماضيا ؟ »

ومرة أخرى كادت الضحكة تفلت منى ، لولا أن سارعت أجيبه ، ساخرا برغمى : « يا أخى ٠٠ أهذا كل ما يقلقك ؟ ٠٠ اذا لم يكن للفتاة ماض ، يكون لها مستقبل ! »

لكن النظرة التى قابل بها جوابى جعلتنى أندم على مزاحى ٠ كانت نظرة تأثر شديد لا تصدر الا من نفس معذبة ، فبادرته فى لهجة اعتذار خالصة : « ظننتك تمزح ٠٠ أو حقا تسألنى عن ماضى هذه الطفلة ؟ »

وبدا أن الكلمة قد استفزته، فقد تنهد فى حرقة ، وأطلق صوتا يشبه ضحكة الاستهزاء المبتورة ٠٠ ثم قال ، وهو يغوص يائسا فى مقعد جلدى كبير ، كمن تداعت قدرته على المقاومة : تقول « طفلة » ؟ يا لك من ساذج ! ٠٠ ان ماضى شبابى حافل بالمغامرات الشهية مع « اطفال » أصغر من هذه ٠٠ !

- ٢ -

◆ **وصمت** برهة ، وهو يخرج من جيبه سيجارة ، ويشعلها، ثم ينفث دخانها فى بطء وروية ٠٠ واستطرد فى لهجة اعتزاز واعتداد برأيه : « ان المرأة ياصديقى مخلوق عجيب ، يسبقنا فى الادراك وتفتح الغرائز بسنوات ٠٠ أنظر الى طفلة السابعة وهى تسوى شعرها أمام المرآة ، فتتمايل دلالا ، وتلين خصرها لمداعبة عمها أو خالها ، تدرك أن المرأة أنما ترضع نزواتها وصبواتها مع اللبن ، وتلهم الخداع والغواية قبل أن تنبت أسنانها ٠٠ فتؤمن معى بأن لا أمان لامرأة ، ولو نبت لها جناحان !

« لست أقول هذا اعتباطا ، وانما عن خبرة ، وتجارب ، وأهوال ٠٠ لو مرت بك لشيبتك كما شيبتنى ! ٠٠ **فلعلك تعلم اننى فى هذا الميدان « محارب قديم » ، لم أبخل على شبابى بمتعة ولا عصمت نفسى من معصية ٠٠ كان الضمير دائما فى معجم حياتى مرادفا للجبن ، والشرف مرادفا للعجز ٠٠ فلهوت، واستمتعت ٠٠ ولم أتورع عن خطايا أو دنايا أيا كانت ! ٠٠ لم يعوزنى يوما مال ، أو حرية ، أو مخدع آمن ٠٠ فاستبحت كل شىء ، وطلقت كل ايمان ، خلا ايمانى بأن خير وسيلة للتخلص من اغراء أية متعة هو الاستسلام لها ٠٠ والارتواء منها حتى الشبع ، فالملل ، فالاشمئزاز !**

وعشت هكذا عشرة أعوام ، معيشة بوهيمية فوضوية عجيبة ٠٠ لم أبت خلالها فى مخدع واحد ليلتين متواليتين ٠٠ وخبرت فيها لهو الغوانى ونزوات المحصنات ، وذقت فيها جميع المحرمات ٠٠ حتى سئمتها ! ٠٠ سئمت كل ألوان تلك المتع العابرة، واعترانى ذلك الشعور القوى بالنقص ، الذى يغرينا بالزواج ٠٠ وتلك الحاجة الملحة الى حياة الراحة والاستقرار ، فى رفقة امرأة طاهرة أقتنيها بلا شريك ، لا فى الماضى ، ولا فى الحاضر أو المستقبل !

« فبدأت أبحث وأنقب ، فى روية وامعان . كانت تجاربى قد دلتنى على أن المرأة الفاضلة يفوق ثمنها اللآلىء ، وان من أعقد مشكلات الزواج مشكلة العثور على فتاة يوقن الرجل بأنها طاهرة لم تعرف القبلة ، أو اللمسة ، أو المناجاة ! .. وهكذا مضيت فى بحثى حتى اهتديت الى فتاة دلنى مظهرها على انها ضالتى المنشودة ، فاتجهت نحوها جديا ، ولكن فى حذر اللئيم . لم أسمح لنفسى بأن انخدع بالمظهر ، فأجريت عليها طائفة من الاختبارات الماكرة ، الكفيلة بكشف طوية أخبث النساء .. لكنها نجحت فيها كلها من « أول دور » وبتفوق ، فوثقت أنها امرأة مأمونة .. وتزوجتها !

كانت « سميرة » نموذجا لذلك الجمال الساذج المحبب ، الذى يوحى بالطهر والبراءة . أعجبنى فيها هدوؤها وسماحتها ، وحياؤها العذب ، ورقتها الخالصة .. ونظراتها الصافية التى تطالع فيها قلبها ونواياها ككتاب مفتوح ، ناصع الصفحات ! **وتزايد اعجابى بها بعد زواجنا حين وجدت فيها تلك « المرونة » النادرة التى لا تملكها غير فئة « الموهوبات » من النساء .. المرونة التى تتحول بها الفتاة بعد الزواج من عذراء ساذجة الى غانية لعوب ، متفجرة الانوثة ، ترى زوجها من أفانين الهوى والمتعة ما لا تحذقه غير الفاجرات ، وما يغنيه عن الغانيات ! .. وقد كانت «سميرة» نابغة حقا فى هذا المضمار، فأرتنى من فنونها عجبا !**

« لكن استمتاعى بنبوغها ذاك لم يدم أكثر من أسابيع .. تحولت حياتى بعدها الى شبه جحيم !

❖

◆ **وصمت** صديقى برهة ، وهو يشعل سيجارته السابعة من سابقتها ، ثم أسند رأسه الى ظهر المقعد الكبير وراح يتابع ببصره سحب الدخان وهى تتلوى وتتكاثف فى جو الغرفة

المظلمة ، التى كانت ما تزال مغلقة النوافذ ٠٠ حتى أفاق أخيرا من تفكيره ، فاستطرد فى صوت خائر خفيض :

« ٠٠ وكانت نقطة التحول ، التى أحالت حيـاتى جحيما وطردتنى من جنتى السعيدة ، مسألة تافهة فى ذاتها ٠٠ لولا دلالتها ! عدت الى البيت يوما فسألتها بلا اهتمـــام ، وهى تستقبلنى بعناقها المعتاد ، هل حضر فى غيبتى صديق كنت أتوقع زيارة منه فى غضون ذينك اليومين ٠٠ فأجابتنى دون ابطاء : « أبدا ٠٠ ما جاش حد النـــهارده خالص ٠ من وقت خروجك وأنا قاعدة لوحدى متضايقة ٠٠ » فاقتنعت بقولها فورا ٠ وكان يمكن أن تمر المسألة بلا ذيول ، لولا ٠٠ آه ٠٠ أى شيطان أوقع بصرى لحظتئذ على يدها القابضة على «طقطوقة» السجاير ؟ ٠٠ وما الذى جعلنى أسألها فى سخف عما كانت تفعل بها ، كى تجيبنى ، وقد بدأ الاضطراب يلم بها ، بأنهـا تناولتها قبيل دخولى كى تأمر الخادم بتنظيفها ؟ ٠٠ ثم أى وسواس جعلنى أتناول الطقطوقة من يدها ، كأنما بغير قصد ، فأعثر فيها على عقب سيجارة ، من غير السجائر التى أدخنها؟٠٠ وفيم كان ذلك خليقا بأن يهمنى أو يقلقنى ، أنا الذى كنت أعلم ٥ أن جارتنا التى تقطن المسكن المقابل كثيرا ما كانت تأتى الى مسكننا كى تستخدم التليفون فى محادثة قصيرة ، فتدخن أثناء ذلك سيجارة ثم تخرج ٠٠ ؟

« كلها أسئلة لا أذكر الآن جوابها ، واعتبارات لا أذكر ما الذى أعمانى عنها فى حينها ! ٠٠ **كل الذى أذكره اننى سألتها يومئذ عن صاحب عقب السيجارة ، فتلعثمت وترددت ٠وزادنى ترددها حدة وانفعالا فألحفت فى السؤال ٠٠ وزادها انفعالى خوفا وارتباكا فأمعنت فى الانكار** ! ٠٠ ثم تطور النقاش بيننا حتى ضيقت عليها الخناق وأحست حرج موقفها ، فتراجعت عن تشبثها وأقبلت على تلاطفنى فى نعومة الحية ، وهى تبتسم ابتسامة اعتذار خلابة ، ثم تقول ٠٠ إن صديقتها « وداد » هى

التى دخنت تلك السيجارة حين زارتها ذلك الصباح .. وانها قد خشيت مصارحتى بنبأ زيارتها لعلمها بأننى لم أكن « أستلطف » تلك الصديقة بعد ما أثير حولها من أقاويل ، ولاننى كثيرا ما أبديت لها عدم ارتياحى الى صداقتهما ، الى حد ان صار مجرد ذكر اسمها ودفاع زوجتى عن صديقتها «المظلومة» يثير أعصابى !

- ٣ -

« .. **وكان** ذلك بداية شقائى ، فمنذ تلك الساعة فر طائر السعد من عشنا الزوجى ، وهبط مكانه غراب الشك القاتل اللعين !

« لا تتسرع فتتهمنى بضيق أفق التفكير ، وبأن زيارة تلك الصديقة فى ذاتها هى التى أيقظت شكوكى وغيرتى الدائمة .. فلو ان « سميرة » أحسنت التصرف وصارحتنى بالحقيقة من البداية لما أغضبتنى - برغم نفورى من صديقتها وعدم استساغتى غمزاتها وضحكاتها ونكاتها غير اللائقة - ولما كان الامر قد تعدى من جانبى حد الاغضاء أو « لفت النظر » ! .. **لكن الذى أنمى الشك فى قلبى منذ تلك اللحظة حتى أفرخ وتكاثر ، شىء واحد : أكذوبة زوجتى ! فقد أخذت اسأل نفسى وأجيب ، وأبدى وأعيد : « ما دامت سميرة قد استطاعت أن تكذب على ، أن تواجهنى بعينين كاذبتين وفم مدلس .. فماذا بقى ؟ وماذا يضمن لى انها لا تكذب على فيما هو أخطر وأفدح ؟ .. وكيف يمكننى بعد ذلك أن أثق بصدق كلمة واحدة مما تقول لى ، فى أى شأن من الشئون ؟ »**

« وهكذا راحت تتناهبنى ، وتتجاذبنى ، الوساوس ! .. فأدركت ان تلك بداية تعاستى ، واننى قد فقدت الى الابد أمنى البيتى وطمأنينتى النفسية ، لكنى عجزت مع ذلك عن تدارك هذا الشقاء الزاحف على بيتى وحياتى ومستقبلى ..

فاستفحل وتفاقم ! صارت أيامى دوامة من العذاب المتصل . بت أشك فى كل أقوال زوجتى وأفعالها ، وأستريب فى جميع حركاتها وسكناتها .. وتمثلت فى خاطرى شتى صور الخيانة الزوجية التى لمستها بنفسى ، أو عن كثب ، خلال سنوات شبابى العابث . أخذت أفسر على ضوئها كل ما يبدر من « سميرة » أو يبدو عليها .. صار يكفى ان أراها تطيل التزين أمام المرآة كى أقول لنفسى والشك يذهب بى كل مذهب : « لعلها تتأهب للقاء عشيق لها فى الخارج ، أو استقباله فى بيتى بعد خروجى ! » **.. واذا عدت يوما من عمل قبل أن تعود من احدى « زياراتها » ساءلت نفسى قلقا : « ألا يجوز أن تكون الآن منفردة مع رجل فى مسكنه ؟ » .. واذا دخلت البيت مرة فوجدتها مشعثة الشعر قليلا ، أو خيل لى ذلك، مزقتنى الوساوس وتوهمت أنها قد انتهزت فرصة تغيبى عن البيت واستقبلت عشيقا فى مخدعى!** .. وهكذا الى آخر تلك الهواجس الموجعة والشكوك الفظيعة التى صرت نهبا لها طوال ليلى ونهارى ، حتى مزقت أعصابى وكادت تفقدنى صوابى !

« وهل أنسى يوم عدت من المقهى ذات مساء فلم أكد أصعد الدرج وأبلغ الطابق الذى فيه مسكنى حتى رأيت صديقا لى يطرق بابى ، فلما رآنى خيل الى أنه تلعثم قليلا وهو يقول لى : « الله !.. هو انت لسه ما جتش البيت ؟ ده أنا كنت فايت من الناحية دى فقلت أما أدخل أمسى عليكم .. وازاى المدام ؟ ان شاء الله تكون بخير ؟ » .. فأكدت له أنها بأتم خير ، ودخلنا.. لكننى قضيت السهرة كلها شاردا فى واد سحيق ، نهبا لاقسى الوساوس والشكوك .. **فقد ذكرنى موقف صديقى على بابى بموقف مشابه من مواقف شبابى العابث ، كنت أنا أيضا أحد بطليه ، أما بطله الآخر فكان صديقا قديما لى كنت على صلة .. بزوجته ! .. وكانت قد عودتنى أن ألقاها فى بيتها ، خلال فترة تغيب زوجها فى عمله .. فصادف أن كنت منصرفا من**

مسكنها ذات يوم على أثر خلوة مختلسة ، وفيما أنا أهبط السلم ٠٠ لمحت زوجها صاعدا !٠٠ وكان لا بد أن نلتقى فى منتصف السلم فيدرك كل شىء ، أو يستريب فى الامر على الاقل ٠ ومن ثم ألهمنى ارتباكى فى ذلك الموقف المشئوم أن أسارع فأصعد الدرجات القليلة التى هبطتها ، ثم أقف على باب مسكنه أطرقه ٠٠ كأنى قادم توا لزيارته ، ولست منصرفا من لدى زوجته !

« وجازت الحيلة على التعس ، فدخلت معه من جديد ٠٠ وقضينا ثلاثتنا بقية السهرة فى مرح ٠٠ برىء !

« ذلك هو الموقف الذى خلته قد تكرر حين رأيت صديقى الجديد الاعزب يطرق بابى أنا الذى صرت زوجا ٠٠ فعادت الى ذاكرتى القصة القديمة بأبشع تفصيلاتها ، وخيل الى أن القدر أراد أن يقتص لضحاياى منى ، فأعاد التاريخ نفسه مرة أخرى ٠٠ ولكن مع فارق خطير ، هو أنى قد صرت الزوج المخدوع بعد أن كنت الصديق المخادع ٠٠ والمجنى عليه بعد أن كنت الجانى !

« وهكذا انقضت السهرة فى تلك الليلة وأنا فريسة لذلك الشك الرهيب ، الذى يغرى بالجريمة ٠٠ انقل بصرى الزائغ بين زوجتى وصديقى ، حائرا ٠٠ جامدا ٠٠ صامتا ٠٠ وبودى أن أغمد خنجرا فى قلبيهما كى انتزع منهما ما يخفيان ! ٠٠ وكلما ضحكا أو تبادلا نظرة «ودية» وقعت ضحكاتهما على أذنى كالمطارق الثقيلة ، ونفذت نظراتهما الى قلبى كالطعنات المسمومة ٠٠ !

- ٤ -

◆ « **وغدت** حياتى جحيما لا يطاق ، أفقدنى أمنى وراحتى ، ونومى وأعصابى ٠٠ وكاد يفقدنى عملى ! ٠٠ فقد صارت شكوكى فى زوجتى شغلى الشاغل ، وهمى المقيم ٠ صرت أجلس الى عملى شاردا أفكر فيها ، وفى عشاقها ، فأتمثلها غارقة فى

أحضان أحدهم تهزأ بى وبغفلتى ٠٠ فيجن جنونى وأنهض كالمعتوه أتناول طربوشى واخرج دون استئذان كى استقل « تاكسى » ينهب بى الطريق نهبا الى البيت ٠٠ ثم أصعد السلم قفزا على أطراف أصابعى وافتتح الباب متلصصا ـ كيما أفاجئها بين ذراعى عشيقها الموهوم ! ـ فاذا بى أراها جالسة فى الردهة تقرأ كتابا ، أو تنسج لى صدارا من الصوف ٠٠ فتلقانى بهدوئها المثير وابتسامتها الغامضة ، متسائلة عن سبب عودتى مبكرا !

« وكم كلفنى هدوؤها المثير ، وابتسامتها ٠٠ !

« كنت حين ترهقنى الوساوس فتثور أعصابى ، أنهال عليها بوابل من الاستفسارات المحرجة و « الاستجوابات » اللحوحة ٠٠ فلا تغضب أو تثور ، وانما تتركنى أفرغ كل ما فى جعبتى، مكتفية ـ فى الرد على ـ بتلك الابتسامه الغامضة الخلابة ، وذلك الهدوء البارد المثير ٠٠ كأننى أمزح، أو ألقى نكتة «بايخة» لا تستحق التعليق !٠٠

وكم أغرانى هدوؤها ذاك بأن أتناول رأسها بين يدى كى أحدق فى عينيها الضاحكتين بنظرة فاحصة نارية ، وأنا أصر على أسنانى غيظا وأقمع جاهدا ثورة دمى وأعصابى التى تهيب بى أن أحطم رأسها واستريح ! ٠٠ فيكون رد الفعل الوحيد الذى تقابل به ثورتى على هذا النحو ، نظرة ناعسة ساخنة ترفع بها عينيها الى ، واختلاجة راعشة من شفتيها تطلب القبلة وتستثير الجماد !

*

◆ « **وليت الليل** كان يريحنى من عذابى ، اذن لوجدت أعصابى فرصة تهدأ فيها وتستكين ٠٠ لكن البلاء الاكبر أن هواجسى خلال النهار كانت تتجسم وتتضخم أثناء نومى فى صورة كابوس مفزع أرى فيه زوجتى فى أبشع أوضاع

التبذل والتهتك ، تتقاذفها أذرع وأحضان الرجال ٠٠ فأصحو من نومي مذعورا ، سابحا فى عرقى البارد ، لاجد « سميرة » مستغرقة فى أشهى نعاس وأعذب أحلام ، وقد انفرجت شفتاها وأسنانها اللؤلؤية البيضاء عن تلك الابتسامة الغامضة الخلابة ٠٠ التى تغرى بالجريمة !

« وقد كدت ارتكب الجريمة فعلا ، ذات ليلة !٠٠ لم أكد أفيق من كابوسى فزعا ، وأراها تبتسم فى حلمها ـ لست أدرى لمن ! ـ حتى جن جنونى واستبدت بى غيرة فظيعة وشك قاتل ، **فأطبقت بكلتا يدى على رقبتها ، أريد ازهاق روحها ٠٠ لولا أن أيقظتها ارادة الحياة وضغط يدى ، فانتفضت تدفع الاذى عن نفسها بذراعيها وساقيها** ٠٠ واذ ذاك خشيت أن تفتضح نيتى فسارعت الى سحب يدى من حول رقبتها وتظاهرت بالاستغراق فى النوم ٠٠ فظنت المسكينة أن ما أحسته كان محض كابوس ! »

✻

◆ **واطرق** محدثى برهة ليقمع انفعاله الذى أثارته الذكرى ، ويدخن سيجارة أخرى ٠٠ ثم استطرد بعد حين :

« ٠٠ ولم أطق صبرا على عذابى آخر الامر ٠٠ فطلقتها !٠٠ طلقت المسكينة وانا أكاد أوقن بأنها بريئة، وان هواجسى ليست غير أوهام تنبع من وحل مباذلى ومغامرات شبابى الفاجرة ٠٠ وحين تململ ضميرى ، أخرسته بحجة أن الذنب لم يكن كله ذنبى ،وأن طبيعة الفتاة الهادئة وبرودها المثير وأنوثتها العارمة، كانت المسئولة عن المأساة !

« وعلى هدى هذا التعليل أقنعت نفسى بأننى استطيع أن أسعد مع ٠٠ أخرى ٠٠ لو وفقت فى الاختيار !٠٠ فلم أكد أنفض يدى من « سميرة » حتى بادرت الى البحث عن زوجة جديدة !

- ٥ -

◆ « **ولم** يطل بحثى .. سرعان ما اهتديت الى فتاة راعيت فيها أن تكون طباعها على النقيض من الاولى : فاخترتها نحيفة الجسم ، على نصيب متوسط من الجمال ، ونصيب ضئيل من الانوثة ، قوية الميل الى العلوم والآداب والفنون ، وكل ما يشغلها عن التفرغ لعبادة نزوات نفسها وجسمها .. كما حرصت على أن تكون موفورة الحمية والتوثب والنشاط ، مجردة من جرثومة ذلك الهدوء البارد الذى كان يحنقنى على الاولى ويثير شكوكى فيها ووساوسى .. !

« لكن الفشل الذى منى به زواجى الاول كان من نصيب الثانى أيضا ، مع فارق واحد : هو أن طبيعة « فوزية » الثائرة وعصبيتها الزائدة وحساسيتهاالبالغة ، قد أعجزتها عن احتمال هواجسى والرقابة الصارمة التى فرضتها عليها ، فصارت تقابل ذلك منى بالثورات الصاخبة والهياج الشديد .. مما عجل سريعا بالنهاية ، بعد أن عشت شهورا فى جو عاصف من الشجار الدائم والمشاحنات التى لا تنتهى الا لتبدأ ، ولا تهدأ الا لتثور .. !

« وفى هذه المرة لم أكن غبيا ، أو متغابيا .. أدركت ان علة شقائى لا تصيبنى من الخارج ، وانما تكمن فى أعماقى .. وتفعل فعلها المدمر فى نفسيتى كجرثومة الداء الخبيث .. فتبلجت الحقيقة الاليمة أمام عينى كالنور الساطع . **أيقنت أن « سرطان » الشك القاتل قد تمكن من عقلى الباطن ، وان نفسى قد تسممت بالجو الفاسد الخانق الذى قضيت فيه أعوام شبابى الباكر ، فلم يعد فى امكانى الاطمئنان الى طهارة أو اخلاص امرأة ، وصار الزواج حراما على .. كما صارت العودة الى حياتى العابثة مرة أخرى ضربا من المستحيل ، فقد عافتها نفسى بمجرد أن تغيرت زاوية نظرتى اليها فأصبحت من ضحاياها !**

وهكذا انتهيت من حيرتى الى نتيجة واحدة : هى أن لا خلاص لى من عذابى الا بالفرار من دنيا النساء ، واخراجهن جميعا من محيط حياتى !

٠٠ وركنت نفسى الى هذا القرار ، فأحسست ــ لاول مرة منذ أعوام ــ بارتياح خالص عميق ٠٠»

❊

◆ **وتنهد** صديقى فى حرقة ، وهو ينظر الى من وراء نظارته بعينين متعبتين ، ونظرة يائسة ، ثم مضى فى كلامه :

« ٠٠ لكن الاستغناء عن الخبـز والماء أسهل على مثلى من الاستغناء عن النساء !٠٠ فبالرغم من كل « الاجـراءات » الحازمة التى اتخذتها على سبيل الحيطة بمجرد انتهائى الى ذلك القرار ٠٠ وبالرغم من تركى مسكنى القديم الذى شهد مأساتى زواجي ، وتغيير جو معيشتى تغييرا تاما ، وعودتى الى الاختلاط ببطانة من الرجال راعيت فى اختيارهم أن يكونوا من طبقة أرباب الاسر المحافظين الذين لا يرد على ألسنتهم ذكر النساء ٠٠ بالرغم من ذلك كله فان القدر ما يزال واقفا لى بالمرصاد ٠٠ اذ لم ينقض على انتقالى الى مسكنى هذا أسبوعان ، حتى ٠٠ حتى خارت عزيمتى أمام فتنة عينى الصبية التى أريتها لك من ثقب النافذة منذ حين ، فأحببتها ٠٠ **لا تسخر منى ، نعم أحببتها بكل طاقة قلبى وروحى ، حبا أعترف لك بأنى لم أحمله قط لامرأة ! ٠٠ فلم أحس الا وانا ارتكب جميع الحماقات التى طالما سخرت من « أخوان الصفا » بسببها حين كانوا يقصون أمرها على ٠٠ صرت أستلقى على فـراشى وأغمض عينى ، ثم أنطلق الى أودية الخيال فى « رحلات » طويلة لا تنتهى ، عذبة ومضنية معا !**٠٠ ولاول مرة فى حياتى ذقت طعم الارق والسهاد من أجل امرأة٠٠ ولاول مرة عرفت مرارة انتظار رؤية المحبوب٠ صرت انتظر ساعتى الضحى والغروب بلهفة الفتى المراهق ،

كى أراها تخرج الى الشرفة وفى يدها « رشاش » الماء تسقى به أصص الأزهار فى مرح وانشراح ، وهى تغنى وتبتسم ، فان تلك هى فرصتى الوحيدة لرؤيتها ٠٠ أما فيما عدا تلك الدقائق الخاطفة فهى لا تبرح غرفتها ، وانما تقضى أكثر الوقت مسترخية على ذلك المقعد « الهزاز » الذى تستطيع أن تراه فى ركن الغرفة ، أو مستلقية على فراشها تقرأ مجلة أو تغنى وتصفر بفمها ، لاهية عن الشاب المنكود الذى يراقبها من ثقب صغير فى النافذة دون أن تشعر !

« ٠٠ نعم ، فلقد غدت مراقبتى اياها مسلاتى الكبرى ٠٠ منذ ستة شهور وأنا أراقبها من هذا الثقب ، ساعات كل يوم٠٠ **حتى أصبحت أعرف أدق دقائق عاداتها وطباعها وميولها ، ألازمها ببصرى وخيالى حين تأوى الى فراشها فى الليل ، وحين تنهض منه فى الصباح ٠٠ حين تقرأ وحين تدرس وحين تتزين أمام المرآة ٠٠ وطوال تلك المدة لم ألحظ عليها ما يريب ، حتى بت أجزم بأنها زهرتى المنشودة ، التى لم تفض بعد أكمامها ولم تنزع عنها أشواكها ٠٠** ومنذ رسخ فى ذهنى هذا الاعتقاد وجدتنى ـ بالرغم منى ـ أعيش وأتنفس ، وأصبح وأمسى ، على أمل واحد تركزت فيه كل امانى فى الحياة : أن أتزوجها ! وعبثا حاولت قمع هذه الامنية فى نفسى وانتزاع جذورها من خيالى ، فقد تعمقت وأمتدت وتأصلت ـ دون أن أشعر ـ فغدا اقتلاعها من خاطرى بمثابة انتزاع روحى من جسدى ! ٠٠ وغدوت ولا هم لى غير توطين نفسى على ذلك ، واعداد العدة للزواج ٠٠

« لكننى كلما اقتربت « ساعة التنفيذ » أحسست بأننى مقدم على حماقة كبرى ، على وضع حبل المشنقة فى عنقى من جديد ٠٠ فانى واثق من أننى سأشقى بهذا الزواج ، كما شقيت فى المرتين السابقتين ٠٠ **بل ان الذى يحز فى نفسى ويجعلنى أرتجف هلعا كلما تصورت الجحيم الذى أنا عائد اليه**

بمحض ارادتى ، هو اشفاقى على الفتاة التى أحبها من ذلك الجحيم ـ أكثر من اشفاقى على نفسى ـ ويقينى بأننى سوف أشقيها معى ، وأذيقها عذابا مريرا ، بالرغم منى ٠٠ ولكن ماذا أفعل ؟٠٠ انى أحبها ، ومن المحال أن أسلو فكرة الزواج منها بحال ! ٠٠ كما أن من المحال أن أسعدها وأسعد معها ، هى أو اية امرأة أخرى ، ما دام سم ذلك الشك القـــاتل يسرى فى دمى ٠٠ انه شىء يحدث بالرغم منى ، شىء فظيع رهيب لا قبل لك بتصوره ، ولا قبل لى باحتماله مرة أخـــرى ٠٠ انه سوف ينتهى بى الى الجنون ٠٠ فبالله انقذنى بأى ثمن ، رحمة بى ٠٠وبالفتاة !٠٠ حل بينى وبين اتمام هذا الزواج الذى سيقودنى واياها الى كارثة مفجعة ٠٠ فانى واثق من أن شكوكى وهواجسى المخيفة سوف تعاودنى ، وتنتهى بى الى أن أقتل المسكينة هذه المرة ، ثم أقتل نفسى ! ٠٠ فبربك انقذها من هذا المصير ،فانها فى زهرة شبابها ، وأنا أحبها٠٠يا الهى ، لكم أحبها ! »

وكانت دموعه قد بدأت تفيض وهـــو يتكلم ، وتهطـــل على وجهه ، حتى خنقته غصته آخر الامر ٠٠ فأجهش بالبكاء ، بصوت عال وحشرجة أليمة ، وقد دفن وجهه بين راحتيه ٠٠

وحين رفع وجهه ونهض بعد حين ، بعـــد أن استرد بعض هدوئه ، كان وجهه فى صفرة الاموات !

وعبثا حاولت أن أسرى عنه طوال ذلك الاسبوع ، فأنتزعه من جوار تلك الفتاة أو انتزع خيالاته من رأسه ٠٠ فاضطررت آخر الامر مكرها أن أتركه لشأنه ٠٠

٠٠ حتى طالعت فى الصحف منذ يومين نبأ نقله الى نقطة بوليس جبل « الطور » ٠٠ بناء على طلبه !

كأنما يستطيع التعس أن يعيش بعيدا عن النساء ! ٠٠ أو يطرح عنه فى ظلمات منفاه ٠٠ أثقال ماضيه !

حوافز الحياة

النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الاتيـة على التوالى : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة الزوجية » و « مركب النقص » و « حواء الجديدة » ثم « كيف تقهر الخجل » و« كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة » ..

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة » التى شرحها المفكر العالمى «اندريه موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ، واخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم انتقلت بك منذ العدد (١٦) من صحبة أندريه موروا الممتعة الى صحبة مفكر عالمى آخر هو الفيلسوف الانجليزى المعاصر « برتراند رسل » فى كتـابه المشهور « غزو السعادة »

وبعـده قدمت لـك كتاب فرويد المشهور « التحليـل النفسى » ، يليه « كيف تضاعف من نجاحك فى الحياة » ، ثم « الجنس الاخر » ، و « عش حياة ايجابية » ..

واليوم أقدم لك فيما يلى الجزء الاول من الكتاب الشائق « أبواب الحب المغلقة » ...

LOVE'S
CLOSED
DOORS
BY
WALTER WYNN
أبواب الحب المغلقة!
للباحث الاجتماعى "والتر واين"

هذا الكتاب

◆ «ولتر واين» ، مؤلف هذا الكتاب ، من رجال الدين والوعظ التابعين للكنيسة الانجليزية .. ولكن مكانته هذه لم تجعله اسير الجمود والتزمت : بل انه اخذ على عاتقه ان يبصر الناس بالتعاليم السماوية فى قالب مقتبس من روح العصر ، واسلوب الحياة الحديثة .. فضرب بذلك مثلا للمهمة الحقيقية لرجل الدين ، الذى يريد ان يؤدى رسالته حق الاداء..

ان المبادىء الاصلية للديانات السماوية واحدة ، فكلها مستقاة من مورد واحد .. ولكن ، قل ان وجد رجل الدين الذى يعالجها ويطبقها ويصورها على حقيقتها للانسان العصرى الذى لا يرى شيئا الا خلال منظار الحضارة والعصر اللذين يعيش فيهما.. ولكن «ولتر واين» شاء ان يضرب المثل بسلسلة من الكتب القيمة ، اولها «الانسان والكون» ، ثم «كيف تكون سعيدا برغم انك على قيد الحياة !» .. واخيرا هذا الكتاب الذى نقدمه الان ، وهو من اعظم كتبه واكثرها رواجا ونفعا .. فقد تعرض فيه للحديث عن «الحب» من زوايا جديدة لعل احدا لم يطرقها قبله بمثل هذا العمق .. والصراحة !

١ ـ سر الحب الغامض !

◆ **ان** معظم ما يؤخـذ من عواطف البشر على أنه « حب » لا يمت الى « الحب » الا فى مظهره.. فما لم تكن العاطفة متغلغلة فى أعمق اغوار نفس المرء ، كانت مجرد انعكاسات لصورة « زائفة » للعاطفة .. أو كانت عاطفة « سطحية » ، تلبسها ظروف الحياة ثوب الحقيقة ، ولكنها نادرا ما تصمد أمام محن الدهر ، وطول الاجل ، وسير الزمن ..

وقد استطاع شاعر المانيـا الخالد « جوته » ان يتغلغل ببصيرته فى كوامن هذا السر الغامض ـ الذى يجمع بين نفس الانسان وعاطفته ـ ثم طلع على الناس بأن **الانسان لا يمكن أن**

يحب سوى .. « مرة واحدة » ! .. أجل ، انه قد ينساق لاغراء اربعين غراما من ذلك النوع السطحى ، ولكنها لا تلبث جميعا أن تخبو تباعا ، كما تفعل المناظر السينمائية على «الشاشة» .. أما الحب الصادق الذى يبقى على الدهر ويصمد ، فلغز يسيطر على القلب والحياة ، لا يزيد الزمن صوره وذكرياته الا وضوحا وجلاء !

ان الرجل قد يرى وجها ، أو يلمح ابتسامة ، أو يسمع صوتا .. فيسرى ما رأى أو سمع الى أعماقه ، فاذا به يرتبك ويتلعثم ، ويستشعر أمام صاحبة الوجه أو الصوت خجلا غريبا ، و عيا لا يمكنه من شرح مابه .. وعند ذلك ، تستتقر المرأة من نفسه فى الجزء الذى يسميه علماء النفس ب « النفس السامية » .. فاذا لم تستجب المرأة لهذا الحب ، عاش المفتون وحيدا - فى عزلة عن كل من وما حوله - لا تفارقه ذكراها ، بل يحوم وجهها حوله فى أيام الضنى وليالى السهاد ، ويسيطر طيفها على حياته ، وربما تحكم فى مصيره .. كل هذا وصاحبته لا تدرى !

هذا هو الحب الذى ينقلب الى خيال رفيع ..

وصريع هذا الحب لا يهيم - فى نضاله لحقائق الحياة - وراء « مثل اعلى » زائف ، وانما هو ينشد « حقيقة » كبرى ، فى « عمق المحيط وسمو النجم » .. ومثل هذا الحب لا يمكن تحرير القلب من سلطانه ، مهما شاء صاحبه .. اذ يرتبط العاشق فى هذه الحال بفاتنته فى غير دنيا البشر ، برباط لا نغالى اذا وصفناه بأنه « القران الحق » .. رباط علوى يباركه الله وتشهد عليه الملائكة ، فلا انفصام له ! - أما ما سواه من «حب» مزعوم فيسجله القاضى الدنيوى .. ثم تشهد « محكمة الطلاق » انفصامه يوم تفضح الحياة زيفه !)

وهذه العاطفة الغامضة ، كسواها من ألغاز الحياة ، فى حاجة الى مفاتيح تفض مغاليقها .. وقد تخفق المفاتيح التى سنجربها،

ولكن هذا لا ينبغى أن يصدنا عن التجربة ، فقد يقدر لها أن تفتح «باب الرؤى والاحلام » أمامنا ٠٠ ولولا السعى الدائب وراء النظريات التى تعلل ما نلقاه فى الحياة ، ما احتمل امرؤ أن يعيش ٠٠

الحب « الكامن » منذ الصغر !

◆ **عندما** يجمع اللعب بين طفلين متباينى الجنس ـ ولد وبنت ـ تحدث معجزة ٠٠ فقد ينفر كل منهما من الآخر ، فيجد من الاسباب ما يكشف به هذا النفور ٠٠ وقد يشعر كل منهما بالميل لصاحبه، فلا يعدمان وسيلة للافصاح عن ميلهما المتبادل ٠٠

أما اذا التقت نظراتهما ، فاذا أحدهما يشعر بنفور ، والآخر يشعر بميل ، أى أن نظرات أحدهما لا تلقى صدى لدى الآخر فهنا أغرب الغاز الحياة ٠٠ **فلو أن الولد هو الذى لم يلق من البنت استجابة ، فانه سرعان ما ينقلب هيابا ، مترددا ، ثم ينطوى على نفسه فى صمت ٠٠ وقد لا تكترث البنت لغيابه ، لجهلها بما وراء تصرفه ٠٠ ومن ثم يفترقان ، دون أن تدرك الصغيرة انها تسببت فى كبرى معجزات الحياة ٠٠ أرسلت وميض الحب فى قلب رجل !** ٠٠ فهى تمضى فى الحياة لا تفطن الى أنها المسيطرة، المهيمنة، الملهمة، لاعمال صاحبها ٠٠ وربما طال بينهما الفراق، وخلقت الاوضاع الاجتماعية بينهما حواجز وعقبات، ولكن بذرة الحب تظل فى نمو ـ دون أن يفطن اليها أحدهما ـ حتى تصير شجرة وارفة الظلال ٠٠ وبتعبير آخر ، تظل شرارة الحب كامنة ، متحفزة لان تتقد وتستعر لو قدر للشابين أن يلتقيا فيما بعد ـ لا سيما اذا ظلت الفتاة بدون زواج ـ واذ ذاك تصادف الفتاة أكبر مفاجأة : اذ تكون قد أيقنت أن الفتى نسيها ، فاذا بها تباغت بأنها كانت قرينة « النفس السامية » الساكنه فى أعماقه ، وانها كانت مبعث الوحى فى كل أعماله ٠٠ ومن المحتمل أن يكون الرجل قد تزوج ، وأن يكون قد اطمأن

الى ما يسمونه « حياة زوجية هانئة » ، ولكن هذا لا يحول دون أن يكون لصاحبته الاولى وجود حقيقى فى حياته طيلة هذه الاثناء ، وهى لا تدرى ٠٠ ولا هو يدرى !

امرأتان فى حياة « دافيد كوبرفيلد »

◆ **وكم** من نسوة يستشعرن فى حياتهن فراغا موحشا ، وجفافا ممضا ، يحاولن التغلب عليه بالانصراف الى الجهود النبيلة ٠٠ ولكن الواحدة منهن تظل قلقة ، حائرة ، تحس اذا ما خلت الى نفسها بأن حياتها هباء ، لانها لم تجد رجلا يحبها ، ولا طفلا تنتشى بجرس صوته اذ يناديها : « أماه ! »

هذه حال أخرى مغلقة ، تحتاج الى مفتاح ٠٠ وقد نجد فى الادب الرفيع ما يساعد على جلاء الغموض المبهم فى حياة مثل هذا الصنف من النساء ٠٠ ولنكتف هنا بمثلين :

كان « تولستوى » يؤمن بأن « دافيد كوبرفيلد » خير رواية أخرجت للناس ، لانها تمثل قصة حياة « ديكنز » نفسه ، وقد جهد فىسترهاوراء شخصيات خيالية ٠٠ وقل من استطاع من القراء أن يدرك الهدف الحقيقى لهذه القصة الخالدة !٠٠ بل قل من الكتاب من أوتى البراعة ليرسم صورتين تبين فيهما الفوارق التى أظهرها «ديكنز» فى تحليله لشخصيتى «دورا» و «آجنس» فى قصته تلك،فهو قد بلغ أوج السمو الفكرى اذ رسمهما ليثبت أن حياة الرجل قد تخضع لتأثير نفوذ مزدوج : النفوذ الظاهرى الخادع ، وهو النفوذ الغالب ، ثم النفوذ المستتر الكامن الذى يمثل الحقيقة الصامتة ، وهو النفوذ المغلوب !

فلقد أحب « دافيد كوبرفيلد » زوجته « دورا » ، ولكن طيف «آجنس» كان معه دواما ، يخف لمواساته فى الضائقات ٠٠ وكم كان نبيلا فى كتمان سره ، وفى البقاء على وفائه لزوجته - رغم الضنى - لانها كانت لا تألو جهدا فى اسعاده ! ٠٠ وقد اثبتت « دورا» من ناحيتها انها من أعظم النساء ، فمع انهـا كانت

تعرف سر زوجها ، الا أنها ظلت تحبه ، ولا تضن بجهد لمواساته وتعويضه عما فاته ٠٠ حتى اذا أحست بالمنيـــــة تدنو دعت « آجنس » الى مخدعها فهمست لها بآخر كلمات حبها ، وأسلمت زوجها الى رعايتها ٠٠ فتزوج دافيد بعدها من الفتاة التى عمر قلبه بحبها من البداية ٠٠

ولكن هب أن « دافيد » ـ أو بالاحرى « ديكنز » ـ لم يتزوج من « آجنس » أفكان أثرها فى حياته يقل ويضعف ؟ ٠٠ لا ، فقد كان مقدورا أن يراود طيفها فكره وخياله حتى نهاية الاجل ! ٠٠ وهذا ما نعنيه ب « الحب السامى » أو الطاهر ، الحب الذى لا يعنى باتحاد الجسدين عنايته باندماج الروحين ٠٠ وهذه هى الرابطة الروحية ، لا تخضع لنظام بشرى، لان الطبيعة توجهها ٠٠ وويل لمن يعارض حكمها متأثرا بفوارق اجتماعية أو مادية !

بل ان هذه الحقيقة لكفيلة بأن تنقذ العالم من قضايا الطلاق، لو تدبرها الجميع وعملوا بها ٠٠ اقرأ ما كتبه ديكنز على لسان دافيد كوبرفيلد ، ولعله أسمى ما كتب رجل عن امرأة : « **والان اذ اختتم قصتى، تخبو هذه الوجوه من ذاكرتى ليبقى وجه واحد، متألق ، يفيض على نورا سماويا ارى تحته كل الاشياء الاخرى ٠٠ ان ذلك الكائن الحبيب ـ الذى ما كنت لولاه شيئا يذكر ـ يؤنس وحشتى ٠٠ أواه يا آجنس ! أواه يا روحى ! ٠٠ ليت وجهك يبقى الى جوارى حين أغمض عينى على آخر مناظر الحياة ٠٠ ليتنى أجدك قريبة منى لتهدينى طريقى الى السماء ، حين تتلاشى الحقائق من أمامى كالاطياف التى أذبها الآن عنى ٠٠** »

هذا هو الحب الذى لم يعن الوعاظ باطلاع الناس على حقيقته وطبيعته ٠٠

حب دانتى لبياتريس

◆ **أما مثالنا** الثانى فنجده فى « الكوميديا الالهية » التى وضعها « دانتى » ، فهى الاخرى تتضمن كثـــيرا من المعانى المستترة ٠٠ فان وجه « بياتريس » لا يبرح «دانتي» قط ، بل

هو يصحبه فى الجحيم فيضىء له سلم المطهر ، ويرقى به الى الفردوس ٠٠ وان أولى لمحات العاطفة لتومض حين تدعو بياتريس الروح المعذبة كى تدنو منها ٠٠ وما أروعها من فكرة تلك التى أوحت الى دانتى ان يركز عاطفته ويحصر خياله فى «بياتريس» ـ مع اننا لا نجد فى سياق القصيدة ما ينم عن انه باح للمرأة بعاطفته الخبيئة ـ فاذا بالفكرة تلهمه ان يقسم الكون الى ثلاثة عوالم ، يضيئها جميعا وجه بياتريس ، كأنما عز عليه أن يضىء وجه الحبيبة عالما واحدا ٠٠

ان حياة « دانتى » سفر مفتوح : فلقد اختلف مع السلطات الحاكمة فى فلورنسا فأقصى عن وطنه ليعانى تعاسات لا قبل بوصفها ، **ولكن فؤاده كان ينطوى على كنز لا تستطيع قوة دنيوية ان تجرده منه ٠٠ كان ينطوى على حبه لفتاة تدعى « بياتريس » ، رغم انه كان متزوجا ٠٠ أجل ، كانت بطلة « الكوميديا الالهية » من لحم ودم ، التقى بها الشاعر فى صدر شبابه ، ووصف لقاءه بها وفراقه لها فى قصة « الحياة الجديدة » ٠٠ ثم سار كل منهما فى طريقه فى الحياة ٠٠ وماتت المحبوبة غير عالمة بأنها ستبقى الى الابد صاحبة الاثر الاكبر على عقل رجل من أعظم نوابغ التاريخ البشرى !**

أفتراها بعد ذلك عاشت عبثا !؟

لسوف نرى فى الفصل الثانى انها التى أوحت الى دانتى بنظريته عن الكون كما صورها فى الكوميديا الالهية ٠٠ فقد تراءى لدانتى أن الكون مقسم الى ثلاث طبقات ، تتناثر خلفها الكواكب ، ويحيط بها الفراغ اللانهائى الذى أوقفه « دانتى » على « بياتريس » وحدها ! ٠٠ فقد أحالهما الحب الى كائن واحد ، وبلغ من ايمان الشاعر بذلك أن تحدى القوى الالهية أن تفصل بياتريس عنه ٠٠ فظل وجهها يتبعه حتى اللحظه التى سقط فيها على عتبة احد الاديرة ليجود بالنفس الاخير !

وليس من شك فى أن فراق دانتى عن بياتريس قد افعم قلبه سخطاً على الاقدار ٠٠ ومع أنه تزوج بعد ذلك ، الا أن أمواج السخط ظلت تصطخب فى أعماقه ٠٠ ولو أن بياتريس صحبته حين أقصى عن الوطن ، ما حظى العالم ب « الكوميديا الالهية » ٠٠ ولكن القوى المهيمنـــة على الكون ـ وهى أعظم سلطانا من حكام فلورنسا ـ اصطفت دانتى لعمل مجيد ، فدبرت الالهام الذى ملأ روحه فأوحى اليه بملحمته الخالدة ٠٠

واذا كان يجدر بالانسان أن يؤمن بأن هناك يدا مرشدة ، هادية فوق كل ضلالات الحياة ، فان دانتى آمن بهـــذه القوة المرشدة فتمثلت له فى وجه « بياتريس » الذى خاله ملازما له حتى وهو يجتاز أبواب الجحيم !

وفى الحياة آلاف من أمثـــال دانتى يسعون على الارض فى ارتقاب لقاء « بياتريس » الاحـــلام ٠٠ وكم فى البيوت من « بيـــاتريس » تنتظـــر من يكشف سر حياتهـــا ٠٠ واذا كانت « بياتريس » الاصلية لم تعرف مدى تأثيرها على «دانتى» ، فالواقع انه ليس فى الوجود امرأة تدرى مدى سلطانهـــا على سواها ، اذ أن أقوى نفوذ نستطيع أن نفرضه على غيرنا هو ذاك الذى ينبعث منا دون ادراك أو شعور !

٢ ــ الحب الملهم !

◆ **من** الظواهر المشوبة بالغموض ، أن نجد فى الحيـــاة رجالا ونساء يؤثرون العيش دون زواج ٠٠ وقد يتلمس الواحد منهم الوسائل ـ طيبها وخبيثها ـ ليملأ ما يشعر به فى حياته من فراغ، ولكن محاولاته تذهب عبثا وتخلفه وحيدا فى زمهرير الحياة ٠٠ وقلما يفطن الذين يصفون هؤلاء العزاب بألقاب مثل: « العذراء العجوز » أو « العانس » أو « الاعزب » ، الى ما فى التاريخ وتجارب الحياة اليومية من دروس وعبر ٠٠ **فان وراء حياة**

كل أعزب سادر فى الوحدة ، سرا يلعب فى حياته دورا مهما ، وهو موجود سواء عثرت عليه أو أخفقت ، لان من قواعد الطبيعة الاساسية ان كل مخلوق سليم يبحث عن الفه وقرينه ..

واذا كان الامر كذلك ، فكيف يحدث اذن ان لا تتاح لخير الرجال والنساء أن يتزوجوا ؟ .. لماذا تضيع على كل منهم فرص لقاء صنوه ؟ .. لماذا يغلق باب الحب دونهم ، كما يبدو لنا ؟

الواقع ان البحث والمراقبة أثبتا ان كثيرا من هؤلاء الذين يبدو انهم يعيشون فى وحدة ، ليسوا ضحايا القدر ، ولم يغلق باب الحب دونهم ، وانما اختارتهم الطبيعة بالذات كى يعيشوا هكذا لاغراض سامية ، ونهايات عظيمة ..

ومرة أخرى ، تساعدنا دراسة قصة دانتى وبياتريس على تفهم هذه الحقيقة .. وأول ما نلاحظه أن معظم الذين كتبوا عن أهم الاحداث فى حياة دانتى ، قبل نشر الكوميديا الالهية ، لم يوردوا ذكرا لبياتريس ، رغم انها أهم هذه الاحداث اطلاقا . وهذا فى حد ذاته ينم عن معنى عظيم ، هو ان الدنيا لم نعرف سر دانتى الى أن نشرت « الكوميديا الالهية ! » .

ولقد ذكر « كارليل » ان دانتى لم يحظ من بياتريس باهتمام غير عادى . ومع ذلك فهى تتألق فى شعره وفى الكون الذى رسمه فى خياله .. ولقد تزوج من سواها ولكن زواجه لم يوفق .. وحين ماتت بياتريس غرق دانتى المسكين فى لجج الاسى ، بيد أن وجه بياتريس ظل يغذى فى كل يوم الهامه ، ونبوغه ، وخياله .. فتبعه الى أعماق الجحيم ، ورافقه فوق مدارج الجنة .. أفتكون بياتريس اذن قد عاشت عبثا ؟ .. أو هل تعد حياتها فارغة فاشلة لانها ماتت غير عالمة انها وهبت العالم شاعرا لا يضارع فى ابداعه ؟

فلم لا يكون كل أعزب راحل ، أو عانس راحلة ، على غرار بياتريس ٠٠ أحدث فى الحياة حدثا وهو لا يدرى ؟

ان ذلك الهوى المتقد الذى تملك دانتى قد سما بحياته عن ان تكون مجرد لغو أو ضلال زائف ٠٠ وبرغم ان صلتــه ببياتريس كانت بسيطة ، قصيرة الامد ، فان اتصال عقــله الباطن بها كان قويا ، خالدا ، فاذا به يلتقى بروحها ، واذا بصورتها تنطبع على فؤاده ، واذا طيفها يضىء له ظلمات أحداث حياته ، ويرافقه فى مدارج الحياة ، وفى انتقاله منها الى خضم الابدية الساكن ٠٠ ولولا ذلك لالفى دانتى الكون فارغا ٠٠ ومع ذلك ـ وهو الامر المهم ـ فان بياتريس لم تك دارية بشىء من هذا ٠٠ أفليس فى هذه الحقيقة عبرة ؟

الحب أحال الفارس شاعرا !

◆ **وقد** كانت أول مرة رأى فيها «دانتى» بياتريس وهو بعد صبى ، فلما بلغ الثامنة عشرة كتب لها قصيدة عن حلمه الجميل وذيلها واصفا نفسه بأنه « أكثر الخلق اخلاصا للحب » ٠٠ فتأمل ! ٠٠ لقد مست الفتاة أوتار حياته الباطنة ـ وما كان بوسعه هو نفسه ان يعلل ذلك ـ فاحالته هذه التجربة الى شاعر حالم شارد الخيال ، فى حين ان دانتى لم يكن رجل أحلام ، فقد نشأ مقبلا على الدراسة ، وعلى تقوية جسمه وعضلاته ، والتحق بفرسان «فلورنسا» ، وحارب بجرأة وشهامة فى معركة «كامبالدينو» وهو فى حوالى الرابعة والعشرين من عمره ٠٠ ونكاد نشعر من هذا بأن حبه لبياتريس الهمه أيضا ان يعمل على اظهار رجولته ٠٠ ولكنه مع ذلك لم يعـــرض الزواج على بياتريس ٠٠ الى ان كان يونيو سنة ١٢٩٠ ـ وهو فى الخامسة والعشرين ـ فاذا الفتاة تقضى نحبها ، مخلفة وراءها عقلا من أكثر العقول تألقا ونبوغا ، يبعث حولها هالات من المجـــد ، ويعيش على ذكراها ٠٠ ومع انه تزوج بعد ذلك ، الا أن زواجه

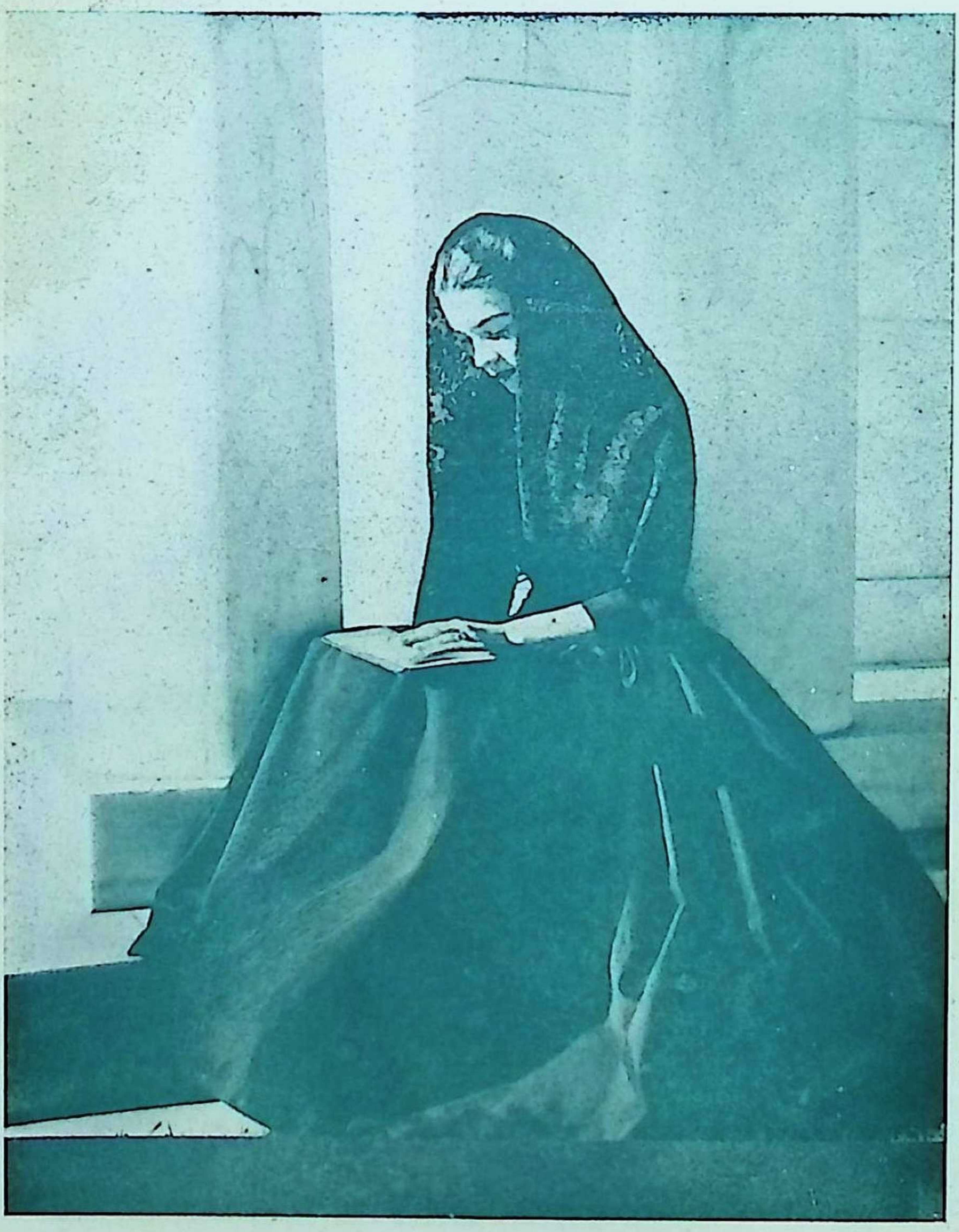

« أنفاس الماضى » لوحة فوتوغرافية فازت بجائزة عالمية ، من تصوير « بوريس دوبرو ، كاليفورنيا »

دانتي ، وقد خطفت قلبه رؤيته لملهمته « بياتريس » فى الطريق ، عن لوحة للرسام الانجليزى « هنرى هوليداى » فى متحف (ووكر) بليفربول

كان فاشلا ، فقد ظلت روح بياتريس تسيطر على حياته، وكأنها تعيش الى جواره على قيد الحياة !

هذا هو الحب القدسى العميق ٠٠فهل يقاس هذا بالزيجات المدبرة ، المرسومة ؟ ٠٠ لقد استطاع دانتى بما أوتى من براعة مزج النظم بالنثر ، ان يرينا كيف جعل من حبه لامرأة ، طريقا يرقى به من الأرض الى السماء ٠٠ وكيف أرسل روحه الهائمة تتبعها فى رحلتها الى الفردوس ، وقد يعجز العاديون من الناس عن أن يشعروا بمثل هذه العاطفة الطاغية ، هذا الحب القدسى السامى ، وما ذلك الا لانهم يخطئون قراءة قلب الانســان ، ويعمون عن تعرف اثر هذه العاطفة الروحية فيمن تحل فيه٠٠ فى الصبى الفلاح ــ مثلا ــ اذ يدفع محراثه فى الحقـل وهـو يصفر مرحا ، وينكب على العمل أنشط ما يكون لانه عثر على فتاة أحلامه٠٠ ولو انها ماتت لهام فى الطرقات منكس الرأس محزونا ٠٠ **ويقول «كارليل» ان أهالى «فيرونا» كانوا يقولون كلما رأوا دانتى فى الطرقات : « أنظروا !٠٠ هاهو ذا الرجل الذى يعيش فى الجحيم ! » ٠٠ وكان يعيش فى الجحيم حقا ٠٠ كان يعيش فى أسى عميق ، وشجن ، وصراع ، ككل رجل فجع فى حبه، ولولا ذلك لما حظى العالم بكوميديته الالهية ــ (وأجدر الكتب بالقراءة هى تلك التى تأتى ثمرة للالم والعذاب!) ــ اذ أحس بعد موتها بأنه فقد الدنيا بأسرها ، ولكنه كسب نفسه وروحه ٠٠ أفلم يبر بما وعدبه من أن يقول فيها « ما لم يقله رجل فى امرأة »؟**

ولقد عدا الدهر على قبر بياتريس فأزاله ، وأصبح جسدها ترابا لعل الرياح قد ذرته ، دون أن تدرى بالاثر السحرى الذى خلفته حياتها الهادئة التى كانت بمعزل عن الاضواء ٠٠ وليس من شك فى انها ــ خلال هذه الحياة ــ قد تبادلت الحديث مرة أو اثنتين مع دانتى «ولعلهما لعبا معا وضحكا سويا ، ولكنها

قط لم تفطن الى ما كان يعتمل فى قلبه .. وما خطر لها أن تلك اللمحات القصار قد تمخضت عن عاشق أوحى له حبه لها بأثر خالد ما دامت الدنيا !

ومن أدرانا ان الدنيا ليست مليئة برجال ونساء ـ يفوقون الحصر ـ على شاكلة دانتى الذى أقام لحبيبته فى كتابيه «الحياة الجديدة» و «الكوميديا الالهية» نصبين تذكاريين باقيين على الدهر .. ولكن ، من منهما صاحب الفضل الاول فى هذين الكتابين ؟ .. الواقع انها مشكلة عويصة ، ولكن الذى لا شك فيه ان أحدا ما كان ليحظى بهذين الاثرين الادبيين الرائعين لو لم تعش بياتريس ! .. ومع انها ماتت دون أن تدرك ما كان لها من أثر ، الا ان موتها لم يقض على القوة الخفية التى أوحت لعاشقها بتلك الاهازيج التى بعثها بها من جديد ، فاذا هى حية رغم الموت .. باقية رغم الفناء !

مصباح يضىء فى الظلام !

◆ **ولكن** .. ما أشنع الخطأ الذى يقع فيه أى قارىء اذا اعتبر ما كتبه دانتى من شعر عن بياتريس مجرد أحلام شاعر يهيم وراء الخيال ، أو يسعى وراء مثل أعلى ! .. لقد خاض معركة هوجاء ، وقاسى كل أنواع الصراع وألوان الشقوة ، ولكن الاقدار شاءت أن يذكر فى غمرات الضيق والعناء وجهها ، فكان مصباحا يهدى خطواته وسط أهوال الجحيم .. ومع ذلك ، فلا تنس أن صلته الروحية بالفتاة ظلت سرا دفينا فى قلبه الجائع .. وأى جوع ! .. جوع طاغ استطاع هو أن يقهره بما كتب !

الواقع أنه لن يقدر لغير من عانى ما عاناه دانتى ان يقدر كلماته ويتفهم روح معناها .. ولكن كل امرأة يحيرها أمر مصيرها تستطيع أن تجد فيها الهاما وراحة .. **فلقد كان سر دانتى حبيسا عن بياتريس، ومع ذلك، فهل شهد العالم**

روحين ارتبطتا ارتباط روحه بروحها ؟ ٠٠ وهل يجوز لنا ان نعتقد بأن الكون خلق ليضيع فيه مثل هذا الحب عبثا ؟ ٠٠ اللهم ، لا ٠٠

ورد فى بعض الاناشيد الكنسية ان «لله تصرفات غامضة!» ٠٠ وكم من اناس ترنموا بهذه الكلمات دون أن يسبروا غورها، وان رأى فيها غيرهم تفسيرات لغوامض حياتهم ٠٠ فما هذه الكلمات سوى لمحة فطرية أرسلتها الروح الى أغوار الاحداث التى لا يستطيع العقل الآدمى ان يعللها بأى مقياس من مقاييس التعليل والمنطق ٠٠ ولقد تزعزعت العقائد الدينية فى أعماق الاديبة الانجليزية « جورج اليوت » ـ التى سنتحدث عنها فى الفصل التالى ـ كما تترنح السفينة عبثت بها الانواء ، ولكنها وجدت راحة بالها قرابة نهاية عمرها ، فى حب رجل عانت من أجله أفظع آيات الاضطهاد !

٣ ـ عندما تحب المرأة !

◆ **ولعل** من أبرز مفارقات الحب ، ان هذه العاطفة التى تعد أعذب وأجمل ما فى الوجود ، تستطيع أن تخلق المآسى فى الحياة البشرية٠٠ولعل كثيرين منا نحن رجال الدين قد أطالوا التفكير فى ذلك الحب الاكبر الذى قاد صاحبه الى الصليب ٠٠ حب المسيح لله ٠٠ وما حب الله سوى صورة من صور الحب تسامت إلى الذروة العليا ٠٠

ذلك هو الحب الصادق ٠٠ عاطفة قدسية تجعل صاحبها على استعداد دائما لان يتحمل العذاب ، بل ولان يموت فى سبيل غايته ٠٠ هذه حقيقة تبدو خلف كل الحالات، والعادات، والقوانين الانسانية ،والصور ٠٠ ولا يمكن أن تأتى اصطناعا، بل هى شرارة تندلع من صدر الطبيعة فتحرق كل ما يعترضها وتطغى على كل قيد أو سياج ٠٠ بل هى ليست عاطفة ، وان

صورتها الطبيعة فى هذه الصورة ، وانما هى قوة قائمة بذاتها تعيش ، وتتطور ، وتنمو مستقلة عن كل علاقة بدنية ٠٠ فالرجل قد يرى ألف امرأة ، ويعجب بهن ، وقد يشتهيهن ، ولكنه لا يحب غير واحدة ٠٠ يحبها دون أن يدرى لهذا الحب سرا !

وقد ترى المرأة من الرجال من تخال أنها تميل اليه ، ثم لا تلبث أن تتبين أن هذا الميل ليس حبا ، وانما هو مجرد نزوة طاغية ، لا تلبث أن تخمد ٠٠ فى حين ان الحب جذوة تستعر فى القلب ، فلا يقوى شىء على ضغطها أو اخمادها ٠٠ وانما تظل تتألق فى أشد الليالى حلكة ، وتتحمل كل شىء ، وتصمد الى أطول مدى ٠٠ انها ليست غريزة يحظى بها كل مخلوق ، وانما هى لغز فى أعماق النفس لا يتأثر بشىء ، بل يتملك صاحبه فيسلبه زمامه تماما !

وقد تختار المرأة لنفسها رجلا يكون آخر من يستحسنه العالم لها ، فتنطلق الاعتراضات من كل صوب ، وتقفل أبواب المجتمع فى وجهها ، ولكنها تبقى هادئة ، هانئة ٠٠ فهى تحب هـذا الرجل الذى لا يجد سواها فيه ما يجذب الاعجاب ، وان عجزت عن أن تبرر حبها !

مثل هذا الحب ليس له ــ ولا يمكن أن يكون له ــ ان يتقيد بمبررات رسمية ، فهو يسخر من القوانين التى وضعها الانسان الجاهل ، اذ له هو قوانينه الخاصة ! ٠٠ ولا ريب ان القوانين التى تقيد الزواج تشريعات لا غنى عنها ، ولكنا الآن لا نتحدث عن الزواج ، وانما عن تلك القوة الروحية المسيطرة التى نصفها هنا بـ «الحب» ٠٠ ومما يؤسف له أن توفر هـذا الحب لا يشترط فى الزواج ، فى حين تشترط ــ لا سيما فى الزيجات المدبرة ــ أمور مثل المكانة الاجتماعية والمصالح المالية ، ورابطة البدن ٠٠ الخ ٠ ومثل هذا الزواج سخرية من الله يندفع اليها

الانسان بحافز من الغرور ‥ وان المرأة التى يحملها حبها على أن تتحدى مثل هذا الزواج لهى بطلة ‥ والرجل الذى يقول: «أنا أحب هذه المرأة ولو نقم المجتمع على هذا الحب » ، هو الآخر بطل ‥ لان هذا الحب هو العاطفة الوحيدة التى تتسق مع قوانين الفطرة ، وتلائم أصول الخليقة ‥

وما أوسع الفارق بين هذه العاطفة وما اصطلح الناس على تسميته بـ « الحب » ! ‥ فلقد يتوق الرجل الى ما يسميه « الزواج» ، فما ان يلتقى بفتاة مليحة ، أنيقة ، توليه « نظرة استلطاف » ، حتى يميل اليها ‥ ويعتقد الغريران انهما قد تحابا ، فيتلهفان على الزواج ‥ ويتبادل أقارب الفتاة همسات الرضى بما يصفونه بـ «وقعتها» ‥ وقد لا يكون ثمة ما يحول دون أن يسعد الشابان ، وان يصمد حبهما أمام عاديات الزمن ، ويثبت انه حب صادق‥ولربما هبت زوابع الغضب والشقاق، ودب الخصام ، أو مالت الغواية بأحد الزوجين ‥ وهنا وجه العجب فى الحب الحقيقى ، اذ أنه يحول كل هذه العوامل الى موارد للتفكهة لا للانفصال !

أما اذا لم يكن الحب الحقيقى متغلغلا فى أعماق القلب - كما خرجت من دراساتى ومشاهداتى لكثير من الزيجات - فان هذه العوامل تعصف بالعاطفة الزائفة التى كانت ترتدى ثوب الحب ، وتكون النهاية ‥ فى ساحة محكمة الطلاق !

ينبغى أن يفهم العالم حقيقة الحب !

ان المشكلة التى نحاول معالجتها ذات خطورة لكل امرىء، وكل بيت ، وكل بلد ‥ بل للعالم على سعته ، فكلنا فى حاجة ماسة الى أن نفهم حقيقة الحب‥

وقصة « جورج اليوت » - أو بالاحرى « ماريان ايفانز » - مثال يستحق الدرس فى هذا الصدد ، فلقد استطاعت هذه الاديبة الانجليزية ان تنفرد بمكانة خاصة بين شهيرات الاديبات

فى التاريخ ، لانها تحدت تقاليد الزواج الصارمة التى كان المجتمع الانجليزى يخضع لها فى عهد الملكة فيكتوريا ، لمجرد انها « أحبت » ٠٠ فقد كان الحب فى نظر تلك التقاليد اثما عظيما !

ولو انها كرهت الرجل الذى كان موضع حبها ، لكرمها المجتمع واعتبر سلوكها ورعا وتقوى ! ٠٠ أما وهى قد نظرت الى الزواج كقيد خارجى ، يحيط بالبدن والمكانة الظاهرية فحسب، لا كرابطة ينبسط سلطانها على روح الانسان وقلبه وعواطفه٠٠ وأما وقد آمنت بأن الزواج الحقيقى هو ذاك الذى يربط بين زوجين ، برغبة متبادلة ، ورضى مشترك ، وليس ما عدا ذلك سوى نشاز زائف مناف للاصول الاخلاقية والادبية ٠٠ أما وقد كانت هذه آراءها ، فان الدنيا ـ سيما رجال الدين ـ تنكرت لها ، وأوصدت الابواب فى وجهها ، ودفعت هذه العبقرية الى برودة الهجران والنبذ، وعدتها مذنبة، ساقطة، محملة بالآثام!
ـ حتى لقد شاع فى انجلترا اذ ذاك اصطلاح لا يزال يردد الى اليوم ، فى استنكار مسلك أى خاطىء أو خاطئة ، فيقال انه تصرف « على شاكلة جورج اليوت » à la George Eliot !

هكذا أخفق المجتمع الفكتورى ـ بكل ما كان يصطنعه من مبادىء براقة عن الطهر والتقوى ـ فى أن يكشف لمحة من سر حياة هذه الاديبة المتمردة ، وفى أن يصل الى أعماق أفكارها ٠٠ ولو اننا حكمنا على سلوكها على هدى القوانين التى وضعت لضمان قسط من الاخلاق والاداب بين البشر ، لحق علينا ان نصمها بالعار ٠٠ فقد أخطأت وأثمت ٠٠ لكننا اذا استعرضنا الامر على ضوء وجهة نظرها لرأينا فكرها وسلوكها أنصع من الجليد بياضا ٠٠ وخاصة اذا قسنا علاقاتها برجلها ، بتلك الزيجات المدبرة التى ثبت انها ليست سوى ألوان من الحرام أضفى عليها بريق الحلال !

جمال النفس قبل جمال الجسم !

جورج اليوت

◆ **وأول** مايسترعى الاهتمام - اذ نستعرض قصة جورج اليوت - ان الحب الحقيقى الصادق لا يتطلع الى أى جمال سطحى أو أناقة متكلفة ٠٠ ولو اننا تطلعنا الى وجه « ماريان ايفانز» - وهو الاسم الاصلى للاديبة - لاخذتنا منه مسحة من الرجولة، وشىء من زيغ البصر «الحول»، وأنف ضخم، وذقن عريضة٠٠ أجل، لم يكن وجهها جميلا ، ولكن عينيها كانتا واسعتين ، متألقتين برغم تقارب انسانيهما ، تنعكس فى أغوارهما عوالم من الرؤى والاحلام ٠٠ وكانت صفحة الوجه غير الجميل تطفح بنفحات من خلق راق ، وقوة روحية طاغية ٠٠ هذه هى المرأة التى قالت انها لن تستشعر راحة لو انها تركت ظلا من الخطيئة يحجب الله عن نفسها !

فمن كان الرجل الذى هامت به ؟ ٠٠ كان جورج هنرى لويس ، أقبح رجال لندن شكلا ٠٠ وكان زريا ، قميئا ، حتى لقد كان الاطفال يجزعون من وجهه المكسو بالشعر الكثيف ٠٠

ومع ذلك فان جورج اليوت - التى وضعت قصة « آدم بيد » وسواها من القصص الفذة المشوقة - غرقت فى هواه بكل جسدها ، ونفسها ، وروحها ! ٠٠ ومن الانصاف ان نقول انها لم تمل اليه فى البداية ، لولا سجية واحدة فيه ٠٠ فقد فطر على التفانى فى الولاء والتسامح ، اذ تزوج من امرأة حسناء ، ولكنها كانت مخادعة - حتى ان اثنين من الاطفال الذين أنجبتهم

لم يكونا من صلبه ! ومع ذلك فقد غفر لها ٠٠ فكان جزاؤه أن فرت مع عشيق لها ٠٠ وبرغم ذلك فانه لم يحقد عليها ، بل رعى أولادها ، حتى الاثنين اللذين مثلا خطيئتها وخيانتها !

عين المحب !

◆ **وكانت** جورج اليوت ـ ذات الفكر الواسع والخيال الجامح ـ ترقبه بتسامحه، ومرحه، وذكائه، وروحه الضاحكة ٠٠ واستطاعت أن تغوص فى أعماقه الى أبعد مدى ، فاذا بها تكتشف صفات مستترة ، أيقظت فى نفسها حبا ظل متقد الاوار الى نهاية العمر ٠٠ ولقد استجاب الرجل لحبها ، فعاشا فى سعادة مثالية ، ولكن المجتمع والاقارب ثاروا عليها ، وتنكروا لها ٠٠ فلم تزدد الا تشبثا به ، اذ أيقنت انه قرين الروح الذى كتب لها فى لوح القدر ، وأن تنكر الناس لا يستند الى قوانين الكون ، وانما هو وليد تطفل البشر وفضولهم ، فعولت على أن لا تخضع لعرفهم وتقاليدهم ٠٠ وكان ان أوصدوا الابواب فى وجهها أينما ذهبت ، فآثرت ان تمضى على هدى الضوء المنبعث من أعماقها ، غير حافلة بشىء !٠٠فقد بدا جورج هنرى لويس لبصيرتها الباطنة مثالا للجمال ـ وللحب عينان تريان ما لا تراه العيون ! ـ وآمنت فى قرارة نفسها بأنه النصف الآخر لهذه النفس ٠٠ وقد كتبت فى ذلك تقول :

« أى شىء أعظم لنفسين آدميتين من أن تشعرا بأنهما قد اتحدتا مدى الحياة ، تؤازر كل منهما الاخرى فى كل كفاح ، وترتاح اليها فى كل ضيق ، وتتعزى بهـا فى كل أسى ٠٠ وتندمجان معا فى شخص واحد فى ركب الذكريات الصامتة التى يستعرضها كل منهما فى لحظة الفراق الاخير ! »

هذه كانت وجهة نظرها ، وقد أثبتت حياتها مع لويس انها كانت وفية لهذه العقيدة ٠٠ وتقول الآنسة فريمانتل ـ التى كانت آخر من تعرض لسيرة جورج اليوت من الكتاب ـ « قط

لم يكن فى الزواج قوة الرابطة التى كانت بين هذين الاثنين ·· وأبدا لم يعش مخلوقان آدميان على وفاء فى الحلال ، كما عاش هذان فى الحرام ! »

ولن ننكر صفة « الحرام » مهما كانت الوقائع ، اذ كان لويس عاجزا عن السعى للطلاق من زوجته ، لاعتبارات مادية وغير مادية ، ولكن الحقيقة الواضحة هى ان « الحب » ذلل كل الحواجز بين العاشقين ·· وما أروعها من عبارة مؤثرة تلك التى قالتها جورج اليوت بعد موت لويس : « لقد آمنت بأن الدنيا ولت معه » ·· ومع انها تزوجت ثانيــــة وهى فى الحادية والستين، الا أنها لم تلبث أن ماتت بعد سبعة شهور·· وكانت طيلة الزمن الذى تقضى بعد وفاته تشعر بأنها تعيش على الرغم منها ، حياة لم يعد لها فيها مغنم ولا سلوى ·· وقد أضناها الهم والتفكير حتى ماتت ·· وما أبلغها اذ قالت : «اننا جميعا نعيش فى وحدة موحشة ، فى أعمق أغوار كياننا »

والوفاء للحب فى حياة جورج اليوت يزداد روعة وجلالا اذا ما نظرنا اليه على ضوء تجاربها الدينية ·· فقد ظلت تتقلب بين مذاهب الكنيسة حائرة ، لا تكاد تدرى أى مذهب ذاك الذى تؤمن به ، اللهم الا مذهب الواجب ، والثقة فى عقيــــدتها ، واليقين من عاقبتها ·· كانت كسفينة تقاذفها الموج من كل جانب ، ولا ملاذ لها سوى حبها لجورج هنرى لويس !

٤ ـ الحب المرفوض !

◆ **ما أشبه** الحب بقوس قزح فى ألوانه ! ·· ومن ثم فان له وجها مظلما ، كما أن اللون الاسود يحتل مكانا بين ألوان القوس ·· وهذا الوجه المظلم يتمثل فى « الحب المرفوض » ·· فليس أقسى فى حياة أى رجل أو امرأة من هذا اللون القاتم الذى غير حياة كثيرين من البشر !

وقد لا يرفض الحب عن كراهية ، بل هو فى أغلب الاحوال يرفض تحت تأثير ماكر خفى قل أن يذكر أو يعلن ٠٠ اذ بينما يبدو للمحب أن فى الصد قسوة ، نجد أن المحبوب مضطر الى أن يخضع لظروف يراها ويلمسها ، وان لم تبـد للمحب

وكثيرا ما يخلق الحب المرفوض مشكلات لا حل لها ، لا سيما اذا قدر على المحب أن لا يهوى انسانا آخر غير ذاك الذى صده ٠٠ ومعظم الرجال يكونون فى حالة الرفض أكثر حساسية وتأثرا منهم فى أية حالة أخرى ٠٠ حتى لقد ينجلى الامر عن مأساة ٠٠ **وكم من مآس وقعت تحت أبصارنا لهذا السبب : فلقد عرفنا رجالا أفحمهم مثل هذا الصدود، فلميعودوا يبتسمون أو يتلطفون فى حضرة أية امرأة أخرى ، لان الرفض أوصـد قلوبهم وأحكم رتاجها ٠٠ وقد عرفت رجلا لزم ـ فى حال كهذه ـ صمت أبى الهول ، وأعرض عن الناس ، وأخذت صحتـه تنهار ، حتى مات ٠٠ وكانت آخر كلمة انفرجت عنها شفتاه هى ٠٠ اسم المرأة التى صدته !**

ولسنا هنا بصدد رواية المآسى ، بل ان هدفنا الرئيسى هو أن نثبت ان « الحب الصادق » حقيقة موجودة ، وانه يختلف عن ذلك الود النزق ، الصاخب ، الثرثار ٠٠ فهو ـ كما وصفته مسز توماس كارليل ، زوجة الكاتب والاديب والمؤرخ الخالد الذكر ـ « لهب أثيرى ، يتصاعد من موقد لا نار فيه ، ويتسامى حتى يتلاشى فى الابدية » !٠٠ ترى هل عرف « كارليل » هذه العاطفة التىوصفتها زوجته ؟

أنساه العمل زوجته !

◆ **ان** الذى يتأمل كيف أفرغ كارليل مواهبه فى تصـوير « بلومن » ـ فى « سارتور ريسارتس » ـ يدرك أنه عرفها ٠٠ فقد صور « بلومن » فى صورة مخلوق غامض ، جميل ، ذى قداسة وجلال ٠٠ وما كانت السحابة القاتمة التى تجمعت فى

سماء بيت كارليل الا نتيجة كتمانه الحب فى قلبه ، وجهله بوسيلة شرحه لحبيبته ـ وزوجته ـ « جين » ٠٠ كان حبه يغذيه ، ولكنه جهل كيف يشرك معه زوجته فى الغذاء ، فتركهاجائعة! ٠٠ حتى اذاماتت، تبين بعد موتها ، وبعد فوات الفرصة ، ان حبه يدعوه ويهيب به أن يعلنه ويبوح به ، فركع عند قبرها ودموع الاسى تغسل وجهه !٠٠ ويقال انه كان يزور قبر زوجته فيبكى كالطفل ، ثم يتطلع الى السماء ، وكأنه يهتف بطيف شريكة حياته :

توماس كارليل

« اذا كنت تطلين على ياجين فارحمى أساى واصفحى عنى وعودى الى ، ودعينى أغمر وجهك بالقبلات ٠٠ اننى حزين ، مفجوع ٠٠ لقد أحببتك يا جين » !

أجل ٠٠ لقد غفل مؤلف « الابطال » و « كروMويل » و « فردريك الاكبر » و « سارتور ريسارتس » فى غمرة العمل أن يبوح بحبه لجين حين كانت الفرص تسنح له ، فأبقى قلبه مغلقا دون وعى منه ، حتى أغلق الزمن قلبها ٠٠ ولهذا اعتبر كتاب « فرويد » عن « حياة كارليل » نتاج دراسة سطحية وتفكير عقيم ٠٠ فما كانت « بلومن » ـ فى الرواية التى ابتدعها كارليل ـ سوى « جين » ٠٠ وكان ثمة بحر طاغ من الوجد لـ « بلومن » تحت القلق العصبى ونواحى النقص التى عرفت عن كارليل ، ولكنه كان مستغرقا فى أفكاره ، فلم يخطر له أن يكشف لها عن ذلك الوجد ٠٠

ألا ما أبشعه من خطأ خليق بأن يجلب على مرتكبه العذاب عاجلا أو آجلا !.. **اذا كنت تحب امرأة فأظهرها على حبك ، وانتهز الفرص لتقيم لها البراهين عليه .. فان هذه الدنيا بضجيجها صائرة الى الفناء ، ولن تلبث المنية أن تواتيك يوما، فلا تجد ما يتبعك الى عالم الخلد سوى ذلك الحب .. فاذا حبسته أو أهملته أو استهنت به ، فان ذكرى ذلك تتبعك وتثير فى قلبك الندم والاسى ، كما ظل كارليل يبكى ويعانى مرارة ذكرى تقصيره حتى مات !**

ان مكتباتنا زاخرة بالقصص التى تدور حول المسائل الجنسية والشهوة بدلا من الحب ، والانتحار عوضا عن سلامة العقل .. فما أحوجنا الى الحديث عن الحب استنادا الى الحقيقة والتجربة والخبرة ، لا الى الخيال واستثارة الغرائز .. فنحن نعتقد ان الرجال والنساء اذا اتجهوا فى علاقاتهم بعضهم ببعض اتجاها خاطئا ، انزلقوا فى الخطأ على طول الخط .. ومن ثم فنحن نهدف الى أن نبين ما اذا كان الحب يقوى على غلق الابواب الروحية السحرية أو فتحها ..

خوف الرفض

◆ **وهناك** حالات عديدة لم يقدر للرجل فيها أن يبوح بحبه قط ، لا لشىء سوى ان خجله ، أو فقره ، بعث فى نفسه شعورا غريبا بأنه قد يصد أو يلام بما يجرح كرامته .. والواقع ـ على ضوء المشاهدات ـ ان أطهر الرجال وأشرفهم خجولون فى مسائل الحب ، لمجرد خوفهم من الصدود والرفض ..

وقد عرفت رجلا تدله فى حب فتاة حتى صار كتلة من الشوق المكبوت ، اذ آثر الصمت لقلة تجربته ولتوجسه، فعاش كئيبا ، مهموما ، يفكر فى حزن ، وشك ، وتخوف : ترى ما الذى يقوله أهلها ؟ .. أو لا يسخرون منه ؟ .. وكيف يهيىء لها بيتا كذلك الذى تعيش فيه ، وهو معدم ؟ .. ثم، وفوق هذا وذاك ، ما رأيها هى ؟

وازاء هذا الخوف والتردد ، انصرف عنها وسار فى طريقه وقد طوى قلبه على الاسى ٠٠ ولكن طيفها لم يفارقه ٠٠ ولو انه تقدم يطلب يدها فرفضته لقتلته الصدمة ، أو خلفت فى حياته مرارة وتعاسة ٠٠ ولكن أعجوبة الحب فى هذه الحال هى أنه تفجر خلال الابواب المغلقة ٠٠

والمشكلة التى تتجلى لنا فى هذه القصة غير ميسورة الحل ٠٠ لقد نمت الفتاة واستكملت أنوثتها وهى غير عالمة بما لها من وجود خفى فى حياة رجل كصاحبنا ٠٠ وهذا هو اللغز الغامض المغلق ٠٠ لقد انطلقت المرأة فى طريقها ، وسار الرجل فى طريقه ٠٠ هى لاتكاد تشعر بوجوده ـ لا بنفوذها عليه فحسب ـ وهو يتمثلها كل شىء فى الحياة !

أو ليس هذا من أغرب ألغاز الحياةومعمياتها ؟

كونى رقيقة فى الصد !

◆ **ومن** أشنع أخطاء الحياة العصرية تنقل الشاب ـ أو الشابة ـ بين الاحباء ، فجدير بالفراشات الغاوية أن تدرك أن الزهور لا تدر دائما شهدا جنيا ، بل انها أحيانا قد تنطوى على سم ناقع !

تقدم رجل لخطبة فتاة كانت تمقت الارض التى يسيرعليها فرفضته ٠٠ ومن ثم خطب صديقة لها ، جمعت بين الجمال واللطف والحس المرهف ٠٠ وعلى العكس من صديقتها ، أحبت هذه التراب الذى تطأه قدما الشاب ، ومع ذلك فانه لم يلبث ان هجرها ليتزوج سواها ٠٠ وكان الحب القدسى الذى اثاره هذا الغادر قد تملك نفسها ، وصار «وجدا» كما يسميه الناس، فأخذت تقضى الليالى مسهدة ، تعيد تلاوة كل سطر كتبه لها صاحبها ٠٠ ثم بدأ الهزال يدب فى كيانها ، وازدادت شحوبا، وأخذت صحتها فى الانهيار حتى ماتت ، دون أن يصل الطبيب الى علتها ، فقد كان فى أعماقها باب موصد لم يستطع اجتيازه

.. ولو أن الطب تسلل خلال المزاليج ، لألفى فى أعماق قلبها صورة رجل : فتاها الغادر !

ان من حق المرأة ان لا تستجيب لحب أى رجل ، ولكن الوسيلة التى تبدى بها صدها ذات أثر خطير .. فخليق بها ان تترفق ، وان تكون كريمة فلا تبدى الرفض بطريقة تخلف جرحا لا يندمل . وجدير بها أن تدرك أن الرجل اذ يعرض عليها حبه، انما يعرض أعظم شيء فى الكون ، فليست نعمة الحب بالشيء الذى يتيسر رهن الاشارة فى كل آن .. والا ، فما الحب اذا لم يكن شرارة تنبعث من شعلة الطبيعة ذاتها ؟.. فليدرك كل متقلب « متنقل فى الهوى » اذن ، أى جرم يرتكب اذ يذكى هذه الشرارة حتى تستحيل لهبا ، ثم ينطلق معرضا .. ويتركها تلتهم القلب المهجور !

هكذا الحب ، اذا قوبل بالصد والرفض استحال الى داء متعذر الشفاء .. وليس هذا من بدع المدنية ، وانما هو وليد الغرائز العقلية والخلقية للجنس البشرى .. فان الحب بداية معرفة عميقة .. انه يمس فى القلب ينابيع جفت أو أوشكت ان تجف ، فاذا الحياة تدب فيها .. فاذا هو قوبل بالصد ، غاضت هذه الينابيع ، وخلفت وحدة موحشة .. ولن يقدر لاحد أن يدرك لوعة الهوى الا حين يحرم منه .. اذ أن البعاد يشحذ العواطف ، ويضخم التوافه ، ويذكى حرقة الجوى !

الحب المرفوض خير من عدم الحب !

◆ **أما** وقد أظهرنا قسوة نتائج الصد ، فانه يجمل بنا أن لا نغفل حكمة انطوى عليها بيت من الشعر فحواه « لا يسوءنك الرفض الاول ، فان من نبذتك اليوم ، لن تلبث أن تقربك اليها فى الغد ! »

ذلك لان خير النساء تتفجر حساسيتهن اذا ما أوقظت عواطفهن .. وما استحقت العيش أبدا امرأة لم تؤت من

الحساسية يجعلها قديرة على الحب، ولم تؤت من اللطف واللباقة ما يرشدها الى خير وسيلة مترفقة لرفض هذا الحب ان لم يمل قلبها الى صاحبه ..

ومن الخير للرجل ان يتلقى الرفض ، عن ان يعيش فى وهم خادع .. و « لئن تحب وتفقد حبك ، خير من أن لا تعرف الحب اطلاقا » .. فان الحب الحقيقى وان قوبل بالصد والاعراض ، يخلق فى حياة صاحبه وجودا محسوسا ، وألوانا متباينة .. فيكون كقوس قزح الذى يتخلل الحياة الداكنة !

لقاء .. بعد خمسين عاما !

◆ **لقد** قدر لكاتب هذه السطور ـ كما قدر لكثير من رجال الدين ـ ان يدرس حالات كثيرة من الحب المرفوض ، كانت أروعها تلك التى قصتها علينا بطلتها .. اذ صدت شابا منذ خمسين سنة ، فاختفى من حياتها بعد أن أقسم أن يعيش على ذكراها وان لا يفتح قلبه لسواها .. وما كانت لتظنه فاعلا ، بل ظننتها فورة الساعة ..

ومرت السنون دون أن يتزوج أحدهما ، ودون ان يلتقيا ، وان لم يدع الشاب وسيلة لرؤيتها ، في صمت وسكون .. وقد صارحت راعى كنيستها أخيرا قائلة : « **اننى أعرف أن منيتى قد حانت ، ويسعدنى أنى أتممت مهمتى فى الحياة .. اذ ذهبت بالامس أزور رجلا صددته فى مقتبل العمر .. ولقد عرفنى لاول وهلة ، وعرفته ، وجلسنا يحدق كل منا فى صاحبه .. لم نتحدث كثيرا ، ولكن الكلمات القلائل التى قلتها جعلت كلامنا ..** »

ولم تقو على المضى فى الحديث .. وأغرورقت عيناها .. ونعتقد ان القصة فى غير حاجة الى تكملة أو تعليق .. ويكفى ان نتصور منظر نفسين تقفان على حافة الابدية ، تحدق كل منهما فى الاخرى خلال الدموع ..

الا اتئدوا وتريثوا قبل أن تصدوا هذا ٠٠ «الحب»! ٠٠ وليحرص كل فرد على أن يكون حذرا فى علاج « الحب » حين يواتيه ، فان المآسى التى تزدحم بها الصحف خير شاهد على صدق هذه النصيحة ٠٠ فكم من مآس يسهل تفاديها بشىء من الرفق واللين ٠٠ وفى وسع كل امرىء أن يرفض حبا لا يميل اليه ، بوسيلة رقيقة لا تخلف جرحا ولا ألما !

(اقرأ القسم الثانى من الكتاب فى « كتابى » القادم)

دليل الشفاء !

◆ **كان** الطبيب يسأل الممرضة الجديدة عن حـــالة مريض ، فقال لها :

ـ لماذا تريننى مفكرتك بدلا من لوحة أطوار مرضه المعلقة على سريره ؟

ـ لاننى أعتقد أن مفكرتى تعطيك فكرة أدق عن مدى تقدمه نحو الشفاء !

اذا عرف السبب !

◆ **سأل** مدرس الحساب أحد تلاميذه :

ـ لماذا تخطىء فى الجمع ؟

ـ لا أدرى

ـ ألا يساعدك فى ذلك أحد ؟

ـ يساعدنى أبى

ـ وماذا يعمل ابوك ؟

ـ « جرسون »

ترقب ٠٠ يوم ١٤ مارس

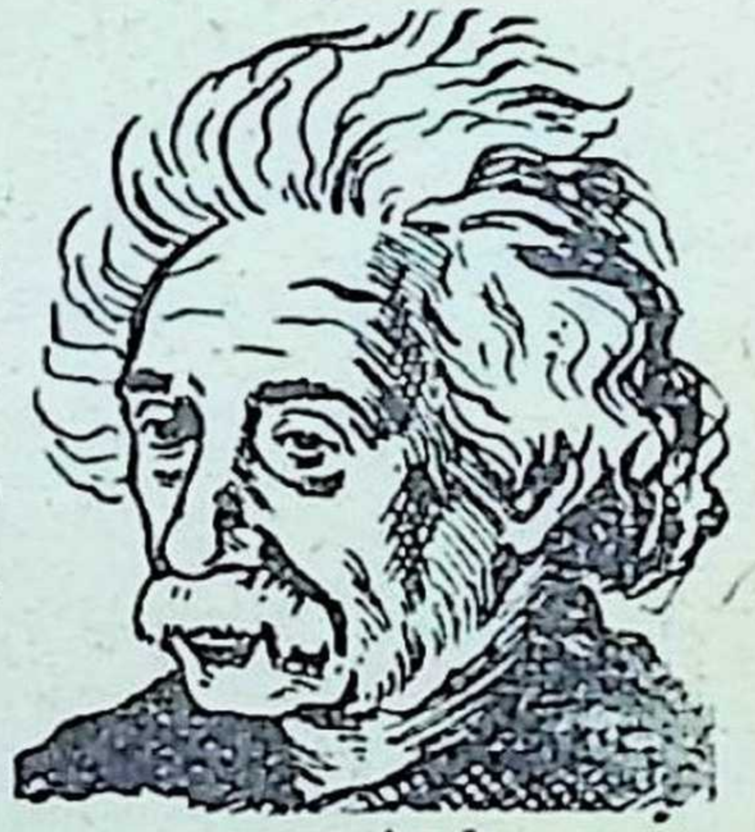

اينشتين

لينين

كل هؤلاء

وأكثر من عشرين
شخصية عالمية أخرى
من القدماء والمحدثين
كتب قصص حياتهم
بأسلوبه الشائق

الكاتب العالمى

ديل
كارنيجى

فى كتاب واحد
طويل تقدمه اليك
بنصه الكامل

موزار

لورد بيرون

مطبوعات
كتابى

فى عددها الثالث
الفاخر

يصدر يوم
١٤ مارس

غاندى

الامبراطورة جوزفين

عندما يرتفع الستار..

روائع المسرح العالمي
(التمثيلي.. والغنائي)

عزيزي القارىء ...

قدمت لك في هذا الباب في الاعداد الماضية من (كتابي) المسرحيات العالمية الآتية على التوالي :

خطايا الحب : لاوسكار وايلد
الحب الآثم : تولستوي
نزاهة الحكم : جوجول
سلاح المراة : اريستوفان
فولبون : بن جونسون
جيوكندا : دانونزيو
كلام الناس : جوزيه اشيجاراي
مدرسة الفضائح : شيريدان
سيرانو دي برجراك : روستان
لعبة الحب والموت: رومان رولان
مروحة الليدي وندرمير : اوسكار وايلد
فاوست : جيته
اوديب الملك : سوفوكل
في سبيل الحب : جون درايدن
وليم تل : شيللر
الام : مكسيم جوركي
الملك يلهو (ريجوليتو) : فيكتور هوجو
الذبيحة : اندريه أوبيه
الجنس الآلي : كاريل كابيك
الابن الاكبر : جالزورثي

واليوم اقدم لك فيما يلي هذه المسرحية التي تعتبر أعظم ما كتب فيكتور هوجو للمسرح على الاطلاق !

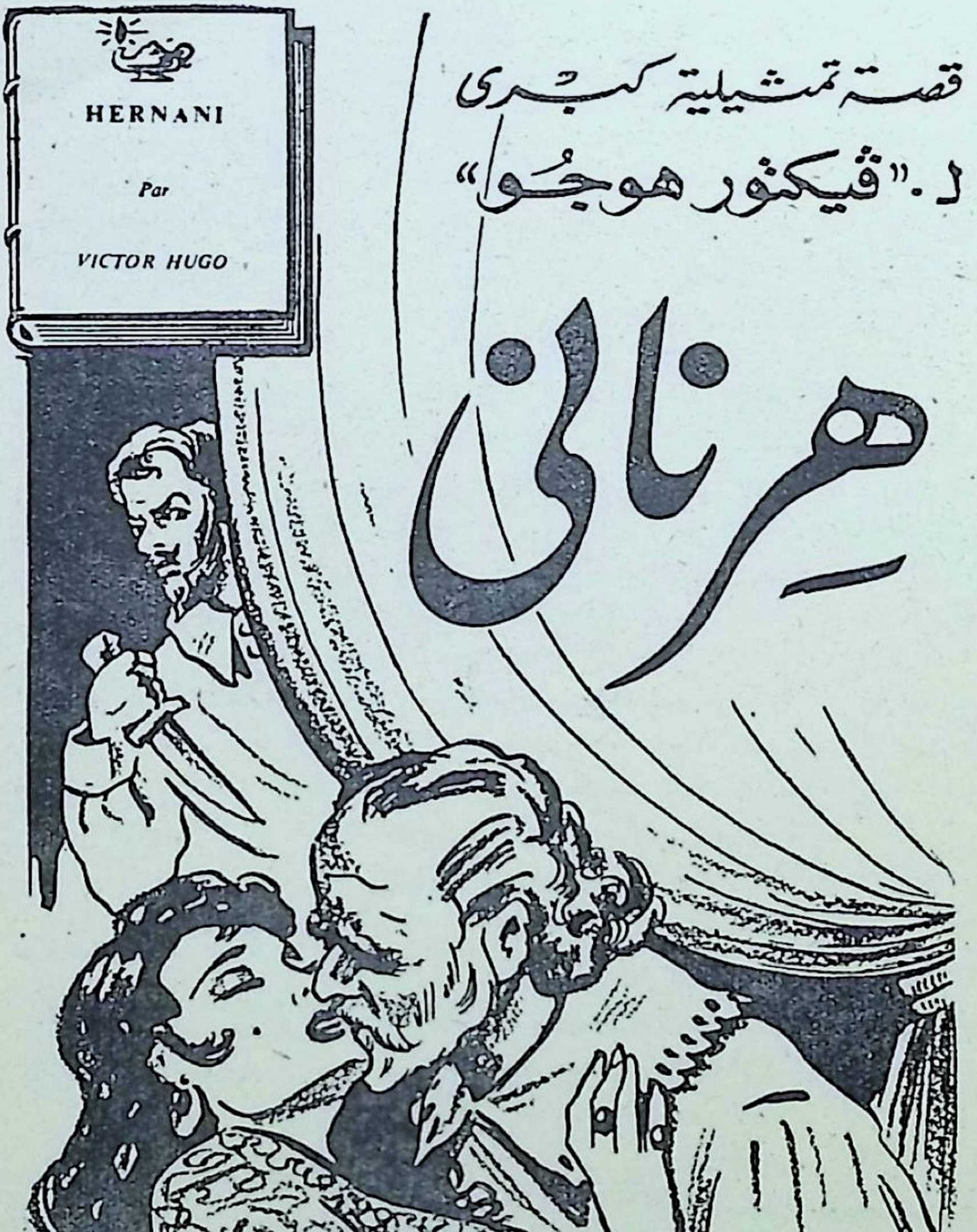

HERNANI
Par
VICTOR HUGO
قصة تمثيلية كبرى
لـ "ڤيكتور هوجو"
هرناني

المسرحية ٠٠ والمؤلف

◆ نشأ « فيكتور هوجو » منذ صباه شغوفا بالحرية ، كارها للعدوان - فى اية صورة من صوره - فلما امسك بالقلم كتب يدافع عن الحرية ٠٠ وظل يدافع عنها فى كتاباته المختلفة طيلة تسعة وخمسين عاما ، هى المدة بين كتابه الاول الذى أصدره فى سن العشرين ، وكتابه الاخير الذى اصدره فى سن الثمانين - وكان كلاهما مجموعة من قصائد الشعر - وظل ذهنـــه حاضرا وموهبته مطواعة فى النهاية كما فى البداية على السواء !

وفى الفترة بين نجاحه الاول ونجاحه الاخير، كشاعر، ظفر بالمجد كمؤلف مسرحى فى شبابه، ومؤلف روائى فى كهولته، فمثلت اشهر مسرحيتين له - وهما «هرنانى» التى اقدمها اليك اليوم، و «الملك يلهو» (ريجوليتو) التى قدمتها لك منذ شهور - قبل ان يبلغ الثلاثين : الاولى فى عام ١٨٢٩ والثانية فى ١٨٣١ ٠٠ اما اشهر قصصه الطويلة فقد كتبها بعد ان جاوز الستين ، واروعها : « البؤساء » (سنة ١٨٦٢) ، و « رجال البحر الكادحين » (سنة ١٨٦٦) و « الرجل الضاحك » (١٨٦٩) ، و« ٩٣» (١٨٧٤)

وفى سنة ١٨٨٢ - وهو فى الثمانين - احتفلت فرنسا باكملها باليوبيل الذهبى لاصداره مسرحيته الخالدة « هرنانى » ، فحياه نحو ستمائة الف من المتظاهرين وهتفوا طويلا للكاتب المنافح عن قضية الحرية العالمية باوسع معانيها ٠٠ بما فيها حرية الحب !

شخصيات الرواية

دون رى : نبيل اسبانى شيخ — DON REI

دونا سول : ابنة أخيه ٠٠ وخطيبته ! — DONA SOL

هرنانى : شاب خارج على القانون يقع فى هوى دوناسول — HERNANI

دون كارلوس : ملك اسبانيا ٠٠ وعاشق دوناسول أيضا ! — DON CARLOS

الزمان : القرن السادس عشر

المكان : اسبانيا

- ١ -

◆ **اسبانيا** فى القرن السادس عشر !

نحن فى قصر النبيل الشيخ « دون دى جوميز دى سلفا » وقد اقترب موعد زفافه الى ابنة أخيه الحسناء « دوناسول »، حسب عادة العصر !!

أما هى فتحب شابا من الخارجين على القانون يدعى « هرنانى » ٠٠ وبرغم أنها تعيش فى قصر عمها ـ وخطيبها ـ فانها تلتقى بعشيقها سرا كل ليلة فى جناحها الخاص تحت جنح الظلام !

وذات ليلة ، بينما خادمتها وكاتمة سرها تنتظر مقدم هرنانى ، تفاجأ بشاب آخر يتقدم نحوها مهددا بخنجر فى يمينه وملوحا بكيس من النقود فى يساره، ويرغمها على اخفائه فى ركن من مخدع سيدتها !٠٠ وبعد قليل تدخل « دوناسول » مخدعها وفى أثرها حبيبها هرنانى :

هرنانى : أنا رجل خارج على القانون مطارد من المجتمع ، وعمك دوق من النبلاء ٠٠ أنا لا أستطيع أن أهبك شيئا ، وهو يملك أن يعطيك كل شىء ٠٠ فاختارى لنفسك واحدا منا !

دوناسول : سأذهب معك ٠٠

◆ **وتعرب** له عن استعدادها للفرار معه الى الاحراش والبرارى هربا من مطارديه ٠٠ ويروى هو لها قصته : كيف أنه من أصل عريق ، يجرى فى عروقه دم النبلاء ٠٠ وكيف نشب النزاع بين أبيه وبين ملك المقاطعة ، فمات أبوه على حبل المشنقة ، وأقسم هرنانى أن ينتقم لابيه !

ولا يفرغ هرنانى من قصته حتى تكرر له دوناسول استعدادها لمشاركته حياته وقدره: « ولو انتهى الامر بدوناسول الى المشنقة ! »

ويدبر العاشقان خطة الفرار معا فى الليلة التالية ! وفيما هما يبحثان الامر يفاجآن بظهور الشاب « دون كارلوس » من مخبئه فى ركن المخدع :

هرنانى : من أنت ؟

دون كارلوس : رجل مثلك يعشق دوناسول !! لقد ظللت مختبئا حتى نفد صبرى ..

هرنانى : أخشى أن يكون سيفى بدوره قد نفد صبره ، وأنه ليتوق للخروج من قرابه !

◆ **ويستل** الاثنان سيفيهما ويبدأ بينهما النزال .. وفجأة يسمع طرق على الباب ، ويدخل العم.« دون رى » :

دون رى : بديع .. ابنة أخى مع رجلين فى مخدعها فى هذه الساعة المتأخرة من الليل !!.. من أنتما ، أيها اللصان اللذان يسطوان على حبى !؟

هرنانى : أنا رجل يطارده الملك ..

دون كارلوس : وأنا ... (يرفع قبعته التى تخفى نصف وجهه ويفتح معطفه الذى يخفى شارة على صدره)

دون رى : رباه .. الملك !!

ويشرح ملك أسبانيا لدون رى سبب وجوده فى قصره .. ان جده امبراطور أوروبا قد مات لتوه ، وهنـــاك كثيرون يطمعون فى عرشه .. لكنه ـ دون كارلوس ـ يعتقـد أنه أجدرهم بأن يخلف جده .. وقد جاء ليسأل دون رى أن يعاونه على تحقيق مطامعه ..

دون رى : وهذا الرجل ، ياصاحب السمو ، ماذا يفعل هنا ؟

دون كارلوس : (بنزعة شهامة مفاجئة) انه .. أحد اتباعى

◆ ويخرج الجميع تاركين هرنانى وحده ..

هرنانى : أنا أحد أتباعك ! .. أواه أيها الملك ، لسوف أتبع خطاك حتى أنتقم لمصرع أبى !

- ٢ -

◆ **فاذا** كان الفصل الثانى فقد ندم دون كارلوس على شهامته التى أتاحت لهرنانى أن يفلت .. فأصدر أمرا بالقبض عليه أينما وجد ، وجاء بنفسه الى قصر دون رى ليحول دون فرار دوناسول مع حبيبها ، فان جمالها قد أسره فاعتزم أن يأخذها معه !

الوقت قبيل منتصف الليل .. ودوناسول فى مخدعها تترقب قدوم حبيبها بين لحظة وأخرى وتصفيقه بيديه ثلاث مرات - وهى الاشارة المتفق عليها منذ الليلة الماضية ايذانا بلحاق الفتاة به كى تفر معه ! - وكان دون كارلوس قد سمع تفاصيل الاتفاق وهو فى مخبئه بمخدعها .

دون كارلوس (لاتباعه) : سأصفق بيدى ثلاث مرات ، فتحسبنى هرنانى ! .. وحين تخرج سوف أحملها معى الى قصرى .. أما أنتم فابقوا هنا حتى يصل حبيبها قاطع الطريق كى تقبضوا عليه .. ولكن احذروا من قتله فان ذلك لم يحن بعد !

وتقع دوناسول فى الشرك ، وحين تكتشف أن دون كارلوس هو الذى أعطى الاشارة وليس هرنانى تحاول أن تجرى عائدة الى القصر ، لكن دون كارلوس يقبض على ذراعها بقوة :

دون كارلوس : لا تخافى ٠٠ انك لست الآن فى قبضة اللص !

دوناسول : أوه ، كلا ٠٠ بل فى قبضة اللص !

وتصيح مستنجدة بهرنانى ٠٠ الذى يصل فى هذه اللحظة يحوطه عدد كبير من أتباعه ، يفوقون أتباع الملك ، ويحاصرونه واياهم ٠٠ فينظر هرنانى الى غريمـــه فى تشف وقد حانت ساعة انتقامه !

هرنانى : ان أباك قد قتل أبى ، فأنا أكرهك من أجل ذلك ٠٠ وأنت تحب المرأة التى أحب ، وأنا أكرهك من أجل ذلك أيضا ٠٠ والآن أنت محوط برجالى ، الذين ينتظرون كلمة منى كى يقتلوك ، لكنى لن أعطيهم هذه الكلمة (**يستل سـيفه**) وانما أنا أمنحك فرصة للحياة ٠٠ دافع عن نفسك بالسيف !

لكن دون كارلوس يأبى أن ينازل غريمه هرنانى ، معتذرا بأنهما قد اشتبكا فى مبارزة فى الليلة الماضية ٠٠ ويجيبه دون كارلوس : « هذا صحيح ٠٠ لكنك فى الليلة المـــاضية كنت تجهل شخصيتى ٠٠ فاقتلنى اذا شئت ، لكنى لن أبارزك ٠ »

ورغم هذا يندفع هرنانى نحو الملك شاهرا سيفه ٠٠ فلا يتحرك هذا للدفاع عن نفسه ، وانما يقول فى هدوء : « انك سوف تقتلنى غيلة !! » ٠٠ فيتوقف هرنانى وينظر الى مولاه ، ثم يقصف سيفه على الرصيف ٠٠ وشهامة بشهامة !٠٠ لقد أنقذ الامير حياته بالامس ، فلينقذ هو حياة الامير اليوم :

هرنانى : اذهب الآن ٠٠٠ وسوف نلتقى فى فرصة أنسب

دون كارلوس : شكرا أيها اللص ٠٠ سأذهب ، ولكن بغير سلام، فمنذ الساعة، سأضع مكافأة لمن يأتى برأسك! (ويمضى)

دوناسول : فلنهرب يا هرنانى !

هرنانى : لقد فات الاوان ، فالملك سوف يملأ الطرق برجاله ويسد السبل

◆ وفيما هما يتحدثان تسمع دقات الاجراس من بعيد :
دوناسول (مذعورة) أهكذا سريعا ، أجراس الخطر !؟
هرنانى : كلاّ يا حبيبتى ، بل هى أجراس زفافنا ٠٠!

- ٣ -

◆ **فاذا** كان الفصل الثالث فقد أفلح هرنانى فى الفرار من جنود الملك ، واضطرت دوناسول للعودة الى قصر عمها ٠٠ انها ستزف الى هذا العم الليلة ، والنبيل الشيخ يكن لها حبا عميقا ، أفقده سيطرته على نفسه وأعصابه ٠٠ فنراه ينتظر قدوم العروس فى ثياب العرس بصبر نافد ، ونسمعه يقول : «انى أغار عليها لدرجة الجنون ، برغم انى خجل من غيرتى ٠٠» ويدخل حاجب ينبىء الدوق بأن لاجئا من الحجاج بالباب يطلب مأوى :

دون رى : أدخله مهما يكن فالخير دائما يأتى فى عقبى الضيف الذى تكرم وفادته !

ويدخل اللاجىء ٠٠

هرنانى : (متخفيا فى زى الحجاج) السلام والسعادة لك

دون رى : ما أنباء الطريق ؟

هرنانى : كان يدور قتال فوق التلال ٠٠

دون رى : بين اللصوص ؟

هرنانى : أو تطلق عليهم لصوصا ياسيدى ؟ ٠٠ لست أدرى

دون رى : وماذا جرى لزعيمهم هرنانى ؟

هرنانى : ماذا يكون هذا الرجل ياسيدى ؟

دون رى : ثائر وضعت مكافأة لمن يأتى برأسه !

◆ **وهنا** تدخل دوناسول فى ثوب العرس :

هرنانى (وهو يمزق ثوب الحجاج الذى يرتديه ويظهر نفسه فى ثوب رواد الجبال) ٠٠ أنا هرنانى ، ضيف حفلة الزفاف غير المدعو ٠٠ أنا أيضا سوف أزف الليلة ، وعروسى التى أتحرق

شوقا اليها هى ٠٠ الموت! هيا اقبض على يادون رى ٠٠ فهناك مكافأة ألف روبية لمن ينال رأسى!

دون رى : حذار من أن يمسه أحد بسوء، (متوجها بكلامه الى دونا سول) عودى الى غرفتك يا ابنة الاخ وتعالى بعد ساعة لانجاز القران . أما أنا فسأخرج لاشرف على تحصين القصر ٠٠

ويترك دون رى الغرفة ٠٠ وتخطو دوناسول بضع خطوات متظاهرة بأنها تتبعه ، ثم تعود الى هرنانى ٠٠ وحين يقبل الدوق بعد برهة يجد دونا سول بين ذراعى هرنانى !

دون رى : أهذا جزاء كرمى ؟ ٠٠ وتدعو نفسك هرنانى؟ ٠٠ انك بالاحرى يهوذا ٠٠

ومرة أخرى يعرض هرنانى حياته ٠٠ وفجأة يدوى صوت الطبول فى الخارج ٠٠ لقد أقبل الملك دون كارلوس ليطالب بغريمه !

دوناسول (وهى تحدق فى حبيبها فى رعب) لقد هلك !!

◆ لكن دون رى يضغط على زر سرى ، فينفتح باب يكشف عن مخبأ فى الحائط ٠٠ ويشير الى هرنانى كى يسارع بالاختباء ، فيقول هذا وهو يدخل : « ان حياتى ملك يمينك ، فأطلبها حين تشاء ٠٠ » ثم يدخل الملك غاضبا يصيح : « علمت أن هرنانى مختبىء فى قصرك ٠٠» فلا ينكر الدوق ذلك

دون كارلوس : سوف أحرق قصرك وأجعله حطاما ! **(لاتباعه)** اقبضوا على الدوق !

دوناسول : (تتقدم غاضبة) دون كارلوس ، انك شرير ٠٠ ليست لك خصال الاسبان !

دون كارلوس (الى دوناسول ، فى صوت خفيض) : أنت التى أشعلت هذا الغيظ الذى يحرق قلبى ٠٠ فى حضرتك قد يصير الرجل ملاكا أو شيطانا، ولو شئت لجعلت منى نبيلا وعظيما ٠٠ لصيرتنى أسد «قسطلة» ٠٠ لكن ترفعك قد صيرنى وحشا

(الى دون رى) حسنا ، كن مخلصا لضيفك ، انى أعفو عنك ٠٠ لكنى سآخذ ابنة أخيك دوناسول كرهينة !

◆ ويأمر أتباعه بأن يحملوها ٠٠ ويترك دون رى وحيدا ، فيفتح المخبأ السرى ويخرج منه هرنانى الذى لم يسمع شيئا مما دار فى الحجرة أثناء اختبائه ٠٠ فلا يكاد يعلم باختطاف دوناسول حتى تثور ثائرته ويصيح بالدوق :

هرنانى : أيها المجنون ٠٠ ألا تعلم أن الملك قد وقع فى هواها ؟ انه غريمى وغريمك !!

دون رى : يجب أن أطارده ! الى جيادكم يارجال ٠٠

هرنانى : أيها الدوق النبيل ، ان حياتى قد استحقت لك ، فاسمح لى أن أصحبك فى المطاردة وبعد ذلك تجدنى مستعدا للموت طوعا لامرك ٠٠

دون رى : أو تقسم على ذلك برأس أبيك ؟

هرنانى : أقسم ٠٠

دون رى : وهل سوف تذكر قسمك هذا ؟

وجوابا على هذا يخلع هرنانى نفيره من منطقته ويسلمه للدوق :

هرنانى : اليك نفيرى ، متى رأيت أن ساعتى قد حانت انفخ فيه وأنا أتبعك الى حتفى !

دون رى : اعطنى يدك توكيدا لهذا القسم ٠٠

هرنانى : اليك يدى ٠٠

— ٤ —

◆ فاذا كان الفصل الرابع فنحن فى قبو مقبرة «شارلمان» فى ظلمة الليل ، وقد ترامى الى سمع دون كارلوس أن عصبة من المتآمرين عليه سوف تلتقى فى القبو لتدبير مكيدتهم ، فبث جنوده حول المكان فى الخفاء ودخل هو مع أحد خلصائه المدعو «دون ريكاردو» ليختبآ فى أحد الاركان ويقفا على تفصيلات المؤامرة ٠٠

لكن ذهنه منشغل فى الوقت نفسه بأمر آخر يهمه أيضا ٠٠ فان لجنة المحكمين تجتمع الآن لاختيار امبراطور لاوربا ٠٠ واحدا من ثلاثة : فردريك الحكيم أو فرانسيس الاول ، أو هو ٠٠ !

دون كارلوس : كيف نعرف اسم الذى وقع عليه اختيارهم؟

دون ريكاردو : سوف يعلنونه بطلقات المدافع : طلقة واحدة تعنى فردريك ، وطلقتين تعنيان فرانسيس ، وثلاث تعنيك أنت ٠٠

دون كارلوس : ثلاث طلقات!!!٠٠ وأصبح امبراطور أوربا!؟ ولكن لنسحق المتآمرين أولا

◆ ويختبىء المنتظران ، بينما يدخل المتآمرون واحدا فى أثر الآخر ٠٠ فاذا بينهم هرنانى ودون رى ! ٠٠ وحين يكتمل عددهم يجرون قرعة لاختيار «جلاد الملك» ، فتقع مهمة قتل كارلوس على هرنانى ٠٠ لكن دون رى يتوسل اليه أن يتنازل له عن هذا الشرف مقابل اعادة نفيره اليه واعفائه من قسمه٠٠ بل مقابل التخلى له عن خطيبته دوناسول ذاتها ! ولكن هرنانى يرفض ٠٠

وتسمع طلقة مدفع ٠٠ فطلقة أخرى ٠٠ فثالثة ! واذ ذاك يبرز دون كارلوس من مكانه ويقرع بابا بمفتاح فى يده ـ وهى الاشارة المتفق عليها بينه وبين جنوده ـ فيهجم هؤلاء على المتآمرين ويجردونهم من أسلحتهم :

دون كارلوس (الى ضباطه) : اعتقلوا النبلاء فقط، أما الرعاع فدعوهم يمضوا ٠٠ واذ ذاك ينتحى النبلاء بأنفسهم جانبا ٠٠٠

هرنانى : أنا أطالب باعتبارى من النبلاء ، فما اسم هرنانى الا الاسم الذى أطلقته على نفسى حين صرت من الخوارج ٠٠ أما اسمى الحقيقى فهو « الدوق سيجورب كاردونا كونت الباترا » وأنا أملك من الضياع أكثر مما أستطيع أن أحصر ، وقد ولدت فى المنفى حين قتل أبى بأمر والد الملك ٠٠

دون كارلوس : (وهو يمعن فكره) لقد نسيت تماما تاريخ أسرتك ٠٠ واذن فأنت ابن السيد الذى عامله سلفى معاملة غير عادلة ٠٠ ؟

ويضفى منصب «الامبراطور» على دون كارلوس جلالا ومهابة فيعفو فى نوبة كرم عن هرنانى ٠٠ بل ويمنحه يد دوناسول كعروس له ! ٠٠ ثم يعفو عن بقية المتآمرين قائلا :

أيها السادة ٠٠ اذهبوا بسلام وسوف أنسى وجوهكم، أسماءكم ٠٠٠ بل سأنسى غضبى وكراهيتى ٠ انه لدرس شد ما يحتاج العالم اليه

الجميع : يحيا الامبراطور العظيم شارل الخامس ٠٠

دون رى : الكل سعداء ، وأنا وحدى أتألم ٠٠

دون كارلوس : اسمع يادون رى ، اصفح عن هرنانى ، ولو اقتداء بصفحى أنا عنه ٠٠

دون رى : لن أصفح قط ٠٠ أو أنسى !

- ٥ -

◆ **فاذا** كان الفصل الاخير فنحن فى حفلة عرس هرنانى ودوناسول ، وبين الحاضرين الصاخبين وجه كريه مغطى بقناع أسود ، ينبعث شرر الغضب من عينيه ٠٠ ونسمع أحد المدعوين يقول عنه « هذا الرجل لابد أن يكون الشيطان بعينه ! » ٠٠ ثم لا يلبث ذو القناع الاسود أن يختفى فى زحمة الحاضرين ٠٠

ثم ينصرف الناس شيئا فشيئا ٠٠ حتى ينفرد العروسان فى المكان :

دوناسول : أيا حبيبى ٠٠ !

هرنانى : الآن نستطيع أن نضحك ونغنى ٠٠

دوناسول : ونتبادل القبل ٠٠

هرنانى : بلا مقاطعة ولا ازعاج ٠٠

دوناسول : **(تتجه الى الدرابزين)** الشعلات قد أطفئت والموسيقى قد صمتت ٠ ولم يبق معنا غير الليل ، الصافى من أية سحابة فى الجو ، والسلام يسود كل شىء ٠٠ السلام ، والهدوء والفرح ٠٠

هرنانى : الفرح ٠٠ الفرح الى الابد ٠٠ ان أحزاننا قد انتهت!

◆ **وفجأة** يسمع من الظلام صوت نفير ٠٠ ان الرجل ذا القناع الاسود ـ دون رى ـ قد جاء ليطلب حياة هرنانى !

نفخة أخرى من النفير ٠٠ ثم ثالثة ٠٠ ويظهر دون رى ٠٠٠ ما من مفر ! على هرنانى أن يلبى النداء ، فقد وعد ، بل أقسم بشرفه ورأس أبيه : « متى رأيت أن ساعتى قد حانت فانفخ فى هذا النفير وأنا أتبعك الى حتفى »

ويقدم دون رى كأسا من السم الى هرنانى قائلا: « اشرب ، فما من مفر ٠٠ ! »

هرنانى : بحق الرحمة امهلنى حتى غد ٠٠ اعطنا على الاقل ليلة حبنا الوحيدة هذه ٠٠

دون رى : لن يشرق عليك غد ٠٠ انك ستموت الليلة !

دوناسول : هبنا ساعة لحبنا ٠٠ ساعة واحدة قصيرة !

دون رى : القبر مفتوح ٠٠ ولن أستطيع الانتظار !

ما من أمل ٠٠ ما من رحمة ٠٠ ما من مهلة ٠ لكن دوناسول لن تترك هرنانى يموت وحده ٠٠ انها تختطف الكأس من يده

وتشرب نصفها .. ويجرع هو الباقى .. ثم يلتقيان فى عناق أخير ... لقد ضن عليهما « دون رى » بليلة واحدة على قيد الحياه ، فالتقيا فى ليلة خالدة لن تنتهى .. ليلة الموت !

ولكن حتى فى الموت يطاردهما ويتبعهما « دون رى » .. فانه يغمد سيفه فى صدره ، ويخر ميتا عند قدمى ضحيتيه!

كتاب الموسم يصدر يوم ١٤ مارس

كريستوف كولمبس

برنارد شو

الخالدون

للكاتب العالمى

ديل كارنيجى

سيرة ٢٥ شخصية عالمية من القدماء والمحدثين .. انه الكتاب الثالث من

مطبوعات كتابى

اسكندر ديماس

الامبراطورة كاترين

إقرأ معى :

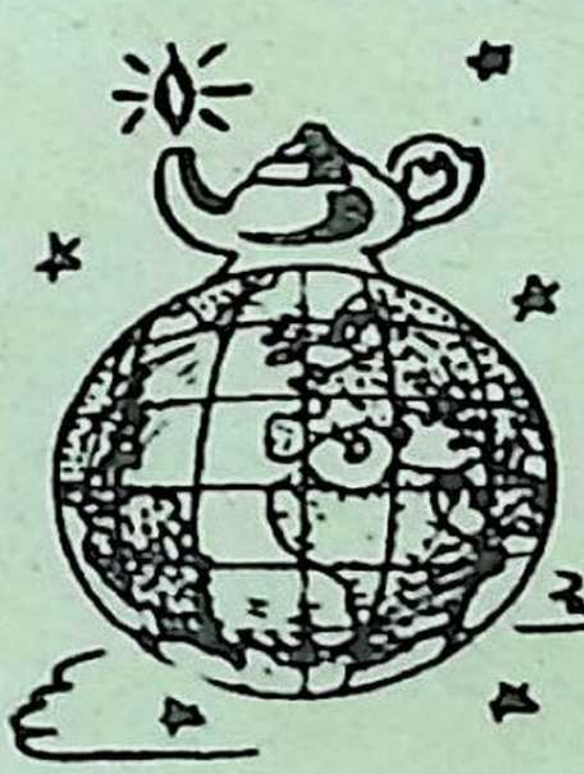

كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى اعداد سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة التالية :

- آراء جريئة فى الحياة للفيلسوف الانجليزى المعاصر « جود »
- آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد شو
- كيف نجحوا فى الحياة : لديل كارنيجى
- الحياة فى موسكو : هارولد ليكوك
- مراهق : البرتو مورافيا
- آلهة ومقابر وعلماء : سيرام
- الالمان ، شعبا وعباقرة : أميل لودفيج

واليوم اقدم لك فيما يلى احدث كتاب من نوعه صدر فى أمريكا هذه الايام يعالج مشكلة هامة من مشكلات الازواج ويوجه كلا الجنسين الى مافيه حفظ كيان الاسرة وكفالة مستقبل سعيد لها .. وقد اطلقت عليه مؤلفته « مسز ديل كارنيجى » اسم « مستقبل زوجك فى يدك » ..

ويا لهامن تسمية !

وفى الاعداد القادمة ازمع ان اقدم لك فى هذا الباب مزيدا من الكتب الممتعة ..

HOW TO HELP YOUR HUSBAND GET AHEAD
BY
MRS. DALE CARNEGIE
مُستقبل زوجك
أمانة فى يدك!
بقلم زوجة الكاتب العالمى
ديل كارنيجى

كتاب كل رجل وامرأة !

◆ يقول البعض ان وراء كل عظيم امرأة ، تلهمه وتسدد خطاه فى كفاحه الشاق وسعيه الدائب نحو أهدافه وغاياته ..

وقديما قال نابليون : ((فتش عن المرأة ، فانك لا بد واجد لها اصبعا وراء كل شر أو بلية !))

ومعنى ذلك ان المرأة قد تقود الرجل الى المجد ، وقد تهوى به الى الحضيض .. قد تكون له ملاكه الحارس ، وقد تكون شيطانه الرجيم .. قد يدين لها بكل شيء ، وقد يلعنها بكل لسان !

فما هو الدور الذى تحبين ان تقومى به فى حياة زوجك ياسيدتى؟ أهو دور المعينة التى تدفعه الى أعلى ..؟ ام دور العائقة التى تشده الى أسفل ؟ دور زوجة العظيم ، أم زوجة الصعلوك ؟

اذا اردت أن تقومى بالدور الاول فلتقرئى معى هذا الكتاب الشائق الذى كتبته زوجة الكاتب العالمى والثرى الكبير ((ديل كارنيجى)) .

◆ منذ أمد غير بعيد جاء صديق حميم لزيارتنا ، فاذا به يبدو منهوكا ، شقيا .. وكان مما قاله لنا :

ـ لست أدرى ماذا أفعل ، فمنذ ستة شهور وأنا أواصل العمل فوق الساعات المحددة له ، لاضافة نوع جديد من الاعمال الى شركتنا ، حتى لقد أصبحت أعود الى البيت فى ساعة متاخرة من كل ليلة .. ولسوف أعود الى القدر العادى من العمل اذا ما فرغنا من هذا التأسيس .. غير ان « هيلين » يشقيها اننى لا أعود الى البيت فى أوقات الاكل ، واننا لا نخرج معا كالمعتاد .. وهذا يثبط همتى .. ان هذا التوسع فى أعمالنا مهم لكل منا ، ولكنى لم أوفق الى حملها على ادراك فائدته .. وان حالها لتشغلنى ، حتى اننى لم أعد أقوى على حصر ذهنى فى عملى ..

مثل هذه الفترات من الانغماس فى العمل أكثر من المعتاد ، لا تبدو فى أعين الزوجات سوى فترات حرمان من النزهات ، مهما كانت أهمية الاعمال التى تشغل الازواج أو قيمتها ! ..

على أننا معشر الزوجات خليقات بأن نقف الى جوار أزواجنا فى هذه الفترة كما لو كنا حراسا ، وممرضات، ومكافحات لتقوية روحهم المعنوية .. وان رحنا نحرق الارم فى صمت ، ونسائل أنفسنا عما اذا كان من المنتظر فعلا ان نعود مرة أخرى الى الحياة العادية التى كنا عليها ؟ .. ويزيد من تبرمنا اننا لا نحظى بتلك الحوافز أو بتلك اللذة التى تعمى أزواجنا وتصمهم وتبكمهم عن أى شى عدا العمل الذى بين أيديهم ..

فى مثل هذه المواقف يتحتم عليك ـ اذا شئت ان تعينى زوجك ـ ان تفكرى فى شىء يشغلك ويحول فكرك عن الانشغال بما طرأ على حياتك من تغير .. تعلمى ان تـزورى وتزارى وتخلقى لنفسك الجو الاجتماعى الذى يلائمك ، بدلا من الاتكال على وجود زوجك الى جوارك يضفى عليك بشاشته وتلطفـه ويعنى باكرامك .. واذا كانت ثمة مجالس لا تحظين فيهـا بالترحاب الكافى ، أو لا تحبين لنفسك أن تكونى متطفلة عليها، فتحاشيها ، وستجدين ترحابا بالغا فى سواها ..

كذلك حاولى أن تؤدى بعض الاعمال التى لم يكن لديك وقت لادائها من قبل .. زورى المعارض والمتاحف ، اذهبى الى حفـلة موسيقية، انشغلى ببعض الاعمال للجمعيات الخيرية أوللخدمات الاجتماعية .. جربى أن تحسنى ثقافتك بتلقى بعض الدراسات فى المعاهد المسائية ..

مثل هذه الاشياء تفيدك ، وتعفى زوجك من أن يكون فى هم وشغل بوحدتك .. وأذكرى دائما انها حالة موقوتة الى أجل، فاذا نجحت فى احتمالها ، تسنى لك أن تسعدى بشهر عسل جديد عقب انقضائها ..

عمل زوجك أهم من عملك !

◆ ودعينى أوجه اليك سؤالا : اذا كان لك عمـل خاص تمارسينه ، أو منصب تضطلعين به ، فهل تراك على استعداد لان تتخلى عنه اذا كان ذلك يساعد على تقدم زوجك ومصلحته ؟

.. اذا لم يكن لديك الاستعداد ، فأنت أكثر اهتماما بنجاحك ورقيك مما أنت بنجاح زوجك ورقيه..ذلك لان مساعدة الرجل على أن يبلغ النجاح مهمة كفيلة بأن تشغل الوقت كله .. ولا أمل لك فى أن تؤديها ما لم يكن لها من الاهمية لديك ما يجعلها تشغل كل اهتمامك ..

كان للشقراء الجميلة «زينا ويلز» ـ زوجة الرحالة الامريكى المكتشف كارفت ويلز ـ عمل شائق تمارسه ، عندما التقت بالرجل الذى قدر له أن يصبح زوجا لها .. كانت تدير مكتبا لتنظيم الخطب والاذاعات والعناية بمصالح وأعمال كثير من المشاهير .. وقد قصد كارفت اليها كعميل فوقع فى هواها، وتزوج منها ، راضيا بالشرط الذى تمسكت به .. وهو أن تبقى حرة فى استبقاء عملها والاستقلال الذى تكسبه عن طريقه..

وتم الزواج فى مارس ، وكان على كارفت ان يقوم فى يونيو برحلة الى روسيا وتركيا ليتسلق جبل « أرارات » .. **وكانت « زينا » تتوقع ان تبقى فى أمريكا وتواصل عملها .. ولكنها لم تقو على البقاء حين أزف موعد الرحيل ، فقالت لنفسها : « لأرافقه .. هذه المرة فقط ! » .. ومن ثم أبحرا معا فى طريقهما الى المغامرة التى ما لبثت ان تكشفت عن سلسلة من المشاق والمتاعب والحرمان .. ولو انها مكنت كارفت من أن يصدر أكثر كتبه رواجا ، وهو كتاب « كابوت »**

وبدا عمل زينا لعينيها ـ اذ عادت اليه ـ أسهل وأرق من تلك الرحلة .. غير انه لم ينقض عام ونصف العام حتى كانت ترافق زوجها الى المكسيك لتسلق جبل « بوبوكاتبتل » وارتياده .. وكانت هذه الرحلة كسابقتها مرهقة مضنية .. وعانت زينا فى معظم الوقت قسوة البرد والجوع والارهاق والذهول .. ولكنها وجدت من المتعة أيضا ما بهرها .. فاذا بالرياح التى كانت تهب على قمة الجبل ، تحمل معها آخر فلول الرغبة التى كانت زينا تتشبث بها : رغبة الاحتفاظ باستقلالها .. !

اذ تبينت أن انتسابها الى كارفت كزوجة أغلى وأثمن من أى نجاح تستطيع أن تكسبه لنفسها فى عملها ٠٠ فما ان عادت من المكسيك حتى أغلقت مكتبها ، وأصبحت حرة تتبع زوجها الى أقصى أطراف الارض ٠٠

لا بأس فى أن يكون لك عمل ، ولكن ٠٠

◆ **ولست** أغض بذلك من شأن الكثيرات من الزوجات والامهات اللائى يضطررن الى ممارسة أعمال خارج بيوتهن تحت ضغط الظروف ٠ بل اننى أعتقد بأن على النساء أن يعددن أنفسهن للتكسب بجهودهن، اذ لا أمان للحياة٠٠غير اننا ونحن نبحث الوسائل التى تستطيع بها الزوجات ان يساعدن أزواجهن على النجاح ، لا يسعنا ان نتجاهل ان هذه المساعدة فى حد ذاتها عمل قائم بذاته يتطلب من الزوجة تفرغا فى التفكير والجهد ٠٠

ومهما كان عمل الزوج ، فان فرص تقدمه فيه تزداد بازدياد ما لزوجته من قدرة على الوئام مع الناس ، ومن مهارة فى التمشى مع المقتضيات الاجتماعية ٠٠ فاذا واتتها هذه المقدرة بالطبيعة، كان بها ، والا ٠٠ فعليها ان تكتسبها بمجهودها !

ولا ينبغى أن تظنى انك غير مطالبة بشىء ، لمجرد ان زوجك يشغل منصبا متواضعا ، فان زعماء الغد فى ميادين التجارة والصناعة والمهن لا يزالون اليوم جميعا من الشبان النكرات المجهولين ٠٠ وليس ثمة مخلوق يبدأ عند القمة ٠٠ فهل أنت على استعداد لان تعينى زوجك من الآن لعشر أو عشرين أو ثلاثين سنة عندما يصبح زعيما ؟

ابدئى اليوم! ٠٠ واذا كانت لديك أية مخاوف فاستعدى الآن لتبدديها ٠٠ واذا كنت خجولة عيية ، أو غير لبقة ، فتعلمى ان تحبى الناس وتحترميهم وتستطيبى صحبتهم ٠٠ واذا كنت

تحسين نقصا فى التعليم ، فلا تتخذى من ذلك ستارا وعذرا ، ولا تقولى : « اننى لم أحظ بفرصة التعليم الراقى » ، وانما استكملى دراستك فى مدرسة ليلية٠٠ واذا لم يكن هذا فى طوقك فاهرعى ولست أقول امشى - الى أقرب مكتبة عامة ٠٠ فالكتاب لا يقل شأنا عن المدرسة !

أزيلى أثر أخطاء زوجك !

◆ **ومعرفة** طرق كسب الاصدقاء والابقاء على ودهم والانسجام مع الغير ، من الوسائل الاساسية فى الاعداد والتأهب لذلك الوقت الذى يصل فيه زوجك الى منصب ذى قيمة : فاذا كان الزوج فظا أو جلفا فى معاملة الناس، فان الزوجة اللبقة تستطيع ان تقضى على ما تتركه معاملته فى نفوس مخالطيه ٠٠ واذا كان دبلوماسيا فى علاقاته مع الناس ، وجب ان تكون زوجته دبلوماسية كذلك ، لتجنبه الظهور بمظهر السخيف اذا وضعته الظروف فى هذا الموقف ٠٠ الخ

ولقد ظلت الزوجات يحاولن فرض سيطرتهن على الازواج بالمناكفة والمضايقة ، مذ كان الفريقان يعيشان فى الكهوف ٠٠ وكم من شخصيات بارزة فى التاريخ عاشت فى نكد بسبب الزوجات المناكفات - كنابليون الثالث، وابراهام لينكولن٠٠الخ

ولا تزال النساء يحاولن أن يفدن من المشاكسة والمضايقة ، ولكن هذا الاسلوب لم يجد فى أيامنا هذه سوى عكس ما يرجى منه ٠٠ ولقد قام العالم النفسى « الدكتور لويس تيرمان » بدراسة مستفيضة لاكثر من ٧٩٢ زيجة ، فأسفرت النتائج عن ان الازواج يعتبرون المناكفة أسوأ ما يمكن أن ترتكب الزوجة من أخطاء !

ولقد روى لنا صديق لاسرتنا ان مستقبله كاد يتصدع على أيدى زوجة كانت تحقر كل عمل يؤديه ٠٠ فعندما بدأ حياته كبائع ، كان يعجب بانتاجه ويتحمس لبيعه ، حتى اذا عاد الى

داره فى المساء ، استقبلته زوجته قائلة: «كيف أنت أيها النابغة العبقرى ؟ .. هل عدت بمحصول وافر من عمولة البيع ، أو بمجرد محاضرة ألقاها عليك مدير المبيعات ! .. لعلك تعرف ان موعد سداد الايجار يحل فى الاسبوع المقبل ؟ »

واستمر الحال على هذا سنوات ، ومع ذلك فقد استطاع الرجل أن يمضى قدما بفضل كفاءته .. حتى غدا اليوم نائبا للمدير فى مؤسسة قومية معروفة .. أما زوجته فقد طلقها وتزوج من شابة أصغر منها ، توليه كل معـونة وعطف كان يفتقدهما لدى زوجته الاولى !

كيف تنغصين حياة زوجك ؟

◆ **والزوجة** المحبة للمناكفة والتنغيص تستطيع أن تتخصص فى نوع أو فى جميع أنواع القسوة التى تعذب زوجها وتشغل ذهنه : كالشكوى ، والوخز ، والمقارنة ، والسخرية ، وتكرار الحديث عن أمر معين .. والزوجة التى تدأب وهى فى العشرين من عمرها على التساؤل باستمرار عن اليوم الذى يكون لهـا ولزوجها فيه بيت كبيت أسرة من أصدقائهما ، لا تلبث اذا ما بلغت الاربعين ان تغدو مصابة مزمنة بداء الشكوى الممضة ، فلا يقنعها شىء !

وهكذا نجد ان المناكفة والمضايقة داء عاطفى هدام .. واذا كنت فى شك من أنك مصابة به فسلى زوجك .. ولو انه أجابك بأنك مناكفة ، فلا تقابلى ذلك بالانكار العنيف ، لان هذا لن يدل الا على أنه مصيب .. وانما بادرى الى تصحيح موقفك . وهاك ستة اقتراحات قد تساعدك على علاج هذا الداء :

١ ـ **استعينى بزوجك واسرتك** . سليهم أن يتقاضوك غرامة نقدية فى كل مرة تبدين فيها انفعالا أو خشونة أو تثيرين مناكفة حول مسألة ممضة !

٢ ـ **عودى نفسك على ان لاتتحدثى عن امر من الامور سوى**

مرة واحدة ثم تتناسيه .. فلو انك رحت تذكرين زوجك فى عتاب ست مرات بأمر وعد أن يؤديه ، لكان من المحتمل أن لا يفعله اطلاقا ، لان المضايقة لن تزيده الا اعراضا !

٣ ـ اجتهدى فى أن تحصلى على غاياتك بوسائل ألطف من التكرار فى عتاب .. كأن تعدى زوجك بنوع من الطعام أو الحلوى يشتهيه ، اذا هو فعل الامر الذى وعد بأدائه !

٤ ـ اعملى على أن تنمى فى نفسك روح المرح ، فان هذا يساعدك على أن توازنى بين الامور والظروف ..

٥ ـ تحدثى عن الخلافات الشديدة فى هدوء .. وجربى أن تكتبى الامور التى تغيظك على قصاصات من الورق بمجرد حدوثها ، حتى اذا استتب الهدوء بينك وبين زوجك فيما بعد ، تناولى هذه القصاصات وراجعيها ، تجدين ان ذكر الشقاق الخفيف التافه يخجلك ، ومن ثم فانك ستمزقينها وتلقين بها جانبا .. أما الخلافات الجسيمة فناقشيها فى هدوء ورزانة وعدم انفعال ..

صادف أن جلست فى مأدبة دعيت اليها من عهد قريب ، بجوار مدير العلاقات الصناعية لاحدى الشركات الامريكية العريقة ، فسألته عن آرائه فى خير ما يمكن أن تتبعه الزوجات لمساعدة أزواجهن على أن يرقوا سلم النجاح ، فقال :

ـ أعتقد أن اسمى شيئين تستطيع أية زوجة أن تفعلهما للمساهمة فى تقدم زوجها فى عمله هما : (١) أن تحبه .. (٢) وأن تدعه وشأنه .. فالزوجة المحبة ينبغى أن تعمل دائما على أن توفر لزوجها حياة منزلية مريحة هانئة .. واذا كانت على ذكاء يمكنها من أن تدعه ينصرف الى مهامه دون تدخل يشغله ، فلست أرى ما يحول دون تقدمه بالقدر الذى تهيئه له كفاءته ومرانه .. وأستطيع أن أقول أن الزوجة تستطيع أن تقضى على منصب زوجها اذا أصرت على أن تقدم له النصح وتتدخل فى شئون عمله ، وتحفزه ضد من يعمل معهم

ولا تكف عن الشكوى من مرتبه ومن ساعات عمله ومن واجباته ٠٠ الخ

وكم من عروس تداعبها الاحلام الذهبية بأن تدفع فتى أحلامها وتوجهه الى مصاف الرؤساء والمديرين ٠ فاذا كنت ممن يومن بقوة التوجيه والدفع من وراء ستار ، فانى سأيسر لك هذه المهمة ، بأن أعرض عليك فيما يلى قائمة تتضمن عشر طرق فنية لـ « كعبلة » زوجك وجره الى أسفل السلم بدلا من اعانته على صعوده :

١ ـ كونى وقحة مع سكرتيرته ، لا سيما اذا كانت شابة وجميلة ، فلا تدعى فرصة دون أن تذكريها بحدود مركزها ، فان فقد السكرتيرة الصالحة قد يكون مصابا فادحا للرجل الطموح

٢ ـ اتصلى بزوجك تليفونيا عدة مرات فى اليوم ، وحدثيه عن متاعبك المنزلية ، واسأليه مع من يعتزم تناول الغـداء ، ولا تنسى ان تمليه طائفة من أصناف البقالة ليبتاعها لك وهو عائد ! ولا تنسى قط أن توافيه فى المكتب فى يوم تقاضى المرتبات، فسرعان مايتبين الذين يعملون معه من منكما صاحب السلطان فى البيت، وسرعان ماتتلاشى قدرته على تركيز فكره فى عمله٠٠

٣ ـ أثيرى نزاعا مع زوجة أحد من يعملون معه ، فلا يلبث المكتب أن ينقسم الى فريقين ٠٠ واذ ذاك تقترب النهاية !

٤ ـ نبئيه كيف أنه مثقل بالعمل دون ان يتقاضى المرتب الذى يستحقه ، وكيف أنه لا يلقى تقديرا من أحد فى المكتب الذى يعمل فيه ، فانه لا يلبث ان يبدأ فى الاعتقاد بما توحين به اليه، طال الوقت أو قصر، وسرعان ما يتجلى أثر هذا فى عمله !

٥ ـ تعودى ان تخبريه كيف يستطيع ان يحسن عمله وان يحظى برضاء رؤسائه ٠٠ فكونى أنت الرئيس الذى يدبر له سياسة العمل فى المكتب الذى يعمل فيه هو ٠٠ لا أنت !

٦ - اوحى اليه بالنجاح الظاهرى ، بأن تقيمى الحفلات التى تبهظه نفقاتها ، وبالعيش فوق مستوى دخله ٠٠ وثقى انك لن تخدعى أحدا بهذا المظهر ٠٠ ولكنك ستجدين كثيرا من المسرات طالما بقى هذا الوضع ٠٠

٧ - ضعى نظاما للتجسس على زوجك فى البيت واسأليه ودققى فى الاستقصاء عن صلاته بالعميلات ، وبمن يساعدنه فى العمل ، وبزوجات زملائه ٠ ولا تحفلى بالحقيقة التى توحى بأن لا غنى عن الاتصال بالنساء فى العمل ، وبأن الرجال لا يستطيعون تفادى ذلك بالاعتزال فى حجرة خاصة لهم يحرم على النساء دخولها ٠٠

٨ - استعملى فتنتك واغراءك لاجتذاب أنظار رئيسه ٠٠ فاذا لم يحفل به الرئيس بعد ذلك ، فان زوجة المرؤوس لن تخفق فى أن تجعله يبحث عن رئيس جديد !

٩ - أسرفى فى الشراب فى الحفلات والمناسبات التى يقيمها المكتب الذى يعمل فيه ، بدعوى ان هذا يجعلك روح الحفلة ٠٠ ويخلق - على حساب زوجك - ذخيرة من الاقاويل التى يتبادلها أولئك الذين يعمل معهم !

١٠ - ابكى ، واشتكى ، وتذمرى فى كل مرة يضطر فيها الى العمل لاكثر من الوقت المحدد ، أو للسفر فى مهمة تتعلق بالعمل ٠٠ ودعيه يتبين انك فوق العمل وقبله !

فاتبعى هذه القواعد العشر ، ان شئت ان تقومى بحيلة من الدرجة الاولى لافساد فرص الترقية على زوجك ٠٠ وستكون النتيجة ان يفقد عمله ٠٠ وان تفقدى زوجك !

كيف تؤدين دورك فى معاونة زوجك

◆ **هل** أعد زوجك نفسه للفوز بالترقية ؟ ٠٠ اذا لم يكن قد فعل ، فماذا ترينه يعتزم ؟ ٠٠ قليل جدا من الرجال أولئك الذين يعرفون عند بدء حياتهم العملية ما سوف يحتاجون اليه

من معرفة للوصول الى ما يأملون أن يبلغوه من مناصب فى خمس أو عشر أو خمس عشرة سنة ٠٠ وانما ينبغى أن يتعلموا ذلك أثناء ممارستهم العمل ، سواء توصلوا الى المعرفة عن طريق الخبرة والتجربة أو عن طريق الدرس ٠

ويقول العالم النفسى « لويد وارنر » ان الحلم الامريكى يستند الى الايمان بأن الانسان يستطيع أن يسير قدما نحو النجاح ، وان التعليم والتربية من الوسائل الرئيسية التى يمضى بها فى رقيه ٠٠ ومن ثم تهيىء كثير من الشركات لمستخدميها ـ على نفقتها ـ برامج خاصة لهذا التدريب على كل ما ينفعهم فى عملهم ٠٠ وتمنح شركة أخرى علاوات لاولئك الذين يبادرون من تلقاء أنفسهم الى تلقى برامج خاصة للتدريب فى أوقات فراغهم وعلى نفقاتهم الخاصة

فما الدور الذى تستطيع أية زوجة أن تقوم به لتعزيز سعى زوجها الى تعليم نفسه كى يصبح أهلا للترقية ؟

الواقع ان دورها يتلخص فى : أن يكون موقفها ومسلكها متناسبا مع جهوده لتحسين مركزه ٠٠

خذى مثلا موضوع استكمال المران والاعداد ، عن طريق تلقى دراسات فى مدرسة مسائية ٠٠ ان الرجل الذى يخصص ما بين ليلتين وخمس ليال من الاسبوع للتردد على مدرسة مسائية ، حريص بلا شك على أن يمضى فى طريقه قدما ، سواء فى عمله الحالى ، أو فى أى ميدان يعد نفسه له ٠٠ ومن ثم فخليق بزوجته أن تتعلم المضى وحدها فى شئونها خلال هذه الفترة ٠٠ يجب أن تهيىء نفسها لساعات من الوحدة ، وأن تملأ الفراغ بنشاط من خلقها وابتداعها ٠٠ فاذا أخفقت فى هذا ، تأثر قسط من التفرغ اللازم للرجل فى دراسته ، بالقلق الذى ينتابه من أجل شقاء زوجته ٠ وقد يفرط أحيانا فى مساعيه الدراسية بسبب شكواها من الوحدة !

واحكم سبيل للزوجة هو ان تختار لنفسها برنامجا دراسيا

بدورها .. ولعل من الخير - لو سمحت الموارد المالية - أن تدرس عين ما يدرسه زوجها ، حتى تكون أكثر فهما وتقديرا لعمله .. أو تدرس برنامجا فى ميدان يتصل بميدان عمله ويكمل معلوماته ..

الزوجة التى تعرقل مستقبل زوجها !

والزوجة الراغبة فى نجاح زوجها يجب أن تكون على استعداد لان تجعله يعمل فى أى مجال يحبه أكثر من سواه ، ولو أدى ذلك الى تحملها بعض المكاره .. يجب أن يكون لها من الجرأة ما يتكافأ مع معتقداته ، فلا تخشى أن تؤازره فى طموحه ، غير آبهة بما يلقيان فى سبيل ذلك .. أما أولئك الذين يضحون بالاقدام والابتكار فى سبيل الاطمئنان والسلامة ، فانهم لا يلبثون أن ينتهوا الى غير مغنم ..

أعرف رجلا قضى عليه أن يعيش عمره فى عمل لا يلائمه ولا يروق له .. فقد بدأ حياته ككاتب حسابات ليكسب مايكفى كى يفتح ورشة لاصلاح السيارات .. ثم تزوج ، فكان من رأى زوجته أن يبقى فى عمله ريثما يدخران ما يكفى لسداد الدفعة الاولى من ثمن منزل لهما.. حتى اذا أصابا هذا الهدف، كانا موشكين على أن يرزقا بابن ، فاذا بالزوجة تجعل زوجها يرى معها أن من الحماقة أن يجازفا بمدخراتهما الضئيلة للشروع فى مشروعه ، وهما على أبواب انجاب نسل يتطلب نفقات ومسؤوليات .. وهكذا مضت السنون تباعا .. فاذا بالاقساط المستحقة على بيتهما تتوالى .. واذا بأقساط التأمين الذى عقده لتربية ابنه تترى .. فكان من غير المعقول أن يبدأ مشروعه .. ولو لم يقدر له أن ينجح فى العمل الذى كان يمارسه لفقد أقدميته فى الشركة ، والمعاش الذى يستحقه منها اذا ما اكتهل ، والميزات التى تكفلها له فى مرضه ، والمرتب الثابت ، رغم تواضعه .. الخ

وهكذا فقد هذا الرجل فرصته ، لان زوجته لم تكن راغبة فى أن تطمئن اليه فى مجازفته ٠٠ فاذا هو اليوم مضنى ، ضجر ، يقضى فراغه فى فك أجزاء سيارته واعادة تركيبها٠٠ وهو يشعر بأن ركب الحياة قد مر به وتجاوزه !

ولكن ٠٠ ما الذى كان منتظرا أن يحدث لو أنه ضحى بوظيفته وحاول أن يقوم بمشروعه ففشل ؟ ٠٠ كان على الاقل يشعر بأنه قد أرضى نفسه ووصل الى ما كان يشتهى ٠٠ ولو أنه جرب وأخفق عدة مرات لكان من المحتمل أن ينتهى الى النجاح آخر الامر ٠٠

فاذا شئنا نحن الزوجات أن ينجح رجالنا فى الاعمال التى تهيىء لهم تحقيق كل جليل ، فعلينا أن نشجعهم على انتهاز الفرص ٠٠ وأن نكون من الجرأة والشجاعة بحيث نتحمل نصيبنا من المجازفة ٠٠

الرثاء الذى تتمناه الزوجة !

◆ **كتب** « ا٠ ج٠ هاردى » ــ المؤلف الامريكى ــ أن فى مقبرة بمكان ما من نيوزيلندا ، قبرا يحمل النصب المقام عليه اسم امرأة ، وهذه الكلمات : « كانت غاية فى اللطف والارضاء » ٠٠ ولست أدرى وقع هذه الكلمات فى نفوسكن ، ولكنى شخصيا لا أكاد أفكر فى رثاء لى أفضل من هذا ! ٠٠ ولابد أن الزوج الحزين الذى سجل هذه العبارة على قبر زوجته ، ينعم بآلاف من الذكريات : وجه مشرق بالابتسام يستقبله عند عودته لداره ٠٠ غذاء شهى ، دافىء ، على مائدته ٠٠ مخلوقة تضحك لنكاته القديمة وفكاهاته الركيكة ٠٠ دار تحيطه بالحب والراحة ٠٠ الخ

والزيجات ذات النجاح الباهر ، تقوم على سعة افق الزوجة فى تعلم واتيان ما يسر ويبعث على الرضى ٠٠ وتقول مسز دوايت ايزنهاور ــ زوجة رئيس الجمهورية الامريكية ــ انها

تعتبر أولى مهام المرأة ان تتذكر « الاشياء البسيطة » التى تساعد على اسعاد الغير ..

وهذا حق ، فلربما كانت هذه الاشياء البسيطة ليست بسيطة ولا تافهة .. ألم يقل اللورد تشيسترفيلد : « ان حسن الخلق يتألف من تضحيات تافهة » ؟.. وهذا أيضا سر الزيجات الصالحة .. والزوجات اللاتى يبدين استعدادا للنزول عن بعض الرغبات المفضلة لديهن ، يلقين عادة جزاء يفوق تلك التضحيات البسيطة بمراحل !

ومشاطرة الغير فى أى شىء ـ سواء كان هذا الشىء لقمة عيش أو فكرة ـ كفيل بأن يقرب بين الناس .. وكذلك مشاطرة أحبائنا الموضوعات التى تهمهم والامور التى تسرى عنهم ، هى أهم السبل الرئيسية للسعادة فى علاقات البشر ..

كونى « زميلة » لزوجك !

◆ ثم ، ما هى العناصر الرئيسية للزمالة ؟ .. الاصدقاء المشتركون ، والمصالح المشتركة ، والمثل العليا المشتركة ..

هذه هى الاشياء التى تربط بين الناس . واليك مثل يوضح هذه الحقيقة : « أرثر مرى » وزوجته « كاثرين » من أقطاب معلمى الرقص فى أمريكا ، وقد علما من الناس أكثر مما علم سواهما منذ الازل .. وقد تزوجا منذ ٢٨ عاما ، وظلا يعملان معا طيلة هذا العمر كزميلين وشريكين .. ولقد سألت كاثرين يوما « كيف تتفادين وزوجك الاختلاف والشقاق وأنتما تعملان

معا بهـــذا الشكل ؟٠٠ ألا تجدان من العسير أن تفرقا بين حياتكما العملية وحياتكما كزوج وزوجة ؟ » ٠٠ فأجابت :

ـ أبدا ٠٠ غاية ما فى الامر اننى أبذل شيئا قليلا من الجهد فوق ما يبذل عادة ٠٠ **اننى أحاول ان أرتدى ثيابا فاتنة فى البيت ، لامر واحد : فانى لافضل أن يرانى عشرة رجال دون زينة ، عن أن يرانى زوجى فى هذه الحال ! ٠٠ واهم من ذلك اننا نتشاطر متعا متشابهة، فكل منا يحب السباحة ولعب التنس ٠٠ ومن ثم فنحن نتيح لنفسينا فراغا كلما استطعنا لنمارس هاتين الرياضتين ٠٠ وقد قمنا فى الاسبوع الماضى برحلة قصيرة الى « برمودا » ٠٠ اذ أن الاشتراك فى المرح يقرب بيننا ويضفى على حياتنا مزيدا من التنوع والبهجة ٠٠**

فكم منا ـ معشر الزوجات ـ من ترضى بأن ترتدى حذاءين ذوى رقبتين عاليتين ، وسروالا قصيرا ، وتتعـرض للبلل والاتساخ والبرد ، فى رحلة لصيد السمك ٠٠ لمجرد أن تحظى مع زوجها بروح الزمالة ؟

اعترف لى أعزب من ذوى الثقافة الراقية ، بأنه لا يتردد لحظة فى الاسراع بالزواج ، لو انه عثر على امرأة تؤنسه وتتيح له جو الزمالة ، وتحترم ـ فى الوقت ذاته ـ الرغبة التى تولد مع الرجل فى أن يستمتع بالانفراد بنفسه متى أحس بميل لذلك ٠٠

اتيحى لزوجك أن ينفرد بنفسه ٠٠

والواقع أن الزوجات يقضين كثيرا من الوقت فى وحدة وانفراد، ومن ثم فهن غالبا ما يعجزن عن أن يفهمن أن رغبة الرجل فى « الانفراد » لا تعنى العزلة الحقيقية ، وانما تعنى التحرر من مطالب المرأة وقيودها ٠٠ فمن الازواج من يحقق ذلك بقضاء سهرة فى اللعب مع أصدقائه من الرجال ٠٠ وبعضهم يحبس نفسه فى حظيرة سيارته ، وقد ارتدى سترة الميكانيكى وراح

يعالج آلات السيارة .. أو فى الانصراف الى قراءة قصة بوليسية.. ومهما كان استغلال الرجل لهذه اللحظات المنفردة السعيدة ، فمن الحذق أن تعمل الزوجة على أن تتيحها له..

وليس ثمة شك فى أن الازواج يحتاجون الى أن يتخلصوا من القيد بين وقت وآخر ، فاذا ساعدناهم على أن يقبلوا على هواية تستغرقهم فى أوقات الفراغ ، وان نمنحهم قسطا مناسبا من الحرية المطلقة، نكون قد بذلنا الكثير لاسعادهم!

ومن الوسائل التى تستطيع الزوجة أن تنتهجها لتكون زوجة موفقة ، ان تكون لها بعض أشياء منفصلة - خارج نطاق حياتها الزوجية - تشغل نفسها بها .. وكما يعود الرجل الى عمله وقد استرد قواه ونشاطه اثر دقائق أو سويعات يكون قد قضاها فى احدى الهوايات الممتعة ، فان الزوجة تقبل على واجباتها فى استعداد أوفر اذا كان لها نشاط خارج مجال هذا الواجبات .. فان تغيير اتجاه النشاط يؤدى الى الانتعاش ..

وأفضل ألوان النشاط للزوجة فى أوقات الفراغ هى تلك التى تجعلها تتصل بالغير .. كأن تدرس بعض أشغال الابرة والتطريز ، أو تقضى بضع ساعات فى الاسبوع فى العمل فى احدى الهيئات الخيرية أو المدنية .. فمثل هذه المشروعات تتيح للمرأة وجهة نظر جديدة ، وتوحى اليها بمزيد من الشخصية الفردية ..

راجعى نفسك وتعمقى فى درسها .. فكرى فيما كنت دائما

تستمرئين ، أو تودين أن تفعليه ٠٠ ان ذلك لن يكلفك مالا ٠٠ تأملى الوسط الذى تعيشين فيه ، تدهشى اذ تجدى كم من الجهود القيمة ـ التى لا تكلف شيئا ـ تتاح للمرأة فى أصغر المدن ٠٠ فاذا عز عليك ان تجدى ما تنشدين ، فانشغلى فى تنظيم فريق ممن يبغين نفس الشىء ، لتعملن معا على تحقيقه ٠٠

هيئى لزوجك جوا «مريحا» !

◆ ثم هناك ناحية أخرى من الموضوع ٠٠

أى جو يعود اليه زوجك بعد يوم حافل بالاعمال ؟ ٠٠ وأى بيت ذاك الذى يحفزه على العمل ويتيح له جهودا منتعشة فى كل صباح ؟

قد يكون للاجابة عن هذين السؤالين أثر فى نجاحه (أو انعدام هذا النجاح) أكثر مما تخالين ! ٠٠ فلابد للبيت من أن يوفر للرجل عناصر أساسية معينة لتمكينه من أن يعمل بأقصى ما لديه من كفاءة ٠٠ وأهم هذه العناصر :

١ ـ **الاستجمام** : مهما كان ميل الرجل لعمله فان ساعات العمل تكبده قدرا من التعب والتوتر ، اذا ما بدد عند عودته الى المنزل ، استطاع أن يحشد من جديد موارده الذهنية والبدنية والعاطفية ٠

وكل امراة تبغى ولا شك أن تكون ربة بيت صالحة ، ولكن الرجل احيانا لا يجد فى داره ما يساعده على الاستجمام ، لان زوجته مسرفة مثلا فى العناية بتدبير المنزل ! فكلنا معشر الزوجات نميل احيانا الى أن نطعن أزواجنا بنصال مثلومة لانهم يبعثرون الصحف واعقاب السيجار والزجاجات الفارغة وما اليها فى أرجاء البيت الانيق المنظم المنسق الذى جهدنا فى اعداده ٠ ولكن علينا أن نذكر قبل أن نثور عليهم ، أن البيت هو المكان الوحيد الذى يستطيع الزوج أن يتحرر فيه من قيود التكلف ويطلق نفسه على سجيتها ٠٠

٢ ـ **الراحة** : لما كان تزيين البيت وتأثيثه من صنع الزوجة الى حد كبير ، فعليها أن تذكر ان الراحة من أهم مطالب الرجل . والاثاث المتكلف فى مظهره قد يروق لعين المرأة ، ولكنه قد يضايق الرجل المتعب .. اذا لم يوفر له الراحة التى ينشدها !

٣ ـ **النظام والنظافة** : فان الوجبات التى قلما تقدم فى مواعيدها ، والفوضى فى الحمام ، والفراش المشعث ، وما الى ذلك من نقائص فى التدبير المنزلى .. قد تدفع بالرجل الى المشارب ، والمراقص ، والصالات ، والغوانى .. اذ يبدو أن أهواء الرجال تجعلهم لا يحتملون أى نقص أو اهمال الا ما يكون صادرا منهم !

« ايحاء » الزوجة لزوجها بالنجاح ..

◆ **والاثر** الذى يخلفه زوجك فى نفوس الناس كثيرا مايكون انعكاسا لمسلكك نحوه .. وقد اتصلت من عهد غير بعيد بأحد باعة الاجهزة المنزلية أسأله عن جهاز كهربائى للتبريد ، فاذا زوجته تتلقى رسالتى وتدلى عنه بالبيانات التى أطلبها ، ثم تقول : « ان زوجى يامسز كارنيجى هو الخبير الحقيقى طبعا بأجهزة التبريد ، فاذا سمحت لى دبرت موعدا يحضر فيه الى منزلك فيرشدك الى النوع الذى يفى بحاجتك تماما »

وعندما جاء الرجل ، كنت مطمئنة اليه بفضل ما تجلى لى من ثقة زوجته به ، فتقبلت كل ما أدلى به ، وابتعت الجهاز الذى نصحنى به ..

ويميل الناس عادة الى أن يعيشوا فى الدور الذى نخلعه عليهم .. قولى لطفل انه مضطرب ، تجدينه أكثر ارتباكا مما كان .. اطرى أدبه ، تجدين أخلاقه فى تحسن . عاملى أى رجل كما لو كان ناجحا ، تجدينه يبدأ ـ دون أن يفطن ـ فى الكشف عن خصال ترشحه للنجاح .. الخ

وزوجات أصحاب المهن الحرة أقدر ـ على ما يبدو ـ من

سواهن فى خلق الشعور الطيب ازاء كفاءة أزواجهن ، فأنت تجدين الواحدة منهن تقول فى أسى : « بودى لو ذهبت الى تلك الحفلة ، لولا أن زوجى غارق فى العمل لاعداد مذكرته عن تلك القضية الكبرى التى كلفته بها الشركة » .. وهكذا توحى اليك الواحدة منهن ، ببضع كلمات عابرة ، بصورة لزوجها كرجل مثقل بالعمل ، يكافح بيديه وقدميه ليخلص من عملائه ويملأ رئتيه بالهواء ..

وليس بين الرجال المتواضعين من يحب أن يشيد بمناقب نفسه، ولكن ليس ثمة ضرر فى أن تطريه زوجته ببضع كلمات، على شريطة أن تبقى فى حدود اللياقة والذوق الحسن .. وعلى العكس من ذلك ، يستطيع الرجل أن يكون فى غاية التواضع من أجل الخير الذى ينشده . فاذا كان زوجك من هذا الصنف الذى يهون من قدر أعماله ، فانه قد يغدو عرضة لان يأخذ الناس هذا التهوين منه على محمل الجد ، وأن يروا أنه ليس بالنجم اللامع !

كيف تعنين بصحة زوجك ..

◆ ومعظم الرجال يقل غذاؤهم كلما تقدمت بهم السن ، اذ يقل نشاطهم البدنى . ومن ثم فعلينا أن ندعم لديهم - قبل الكبر - عادة الاقبال على الاكل ، اذا شئنا أن نحول بينهم وبين الذبول، وأن نذكى روحهم ونشاطهم . فاحرصى على أن تخلو الوجبات التى يتناولها زوجك فى البيت من العجلة والقيود . **ومن العادات التى يؤسف لها فى كثير من البيوت ، الفطور الذى يلتهمه الرجال فى سرعة ، لذلك يحسن أن تستيقظى مبكرة ، اذا استدعى الامر ذلك ، لتتأكدى من أن زوجك يصيب فطورا مغذيا ، وافرا ، على مهل !**

وهاك بعض قواعد عليك بها اذا شئت أن يطول عمر زوجك وأن يظل محتفظا بنشاطه وصحته :

١ - راقبى وزنه بنفس الدقة التى تراقبين بها وزنكِ .

واطلبى من أية شركة للتأمين جدولا يبين علاقة الوزن بطول العمر ، ثم راجعى وزن زوجك على هذا الجدول ، واجتهدى أن لا يتجاوز الفرق عشرة فى المائة . فاذا تجاوزه ، فسلى طبيب الاسرة أن يصف له « رجيما » خاصا !

٢ - تشبثى بضرورة الفحص الطبى للجسم والاسنان والبصر ، مرة فى العام . فان كثيرا من حالات الموت التى تتأتى عن مرض القلب ، والسرطان ، والسل، والسكر ، يمكن تفاديها اذا اكتشفت فى مرحلة مبكرة

٣ - سر مقاومة التعب هو فى التماس الراحة قبل حدوث التعب ، لذلك يكون لفترات الاستجمام القصيرة مفعول عجيب .. فاذا جاء زوجك للغداء ، فاحمليه على أن يستلقى لعشر أو خمس عشرة دقيقة قبل أن يعود الى عمله . شجعيه على أن ينام قليلا « قبل » الغداء ، فان هذا قد يطيل عمره

٤ - احرصى على أن تظل حياته المنزلية سعيدة. فان الرجل التعس ، المهموم ، الساخط ، يكون عرضة للانحدار .. فان انعكاس حالته النفسية لا يمكنه من التفكير الصحيح ، مما يجعله عرضة لان يخرب سيارته أو يصطدم بها فى الطريق ، أو أن ينسى نفسه بين الآلات - ان كان عمله ميكانيكيا - فيصاب بضرر .. الخ .. كما أن تعاسته البيتية تجعله عرضة لان يفرط فى الاكل أو الشراب الى الحد الذى يؤذى صحته ! ويقول الدكتور « هارى جولد » - الاستاذ بجامعة كورنيل - ان « الناس كثيرا ما يقبلون على الاكل عندما يفتقدون الهناء ، أو ينشدون التخلص من الهم والتوتر ! »

والخلاصة .. ان جزءا كبيرا من نجاح كل فرد فى الحياة يتمثل فى أن يكون سليما بدرجة تجعله يستمتع بهذا النجاح. **فعلينا معشر الزوجات أن نقبل - شئنا او لم نشأ - مسئولية صحة أزواجنا .. وخليق بكل رجل متزوج أن تكون انشودته التى يرددها فى اسماع زوجته هى : « حياتى فى يديك ! »**

◆ « .. ولكن عبادة النساء لبيرون كانت تزداد كلما ازدادت سيرته سوءا .. لقد عبدنه فى جنون ، حتى ان نصف نساء أوربا القين اللوم على زوجته عندما فارقته آخر الامر ، لانها لم تستطع ان تحتمل فظاظته أكثر مما احتملت ! .. وهؤلاء النساء ذاتهن اغرقن بيرون فى طوفان من القصائد والرسائل الغرامية ، وخصلات شعرهن ! .. وقد عمدت احدى شهيرات النبيلات الانجليزيات - وهى ارستقراطية ذكية ، ثرية ، ونجمة متألقة افتتنت بها لندن فجثت عند قدميها الدقيقتين - عمدت الى التنكر فى زى غلام ثم وقفت على قارعة الطريق ساعات ، تحت المطر المنهمر ، انتظارا لبيرون حين يشرق بطلعته البهية وهو خارج من مقره المقدس ! .. كما جنت به امراة أخرى غاية الجنون فتبعته من انجلترا حتى ايطاليا ، ثم ضيقت عليه الخناق الى أن استسلم لها آخر الامر ! »

◆ « .. وكان يلذ لبيرون أن يعذب النساء ! لم تكن قد انقضت على زواجه ساعتان حين صارح عروسه بانه يكرهها ، وانه ماتزوجها الا نكاية فيها ، وانها ستعيش فريسة للحسرة والندم على اليوم الذى رأته فيه لاول مرة .. وقد حدث بالفعل ! »

◆ « .. وكان الناس يشبهونه ، بقده الرشيق وقامته الفارعة ، بالاله ابوللو ! كانت بشرته ناصعة البياض ، حتى يبدو « كزهرية من المرمر مضاءة من داخلها » ! .. وقد اشاع عنه القرويون المقيمون على مقربة من الدير الكبير الذى اتخذه مسكنا ، مختلف الروايات : قالوا ان خدمه جميعا كانوا فتيات حسناوات خفيفات الظل ، فى ربيع العمر ، كن يقدمن الخمر له ولاصدقائه فى أوان من الجماجم البشرية عولجت بالصقل والتلميع حتى صار لها بريق البدر فى سماء الصحراء .. ! »

فقرات من سيرة حياة « لورد بيرون » ، وهى ليست سوى واحدة من ٢٥ سيرة كتبها الكاتب العالمى « ديل كارنيجى » بأسلوبه الساحر فى كتابه الشائق :

الخالدون

عدد خاص من « مطبوعات كتابى » يصدر يوم ١٤ مارس .. احجز نسختك من الآن لدى بائع الصحف

حدث ذات يوم

من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء ..

في هذا الباب قرات معى فى الاعداد السابقة ، القصص الآتية على التوالى :

لوكريشيا بورجيا
« تيبريوس » قيصر روما
عشيقة نابليون (مارى فالفسكا)
فضيحة «كارولين» ملكة انجلترا
الحب أقوى من الموت !
امرأة وملك (مدام دى مانتنون)
نيرون : الطاغية السفاح
ليدى هاملتون
مارى انطوانيت
مصرع القيصرية فى روسيا
ملكة الغواية: بولين بونابرت
مأساة ملك بافاريا

واليوم اقدم اليك فيما يلى هذه القصة الواقعية التى جرت وقائعها فى مدينة فلورنسا بايطاليا فى عصر النهضة ، وهى كما سترى قصة حافلة بالاحداث والعواطف والانفعالات الحادة التى كانت طابع الحياة فى ذلك العصر ...

وفى الاعداد القادمة تقرا معى باذن الله المزيد من قصص التاريخ الشائقة ومآسيه الكبرى ..

الحب والجريمة

تحت سماء فلورنسا

للمؤرخ الروائي
أرنولد ويرنج

ومضة فى الظلام!

◆ **لم يحفل عهد من عهود أوربا – بل من عهود التاريخ –** بالدسائس والمؤامرات والمكائد كما حفل عهد آل مديتشى ، حكام فلورنسا فى أواخر العصور الوسطى وأوائل عهد النهضة ٠٠ ولكن هذا العهد على ظلامه المعتم ، لم يعدم ومضة من النور باهرة طاهرة ، تمثلت فى : جويليانو دى مديتشى وأخيه لورنتسو ٠٠ فلقد أتاح الشقيقان لفلورنسا سلسلة من الاعياد البهيجة ، المرحة ، بما كانا يقيمان من حفلات للنزال ، ومباريات للمبارزة والفروسية ، فكانت أسطح الدور المحيطة بميدان « بلاتزا سانتا كروشى » وشرفاتها ونوافذها ، تزخر بالنظارة الذين اتخذوا أبهى زينة ٠ وكان فرسان الاسرة النبيلة وشبابها ينطلقون فى مواكب استعراضية ، وقد أحاط كل منهم نفسه بالاتباع ، منهم من يحملون أعلام الاسرة ، ومنهم من يرفع عقيرته بالنداء راويا تاريخها وأمجادها ، ومنهم من يدق الطبول ٠٠ ومنهم الحراس المدججون بالسلاح ٠٠ الخ

وكان لورنتسو دى مديتشى – أكبر الاخوين – يعتلى صهوة جواده فى تلك الحفلات وقد ارتدى درعا مرصعا بالماس ، وقلنسوة موشاة بالجواهر ، ووشاحا من المخمل ٠٠ وأحاط عنقه بمنديل كبير من الحرير الابيض المطرز بالورود واللآلىء ، بينما احتضن تحت ساعده خوذة لامعة براقة تعلوها ثلاث ريشات!

وكانت مواكب الشباب تطوف متأملة حسان المدينة وفاتناتها ، حتى اذا أشرف العيد أو المهرجان على نهايته ، انتخبوا من بين المدللات الساحرات من ينصبونها ملكة للجمال فى المجتمع ، ويروحون يتقربون اليها ويتنافسون على خطب ودها ، خلال الحفلات التنكرية والمراقص والمواكب التمثيلية التى تعقب ذلك

٠٠ وما كان أروع هذه المواكب ٠٠ كانت لوحات حية ، تمثل الاساطير بما فيها من آلهة ، وتمثل التاريخ بما فيه من أبطال وأمجاد٠٠كانت صورا تعرض رواء عصر النهضة فى باكورته٠٠

سيمونيتا الحسناء

◆ **وفى** سنة ١٤٧٥ أقيم أحد هذه المهرجانات تكريما لجويليانو دى‌مديتشى٠٠فاذا الشاب ابن الثانية والعشرين ربيعا يمتطى صهوة جواد أصيل ، وقد ارتدى درعا من الفضة ، وطفرت دماء الفتوة فى شراايينه ، وطفح الشباب على محياه ، فاذا هو صورة تهفو لها قلوب العذارى ، ويحسدها الرجال !

كان طويل القامة، رقيق القسمات دقيقها، ذا عينين تومضان فى بريق جمع بين جرأة الرجولة وأحلام الشاعر المرهف العواطف ٠٠ وقد انسدل شعره الاسود على قفاه ، وافلتت منه خصلة راحت تترجرج على جبين « جويليانو » فتسبغ عليه مظهرا من مظاهر الصبا والبراءة التى تسبى القلوب ٠٠

ومع ذلك ، فقد كان « جويليانو » أبعد الناس عن الليونة والمياعة اللتين توحى بهما مثل هذه الفتنة ٠٠ كان فارسا لا يشق له غبار ، ومنازلا جريئا ، أوتى مهارة فى اللعب بالسيف، وبراعة فى المصارعة ٠٠ فضلا عما أوتيه من مواهب الموسيقى والفن ونظم الشعر !

وعقدت المباريات ، فأقبل الشباب يتنافسون فى اظهار رجولتهم وشجاعتهم على مرأى من الكواعب الحسان اللاتى كن يرقبنهم من الشرفات والمنصات ، يوحين اليهم بالتحمس والتفانى ، ويصفقن للمنتصرين ٠٠

ونزل « جويليانو » الى المعمعة فاذا بالفوز معقود له ، حتى حظى بالجائزة الكبرى للمهرجان! وفيما هو يشق طريقه للخروج لمح حسناء كسف جمالها فتنة ملكة جمال المجتمع ، وطغى على بهاء حسان فلورنسا أجمعين ٠٠ كانت فتاة فى السادسة

عشرة ، رقيقة ، مرهفة ، فتنت نساء المدينة قبل رجالها ٠٠ تلك هى « سيمونيتا كاتانيو »، حسناء من بنات جنوا اللاتى أشرقن على مجتمع فلورنسا فبهرن الانظار ، وقد استطاعت عقب ذلك المهرجان أن تظفر بعرش جمال المدينة !

وأحبهاجويليانو منأول نظرة ٠٠ ولم يجد عناء فى الاتصال بها، فزاد تدلها فى هواها ٠٠ ولكنه كان يتطلع اليها كحلم لا سبيل الى تحقيقه، فهو يقنع بمجرد الرغبة فى أن يظل فى جوه، ولو ٠٠ فى المنام !٠٠ فقد كانت «سيمونيتا» زوجة لماركوفيز بوتشى ، سليل احدى اسرات فلورنسا العريقة ٠٠ !

وهكذا قنع جويليانو بأن راح ينطلق مع سيمونيتا فى ريف « توسكانيا » المحيط بفلورنسا ٠٠ يتجاذبان أطراف الحديث بين الجبال الهادئة ، وفى وادى نهر « أرنو » الوادع ، وبين قطعان الماشية فى المراعى ٠٠

وكاشفها بهواه فتقبلته فى براءة وطهر ، لم تنس أن لزوجها عليها حقا ، ولم تنس ان لقلبها وروحها عليها حقوقا ٠٠ فقنعا من هذا الغرام بالمناجاة ، وبالاشعار ينظمها الفتى المستهام ليسكبها فى سمع الحبيبة الرقيقة الحنون ٠٠

وعاش جويليانو سعيدا بهذا الحب العذرى البرىء ٠٠ فلقد وجد فى سيمونيتا المثل الاعلى الذى كان ينشده فى الجمال ، والذى راح يستلهمه أنبل الافكار ، وأرفع مقومات السمو الروحى ٠٠ والذى راح يلوذ به من الحياة المتكلفة التى كانت تسود بلاط آل مديتشى ٠٠

الفـــاجعة

◆ ومع أن الشعراء راحوا ينظمون القصائد فى « سيمونيتا » وقد غدت ملكة لجمال مجتمع فلورنسا ‥ ومع ان الفنـــانين أقبلوا يخلدونها فى انتاجهم ، حتى لقد رسمها «بوتيتشللى» فى شكل « فينوس » وهى تتقدم موكب الربيع ‥ الا أن هـــذا كله لم يك يشغلها عن جويليانو المحب النبيل ‥ كان هو ربيع الشباب فى فلورنسا ، وكانت هى ربيع هذا الربيع ‥

ولكن ربيعها هى ‥ ربيع حياتها ، كان قصير الامد ‥ فلم يفد شهر أبريل من العام التالى ، حتى كانت فى أحضان القبر !

وكان موتها صدمة للاخوين جويليانو ولورنتسو ‥ فقــد أحبها الاخير بدوره ، وان لم يذهب فى التدله مذهب أخيه‥ وكان فى « بيزا » حين أنشب المرض القصير مخالبه فى هــذا الجمال ، فأوفد اليها طبيبه الخاص ، وأمره بأن يوافيه فى كل يوم ببيان عن صحتها يبعثه مع رسول من أسرع الرسل ‥

وتلقى البيان الاخير وقد اظلم مجتمع فلورنسا حدادا ‥ وجاء فى هذا البيان : « لقد صعدت روح سيمونيتا الطاهرة الى الجنة ‥ ومن الانصاف ان نسجل ان جمالها طغى على انتصار الموت ‥ فلو انك رأيتها وهى مسجاة ، لراعك انها لم تكن تقل رقة وحسنا وجلالا عما كانت وهى على قيد الحياة ! »

واذ تلقى لورنتسو النبأ ، انطلق بدوره يهيم فى ليل الربيع محزونا ، يرافقه صديق أشفق عليه ‥ وفجأة ، توقف عن تجواله الحائر ، وتطلع الى السماء مشيرا الى نجم ذى بريق غير عادى وهتف لصديقه : « أنظر ‥ اما ان روح هذه السيدة البالغـة الرقة والنبل قد استحالت الى نجم جديد هو ذاك ‥ أو انـه نجم قديم ازداد تألقا اذ انعكس عليه وميض حسنها فى السماء!

ولكن جويليانو كان أبلغ حزنا وأسى من أخيه ‥

واذا كان لورنتسو قد استبشر بالنجم الذى رآه فى بيزا ، فان وفاة « سيمونيتا » كانت نذيرا بغروب نجم البشر والطالع الحسن في حياة جويليانو ٠٠ فقد كانت فى فلورنسا أسرة تنافس « آل مديتشى » فى النفوذ والسلطان، هى أسرة «باتسى» التى كانت تتقد غيرة ورغبة فى انتزاع الحكم ٠٠ واستطاعت ان تجد من مطامع البابا « سيكستس الرابع » منافذ خلال منصبه القدسى ، لتكسب تأييده ، وتتآمر معه ومع أبناء عمومة له فى روما من آل « رياريو » ٠٠

البابا الذي تستر على جريمة قتل !

◆ **تآمر** الطامعون على أن يقتلوا الشقيقين جويليانو ولورنتسو ، فيخلو لهم السبيل الى حكم ولاية فلورنسا ٠٠ ولم يتورع البابا عن التحمس لهذه الخطة ٠٠ كان ابن صائد أسماك، رفعته الدسائس والمؤامرات الى المنصب الجليل ذى القداسة ، فلم يطهر جلال المنصب قلبه من أدران الطمع وشهوة السلطان الدنيوى ٠٠ وراق له التحالف مع آل « باتسى » حتى اذا نجحت المؤامرة ، تنكر لهم ان لم ينصاعوا لرغباته ، وعين من أهله من يتولى حكم الولاية ، فيوسع بذلك رقعة سلطانه ٠٠

وما كان ليتورع عن انتهاج أى شىء فى سبيل غاياته ٠٠ كان على استعداد لان يخوض فى الدماء، وينغمس فى الخيانات٠٠

لذلك بادر بارسال قوات من جنود الفاتيكان تحتل مواقع رئيسية على حدود فلورنسا ، متأهبة للزحف اذا ما صدرت اليها الاوامر ٠٠ ثم اختار من رجاله أسقف « بيزا » ـ وكان يدعى فرانسيسكو سالفياتى ـ فوعده بأن يعقد له أسقفية فلورنسا ، وأوفده الى فلورنسا مع أفاق مغامر يدعى «مونتسيكو» عهد اليه بالدور الرئيسى ٠٠ دور الاغتيال ٠٠ اغتيال الشقيقين !٠٠ كما أوفد قريبه الكردينال « رافايلو رياريو » لينزل ضيفا فى قصر عميد أسرة « باتسى » ، وكان ملاصقا لقصر من قصور آل «مديتشى» انفرد به الشقيقان جويليانو ولورنتسو ٠٠

هكذا أعد المسرح للمأساة الغادرة الفظيعة التى كان مقدرا لها أن تغير مجرى تاريخ ولاية فلورنسا ..

وكانت الخطوة الاولى ، من وراء قفاز !.. اذ سعي الكردينال رافايلو الى كسب ود الشقيقين ، ودعاهما الى مأدبة وقد أعد عدته ليدس لهما السم فى الطعام .. ولكن القدر لم يكن قد ارتضي هذا الموعد المبكر ، فاذا جويليانو يصاب بمرض يلزمه الفراش .. واعتذر الشقيقان عن اضطرارهما للتخلف عن المأدبة .. وفسدت الخطة !

وكان ذلك نذيرا بتزعزع ثقة المتآمرين فى أنفسهم ، وارتباك تدبيرهم .. فان المرء اذا عقد عزمه على أمر ثم اضطر الى ارجائه ، بدأ التردد يداخله ــ من ناحية ــ فى حين يتجاذبه من الناحية الاخرى الخوف من أن ينكشف ما كان يعتزم ، الامر الذى يدفعه الى التعجل المتهور ، فلا يقوى على الصبر حتى يتقن رسم خطة جديدة ..

ومع ذلك فقد رسمت هذه الخطة آخر الامر !

مؤامرة الكردينال !

وكانت الخطة الجديدة تجمع بين الخسة والدهاء والاستهتار ، حتى لقد كانت كفيلة بأن توقظ ضمير البابا سيكستس الرابع ، لولا أنه لم يكن قد أوتى ضميرا .. على الاطلاق !

فلقد أوفد الكاردينال رافايلو الى لورنتسو من يوحى اليه بأنه جد مشوق الى مشاهدة الكنوز التى كان يضمها قصر آل مديتشى ، فلم يجد الشاب ما يحول دون أن يدعو رجلا ذا منصب دينى رفيع مثله الى القصر ، عقب القداس فى أحد أيام الآحاد .. وكان من الطبيعى أن يشفع ذلك بدعوة الى الغداء .. ورسم الكردينال مؤامرته .. فاذا ما انفضت المأدبة ، وهم الاخوان بالنهوض ، انقض عليهما « مونتسيكو » الشرير !

ولكن القدر تدخل مرة أخرى .. ومرض جويليانو من جديد ، اذ كانت صحته فى سوء مطرد مذ نكب فى سيمونيتا..

وكان لا بد من خطة ثالثة ..

وفى هذه المرة ، ذهب المتآمرون الى أبعد حدود الاستهانة ، اذ رأوا أن يتخذوا من الكاتدرائية مسرحا للجريمة ، بعد قداس أقيم فى احدى المناسبات الدينية ، وأن يختاروا لتنفيذها اللحظة التى ينكس فيها جميع المصلين رؤوسهم فى خشوع !

وصاح « مونتسيكو » الذى كان معروفا بوحشيته : « لا .. هذا تدنيس لبيت الله .. ولن أسمح لنفسى بالاشتراك فيه ! »

ولم يفلح الاغراء ولا التهديد فى اثنائه عن تشبثه بهذا الرفض .. ومن ثم عهد بالاغتيال الى اثنين من القساوسة لم تكن تربطهما بالدين سوى المسوح التى اعتادا أن يرتدياها .. فقد كانت الكنيسة فى القرن الخامس عشر لا تقل عن البلاط الملكى فى ايطاليا اغراقا فى الدسائس والمؤامرات .. ومن ثم لم يكن عجيبا أن يقبل « اثنانيومافى » و « ستيفانو دى بانيونى » - القسيسان - هذه المهمة الخسيسة

تنفيذ الجريمة

◆ **وفى** صباح الاحد الموعود ، كانت سماء ابريل الصافية تبعث فى نفسى لورنتسو وأخيه الطمأنينة وهما يغادران قصرهما لينضما الى « رافايلو » و « فرانسيسكو دى باتسى » ، وشرير يدعى « برناردو باندينى » من أعوان المتآمرين .. وكان لورنتسو يتمنطق بسيفه ، أما جويليانو فتخفف منه لما ناله بسبب المرض من اعياء ووهن ..

وفرق الزحام فى الكاتدرائية بين الشقيقين .. فوقف لورنتسو جنوب المنبر ، ووقف جويليانو شماله ..

وما كان ليخطر ببال أحد من المصلين والمترنمين أن بين القلوب التى ضمها بيت الله فى ذلك اليوم، قلوبا أفعمها الحقد حتى لقد بيتت النية على ارتكاب أدنأ ألوان الغدر فى المكان المقدس الطاهر ..

وبينما كان الاخوان ينكسان رأسيهما فى خشوع فى نهاية

القداس ، انقض باندينى وفرانسيسكو باتسى على جوليانو يطعنانه .. ثم جرد أحدهما سيفا وضربه فى مفرق رأسه ، فهوى مضرجا بدمائه ، مثخنا بهذا الجرح القاتل وتسعة عشر جرحا آخر فى جسده !

أما لورنتسو فقد تولاه القسيسان «مافى» و «بانيونى» .. ولكنهما لم يكونا على خبرة بالجريمة، فما أن أحس بغمد يغيب فى قفاه ، حتى انتفض وجرد سيفه ، وانتهز فرصة ارتباكهما فانقض ينازلهما ، وقد بث فيه اليأس قوة فوق قوته .. حتى استطاع أن ينفذ الى مذبح الكنيسة ومنبرها فاعتصم بهما !

وحاول باندينى أن يقفز عليه ، ولكن أتباع آل مديتشى وأنصارهم استطاعوا أن يخفوا لنجدة لورنتسو ..

وساد الكاتدرائية الصخب والذعر .. فاستغل المتآمرون الفرصة كى يختفوا ، فيما عدا الكردينال رافايلو ، الذى لاذ بأعلى المنبر .. على أن حراس آل مديتشى انطلقوا يجوسون فى المدينة حتى عثروا على الهاربين ، فلم يشفقوا على أحد منهم ، فيما عدا اثنين صفح لورنتسو عنهما ..

ويقول التاريخ ان جوليانو دى مديتشى مات فى ٢٦ ابريل سنة ١٤٧٨ .. ولكنه فى الواقع مات قبل ذلك بعامين ، حين خبت روحه اثر وفاة الحسناء الحبيبة التى اعتادت أن تهيم معه بين تلال « توسكانيا » تصغى لنجواه ، وتفيض عليه أنبل الالهام !

الحياة قصة

روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية من « كتابى » ، القصص الآتية :

- أموك : لستيفان زفايج
- قلب عذراء: جون جالزورثى
- مرتفعات وذرنج: اميلى برونتى
- التلميذ : بول بورجيه
- احدب نوتردام: فيكتورهوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- أيام بومباى الاخيرة : ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله: روبرت هتشنز
- عندما تحقد المرأة : اونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمبرلين: سنكليرلويس
- الشيطان على الارض: رسل
- رسالة من مجهولة : زفايج
- الحب الاول : ترجنيف
- تاييس : اناتول فرانس
- بلاد العميان : هـ.ج. ويلز
- نادى الانتحار : ستيفنسون
- كوخ العم توم : ستو
- الزوج والعشيق: سومرست موم

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه القصة الشائقة من الحياة فى الحى اللاتينى بباريس .

تلخيص : الاستاذ محمد بدر الدين خليل

المـؤلف

١٨٢٢ - ١٨٦١

◆ هنرى مرجيه كاتب فرنسى من اصل المانى ، ولد فى باريس فى ٢٤ مارس سنة ١٨٢٢ ٠٠ وقد عمل فى شبابه كاتبا لدى احد المحامين ، فسكرتيرا للكونت اليكسى تولستوى ، ثم صحفيا ٠٠ وفى سنة ١٨٤٨ (وهو فى السادسة والعشرين)كتب قصته هذه الشائعة التى كانت اساس مجده الادبى ، برغم انها كانت قصته الاولى ، والتى ما تزال تعتبر اروع قصصه على الاطلاق ٠٠ ولعل مرجع نجاحها الى إنه « عاش » بالفعل كل صفحة من صفحاتها ، وصور بكل أمانة وحرارة وبراعة - فى شخصية بطلها « رودلف » - اطوار حياته الواقعية وحياة أصدقائه البوهيميين من اهل الفن فى الحى اللاتينى ٠٠ وقد بلغ من رواج القصة عند نشرها انها اقتبست للمسرح ومثلت بنجاح عام ١٨٤٩ ، كما صيغت منها أوبرا « لابوهيم» الغنائية التى لحنها الموسيقى « بوتشينى » عام ١٨٩٨ وما تزال تمثل على اعظم مسارح الاوبرا فى العالم منذ ذلك التاريخ ٠٠

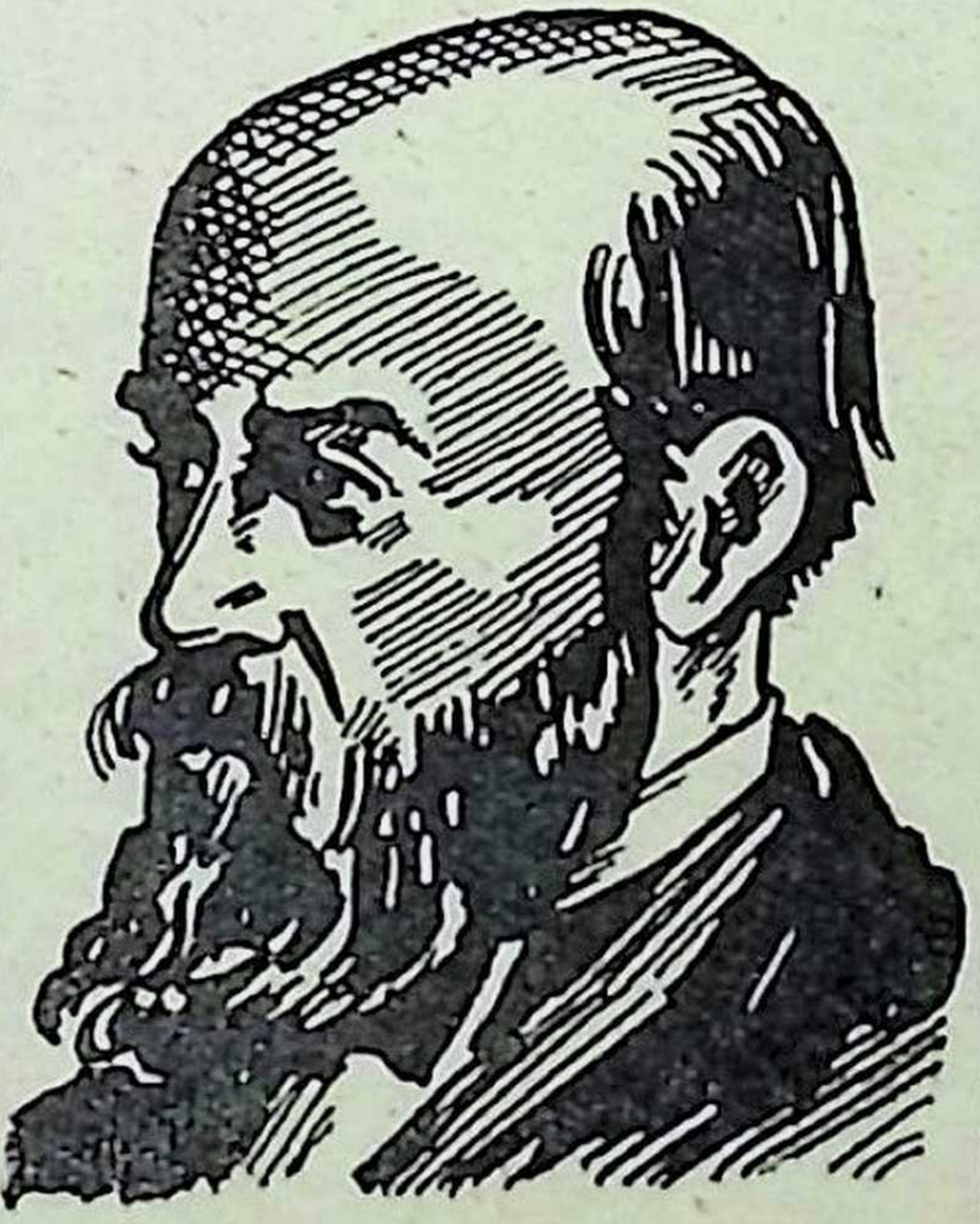

هنرى مرجيه

ومن قصص هنرى مرجيه الاخرى :«اديلين بروتا» (١٨٥٣) و «شاربو الماء » (١٨٥٥) وديوان شعر « ليالى الشتاء » ٠٠ وقد مات مرجيه فى ٢٨ يناير سنة ١٨٦١

١ ـ فنان فى محنة

◆ استيقظ « الكسندر شونار » فجأة فى ذلك الصباح من أحد أيام شهر ابريل عام ١٨٤٠ على صياح ديك فى احدى الدور المجاورة ٠٠ فقفز من فراشه وهو يهتف :

ـ أف !٠٠ ان ساعتى المنبهة ذات الريش والعرف متقدمة عن موعدها ولا بد ٠٠ فليس من المعقول أن يكون النهار قد أشرق !

بيد أن النهار كان قد أشرق فعلا ٠٠ وأى نهار ؟٠٠ النهار الذى كان لا بد له من أن يدبر خلاله الخمسة والسبعين فرنكا التى يدين بها للمسيو برنار لقاء أجر الغرفة التى كان يقيم فيها ٠٠ والنهار الذى كان لا بد له من أن يعثر فيه على مسكن جديد ، بعد أن أنذره مسيو برنار بأن يخلى الغرفة مع دقات الساعة الثانية عشرة ظهرا ، ليحل محله فيها ساكن جديد ٠٠

ووقف الشاب الفنان ، الذى كان يحاول أن يشق طريقه فى ميدان الرسم والموسيقى على نهج الفنانين المتحررين ٠٠ وقف حائرا يفكر ٠٠ لم يكن ثمة شك فى أنه لا يملك من الفرنكات الخمسة والسبعين شيئا ٠٠ بل ان كل ما أوتيه فى دنياه من متاع لم يكن ليعادل هذا المبلغ ـ لو سلمنا بأنه كان من المحتمل أن يجد لهذا المتاع الضئيل مشتريا !٠٠ لذلك لم يكن المسكين يملك سوى أن يدع نفسه للقدر ، لعل القدر أن يشفق عليه فيهيىء له أسباب الحصول على غرفة أخرى ٠٠ أو يسوق اليه صديقا يقرضه ما يكفى لدفع الاجر الذى يطالبه به مسيو برنار ٠٠ أو ربما ٠٠٠٠

وتاهب شونار لان ينطلق فى شوارع باريس ، والاحتمالات المتفائلة تداعب خاطره ٠٠ غير أن احتمالا آخر أوحى اليه أن

رياح الحظ قد لا تأتيه بما يشتهى ، فآثر أن يحشو جيوبه الواسعة بأكبر عدد من الاشياء التى كان يمتلكها ، وأن يحزم أقمصته وبعض حاجياته الضرورية ٠٠ فلربما !؟

بيد أنه لم يكد يبلغ الباب الخارجى حتى ألفى حارس البيت يتصدى له ، مصرا على أن لا يدعه يخرج ما لم يترك حزمة متاعه خلفه !٠٠ وحاول شونار أن يجادله ، ولكن البواب صاح فيه : « **ان تعليمات مسيو برنار واضحة ومشددة ٠٠ لا ينبغى أن تنقل دبوسا من الغرفة حتى تدفع الايجار المتأخر !** »

غير أن قلب البواب لم يكن يملك سوى أن يلين ٠٠ فقد كان يعيش فى الحى اللاتينى ، فكان لا بد للبوهيمية المسيطرة على الحى من أن تصهره وتجعل منه هو الآخر ٠٠ بوهيميا ٠٠ وهكذا لم يلبث أن ترك شونار يخرج ، وهو يقول له : « ولكن ٠٠ تذكر أنك اذا كنت معتزما أن تنقل متاعك ، فمن المستحسن أن تعجل بذلك ، فان المستأجر الجديد قادم ظهر اليوم ٠٠ أى ٠٠ بعد نصف ساعة ! »

ولم يكد شونار ينصرف ، حتى أقبل شاب طويل ، ذو قبعة بيضاء عريضة الحافة ، يتبعه حمال رفع على ظهره عدة أشياء بدت كستائر الرسامين ولوحاتهم ٠٠ والتفت الشاب الى الحمال فأمره بأن يسند حمله الى جدار الدار ويعود فيحضر بقية المتاع ٠٠ ونفذ الحمال الامر ، وان هى الا برهة وجيزة حتى عاد بحامل للوحات ، وببعض أشياء خفيفة أخرى ضمها الى سابقتها ٠٠

وتحول الشاب ذو القبعة البيضاء الى البواب فعرفه بأنه الساكن الجديد ، وعندئذ رجاه البواب أن ينتظر قليلا فلن يلبث أن يأتى الساكن القديم لنقل متاعه ٠٠

وانتظر الشاب ٠٠ وطال الانتظار ٠٠ وتململ ، ثم تحول التململ الى ضجر وضيق ، فأرسل يستدعى صاحب البيت ٠٠

وأقبل مسيو برنار يعتذر عن التأخر فى اخلاء الغرفة ٠٠ وتلفت حوله ، ثم قال : « ومع ذلك ، فان متاعك لم يصل بعد يا مسيو مارسيل ! »

وشد ما كانت دهشته اذ أشار الشاب الى الاشياء التى أحضرها الحمال ، وفض احدى اللوحات وبسطها فاذا بها تبين مدخلا أنيقا ذا أعمدة وزخارف وجدران مزدانة بلوحات من تحف أقطاب الفن ، وقال : « معذرة ٠٠ بل هاك متاعى ٠٠ ان الاثاث العادى أثقل من أن يحتمله ذوقى ٠٠ ثم انه شىء عادى ، شائع لدى الناس ٠٠ وأنا أحب أن يكون لى طابعى الخاص ٠٠ »

وعجب صاحب البيت ، فلم يتمـالك أن قال : « ولكنك لا تملك سريرا ، فأين تراك تنام ؟ »

وأجاب مارسيل فى هدوء : « فى رعاية القدر »

وكان لا بد لمسيو برنار من أن يعيد التفكير فى أمر هذا الساكن الجديد ٠٠ ان الاثاث ضمان لا بد منه لما قد يتهدده من خسارة اذا عجز الساكن عن أن يسـدد الايجار !٠٠

وفجأة ، تذكر مسيو برنار أن الساكن القديم مسيو شونار لم ينقل بعد أثاثه ٠٠ وما كان من المحتمل أن يستطيع تسديد الايجار المتأخر ليدعه صاحب الدار ينقل الأثاث ٠٠ وهكذا ، فى سرعة الخبير المجرب ، استطاع مسيو برنار أن يبنى على الموقف صفقة جديدة ، فصارح الفنان بأنه على استعداد لان ينزله فى الحجرة ويمكنه من استغلال ما فيها من أثاث ان هو رفع الايجار الشهرى الى خمسة وعشرين فرنكا !

ولم يتردد مسيو مارسيل فى القبول ٠٠ وكان عليـه أن يدفع مقدما ، فأخرج ورقة مالية من فئة الخمسمائة فرنك ٠٠ وكأنما كان للورقة فعل السحر فى نفس صاحب الدار ، فاذا به يضاعف من احترامه للساكن الجديد ، ويرافقه بنفسه الى الحجرة التي كان يشغلها مسيو شونار الطريد !

٢ ــ البوهيميون الثلاثة

◆ فى تلك الاثناء ، كان الفنان الذى حذق الاقتراض حتى أصبح فنـا جديدا من فنونه ، يذرع باريس سعيا وراء الفرنكات الخمسة والسبعين التى يحتاج اليها لاسترداد متاعه من قبضة مسيو برنار ..

ولكن الحظ خانه فى ذلك اليوم .. فلما وافت الساعة السادسة احس بقبضة الجوع تدق الاجراس فى معدته تنبهه الى أن الوقت قد حان ليصيب قسطا من الطعام .. ولم يكن قد استطاع ان يستخلص من معارفه واصدقائه اكثر من خمسة فرنكات !.. لذلك لم يتردد فى أن ييمم شطر مطعم صغير متواضع ، طلب فيه شيئا من لحم الارانب ، وبعض النبيذ المعتق ..

وفى فترة الانتظار ، راح يتأمل الشاب الجالس الى المنضدة المجاورة .. فاذا به شاب نحيل ، بادى اللطف ، ذو عينين زرقاوين واسعتين ، وشعر اشقر كثيف ، وقد ارتدى قبعة ذات حافة مسرفة العرض وبزة خضراء حال لونها لفرط الاستعمال .. وكـــان ينصرف الى القراءة وتدوين بعض الملاحظات ، بينما انتفخت جيوبه بما حشاها من كتب ..

ومل شونار الانتظار ، فدعا الساقية يسالها عن الطعام ، بعد أن ازال سدادة زجاجة النبيذ ، وشد ما كان استياؤه اذ انباته بان لحم الارانب قد نفد ، واشارت الى جاره المستغرق فى القراءة قائلة: «لقد حصل السيد على آخر قطعة..»

ولمح الشاب استياء شونار ، فازال الفضلات عن حافة طبقه ، ودفعه نحوه قائلا فى لهجة ودية : « نستطيع أن نتقاسم معا هذا الجزء .. لو سمح السيد وقبل دعوتى .. »

وحاول شونار أن يحتج ، ولكن وخزات الجوع ما لبثت أن اضطرته الى قبول الدعوة .. واقدم فى مقابل هذا على طلب زجاجة أخرى من النبيـذ يتقاسمها مع زميل المائدة .. وسرعان ما الف كل منهما الآخر وسادهمـا الانسجام ، وراحا يتباريان فى الكرم المتواضع على قدر ما كانت تسمح لهما جيوبهما ، حتى اذا غادرا المطعم بعد ساعتين أو ثلاث ، كانا قد أصبحا صديقين حميمين .. وكان شونار قد عرف زميله بنفسه ، وعرف منــه أنه يدعى « جوستاف كولين » ، وانه فيلسوف بطبعه وسليقته ، يكسب رزقا متواضعا من اعطاء دروس فى العلوم الرياضية وبعض العلوم الاخرى .. وان هوايته الكبرى هى جمع الكتب ، حتى لقد كان باعة الارصفة يعرفونه ..

ومضى الشابان البوهيميان يتسكعان ، حتى وجدا نفسيهما فى مقهى «مومى» بشارع سان جرمان ، حيث كان النقاش يحتدم بين اثنين من الرواد ، احدهما شاب ذو لحية عديدة الالوان ، وراس نحل شعرها حتى اوشكت ان تصير صلعاء ‥ وحيا الشاب كولين حين ولج مع شونار المقهى ، ثم لم يلبث ان انضم اليهما وراح يجاذبهما أطراف الحديث ، بعد ان قدمه كولين على انه اديب يسمى « رودلف » ‥ ووجد الزميلان لديه التبغ الذى كان ينقصهما ، فاستمرءا كرمه ، وقابلاه بدعوة الى الشراب اخذت تتكرر كلما اوغلوا فى الحديث عن الادب ‥ حتى اذا لم يعد من سبيل الى البقاء فى المقهى ، نهض الثلاثة يتهيأون للانصراف ، واذا السماء قد فتحت عيونها بسيل منهمر ‥ وكان كولين يقيم فى أحد أطراف باريس القصية ، ورودلف يقيم فى طرف آخر لا يقل عنه بعدا ‥ والليل حالك ‥ والمطر مسترسل ‥ فقال شونار وقد نسى أنه أصبح بلا مأوى :

– تعاليا معى ، فانى أقيم على مقربة ، واستطيع أن استضيفكما ‥

واذ بلغ الثلاثة المسكن الذى كان لشونار حتى الظهر ، دهش الشاب لاول وهلة اذ وجد المفتاح فى ثقب الباب ، وكان يظنه فى جيبه ‥ وزاد عجبه حين سمع الحانا تنبعث من معزفه فى داخل الحجرة ‥ وشاطره زميلاه دهشته وعجبه ، فاخذ ثلاثتهم يبحثون الامر ‥ واذا الباب يفتح ، ويظهر مارسيل على عتبته حاملا شمعدانا ذا ثلاثة شعب ، وقف يتأملهم على ضوئه ، ويسالهم بغيتهم ‥

واستطاع أن يفهم بعض الشىء عن الموقف ، فدعا الاغراب الثلاثة الى الداخل ليبحثوا الامر ‥ وسلم شونار لخلفه بانه لم يعد ذا حق فى ان يعتبر الحجرة مسكنه ‥ وسلم مارسيل بدوره بانه ليس ذا حق فى المتاع الذى بها‥ وبينما كان الشابان يدرسان الموقف ، اخرج كولين ورودلف من جيوبهما قطعة من اللحم البارد ، وزجاجتين من النبيذ ‥ ولم يتردد الآخران فى الانضمام اليهما ‥ وان هى الا ساعة ، حتى كان البوهيميون الاربعة يغطون فى سبات عميق‥ فى مقاعدهم !

❉

◆ وكان على رودلف فى الصباح أن ينصرف ليصحح « بروفات » صحيفة للازياء كان يرأس تحريرها ‥ كما انصرف كولين اذ كان على موعد ليلقى درسا على أمير هندى وفد على باريس ليتعلم العربية !‥ ووعد الاثنان ان يعودا فى منتصف النهار ليتناولا الغداء تلبية لدعوة مارسيل

ولم يكد مارسيل وشونار ينفردان ، حتى اتفقا على أن يتشاطرا المسكن ، وأن يدفعا أجره بالتناوب ‥ وسر الزميلان الآخران حين عادا وعلما بهذا

الاتفاق ، فدعا رودلف الجميع الى العشاء احتفالا بهذه المناسبة ، اذ كان قد تقاضى من الصحيفة ثلاثين فرنكا .. على الحساب !.. ولم يشأ كولين أن تفوته الفرصة ، وكان قد أصاب من الامير الهندى بعض النقود ، فدعاهما الى سهرة فى مشرب « مومى » ، الذى قدر له أن يكون ملتقى هؤلاء « الفرسان الاربعة » لعدة سنوات تالية ..

٣ – ميمى

◆ وانتهى الامر « بالفرسان الاربعة » الى أن أقاموا فى مسكن واحد فوق سطح احدى دور الحى اللاتينى ، اطلقوا عليه اسم « بوهيميا » .. فقد كانت حياة الشبان الاربعة – رودلف الشاعر، ومارسيل الرسام، وكولين الفيلسوف، وشونار الموسيقى – مثالا للبوهيمية .. كانت تسودهم أخوة صادقة تجعلهم يتقاسمون السراء والضراء .. ما يكسبه أحدهم ملك للجميع ، وما ينقص الواحد منهم يتكاتف الباقون على تحقيقه .. وفوز الواحد فوز للكل .. فى حين أن ما يصيب أحدهم من خيبة كان يجمع الباقين حوله يواسونه ويشاطرونه ...

وهكذا كانت تمر بهم أيام رفاهية ورخاء ، فاذا هم يعنون باناقتهم ، ويولمون لانفسهم المآدب .. وتمر بهم أيام أخرى تبلى نعال أحذيتهم خلالها فلا يملكون لها اصلاحا ، ويضطرون الى القصد فى المآكل ، بل الى الصيام أحيانا ، حتى ليبيتون على الطوى ! – ويفتنون فى ابتداع الاساليب لمراوغة صاحب البيت كلما طالبهم بالايجار ..

وكانوا فى احدى هذه الفترات عند ما استغرق مارسيل فى رسم لوحة تنبأ بانها ستكون التحفة التى تجعل لاسمه رنينا فى دنيا الفن !.. واشتدت الضائقة ذات ليلة ، والبرد قارس – حتى لقد اضطر رودلف الى أن يطعم المدفأة بأوراق الفصل الاول من مأساة شعرية كان يكتبها ، التماسا للنار والدفء ! – وفيما مارسيل ورودلف يبحثان أمر هذه الازمة الخانقة ، يقبل كولين بحمل من الكتب لم يلق من يقبلها رهنا مقابل قرض يخفف الضيق .. ويذهب فصل آخر من انتاج رودلف الى المدفأة !.. وفجأة ، يلج الغرفة اثنان من الحمالين مثقلين بالطعام والوقود ، ثم يصل شونار ، فيلقى على المائدة مبلغا من المال !

ويستحيل الاسى فى « بوهيميا » الى فرح .. ويذكر الفرسان الاربعة ان الليلة ليلة عيد الميلاد ، وما أنساهم ذكرها سوى اليقين من انهم ما كانوا

ليملكون مايمكنهم من الاحتفال بها .. وسرعان ما يقبلون على الطعام والشراب، بينما تتاجج النيران فى المدفأة .. ثم ينطلق الجميع الى حانة « مومى » ، عدا **رودلف الذى ينصرف الى الكتابة ، واعدا بأن يلحق بهم سريعا ..**

ويخلو رودلف الى أقلامه وورقه ، على ضوء الشمعة .. ولكنه لا يلبث أن يسمع طرقات خفيفة ، مترددة ، على الباب .. فيصيح : « من الطارق ؟ »

ويجيبه صوت نسائى مثقل بالتردد والحياء :

– لقد انطفأت شمعتى ..

ويهرع الى الباب يفتحه ، فاذا أمامه شابة نحيلة ، بادية الحسن ، أمسكت فى احدى يديها شمعة مطفأة ، وفى الاخرى مفتاحا .. ويدعوها فى شهامة واشفاق الى الدخول .. وتخطو الى الداخل .. وما أدركت انها بذلك قد سجلت دخول « حواء » الى « بوهيميا » الصغيرة !

وتوقد الفتاة شمعتها ، وفيما هى تهم بالخروج ، يندفع خلال الباب تيار من الهواء ، يطفىء الشمعة .. وشمعة رودلف أيضا .. ولكن شعاعا من القمر ينساب خلال النافذة .. ويقع المفتاح من يد الفتاة ، فينحنى الاثنان يبحثان عنه .. ويعثر رودلف عليه ، ولكنه يخفيه ليطول البحث !.. وتلتقى اصابعه باصابع الفتاة وهما يبحثان ، فيمسك بيدها ، ثم يهتف مشفقا : « ما أبرد يدك ! .. دعينى ارد لها الدفء » ..

ويطمئن كل منهما الى الآخر .. ويحدث رودلف جارته عن نفسه وحياته .. وتحدثه بدورها عن انها تدعى «ميمى»، وانها تبيع الزهور لتكسب منها قوتها .. ولكن كسبها لم يعد يكفيها لمرضها .. ومن سعالها ونحولها ، يبدو أنها مصابة بأولى مراحل السل .. ولكن المرض لم يقو على أن ينال من جمالها ، بل انه على النقيض قد مسه بشىء من الروعة ..

وفجأة تنبعث أصوات زملاء رودلف من الطريق ينادونه وقد استبطأوا مقدمه، فينضم اليهم و « ميمى » ..

وتتسع مملكة « بوهيميا » الصغيرة ، اذ تنضم اليها « ميمى » فتاة « رودلف » .. ثم تلحق بها « ميزيت » فتاة مارسيل و « فيمى » فتاة شو نار .. أما « كولين » فلم تكن له فتاة .. اذ كان فيلسوفا ! .. بيد أن ذلك لم يضر رفاقه فى شىء .. **وكان أجمل ما فى حياة الجماعة ان كلا منهم كان مطمئنا الى فتاته وسط رفاقه ، لا يداخله نحوهم بصددها اى شك او ريب .. ومع أن كلا منهم كان كلفا بفتاته خاضعا لسحرها ، الا انه ما كان ليتردد لحظة فى أن يفضل أيا من أصدقائه على محبوبته .. كان الحب أنانية القلب ولذته .. اما الصداقة فكانت أنانية العقل ولذة الروح ، ومن ثم كانت ابقى واقوى ..**

❈

◆ **وحان** عيد الميلاد من جديد .. وضمت حانة « مومى » الرفاق الاربعة وفتياتهم الثلاث ، وقد استسلموا للمرح ، وراحوا يشربون .. فى حدود ميزانيتهم المتواضعة !.. وعبث الشراب بعقول الشبان ، فخرجوا على قيود منظم ميزانيتهم « شونار » وعهد كل منهم الى فتاته بأن تختار شرابا للجماعة .. وطلبت كل بدورها شرابا غالى الثمن .. وتفتحت شهيتهم بفعل الشراب ، فتناولوا عشاء جديدا ، وخادم الحانة يحملق فيهم مذهولا ، لا يدرى كيف سيتأتى لهم أن يدفعوا الحساب !

وحان موعد الانصراف .. وأحصى الشبان ما كان معهم فاذا به لا يفى بالحساب .. وتشاور الاربعة ، ثم اختاروا « شونار » ليفاوض صاحب الحانة .. وشاء القدر الا أن يكون صاحب الحانة حين سعى « شونار » اليه مغيظا ، محنقا ، فاذا به يثير ضجة ، استرعت انتباه سيد غريب كان يجلس فى طرف الحانة يرقب الفريق المرح فى عطف ، وهو يدخن غليونه فى هدوء وسكينة .. حتى اذا فطن الى الضجة ، نهض فانتحى بصاحب الحانة جانبا ، وهمس فى أذنه ببضع كلمات ، قال على أثرها الرجل : « لا بأس يا مسيو باربموش .. دبر الامر كما يحلو لك »

واذ ذاك اقترب الرجل فى استحياء وسأل الفريق المرح أن يسمحوا له بأن يستضيفهم ويسدد الحساب عنهم ، فلقد طالما راقبهم فى ترددهم على الحانة واستطاب روحهم ، وود لو يتعرف عليهم ويحظى بصحبتهم ..

وهكذا أصبح مسيو « باربموش » ــ الذى وصف نفسه بأنه من طلاب الفنون الجميلة ــ صديقا للجماعة « البوهيمية » .. وقرر الرفاق بعد أن تأمله كل منهم عن كثب أن يضموه عضوا منتسبا الى شلتهم ..

٤ ـ ذكريات الحب

◆ كانت الليلة ليلة عيد الميلاد مرة أخرى ٠٠ بعد عامين أو ثلاثة ٠٠ وقد تفرق شمل الجماعة السعيدة ، فاذا رودلف ومارسيل يقيمان فى حجرتين منفصلتين فى أحد الفنادق ، وقد هجرتهما فتاتاهما « ميمى » و « ميزيت » !٠٠ وسار الزميلان فى شارع « دوفين » يتأملان أنواع الشراب التى أفتنت المحال والمشارب فى عرضها ٠٠ واخيرا ، هتف رودلف : « لم لا نحتفل بدورنا بالعيد ؟ » ٠٠ فأجابه الرسام : « كيف ٠٠ ومع من ؟ »

ـ معى طبعا ٠٠

ـ ومن أين النقود ؟

وكانا يمران بمشرب ، فقال رودلف : « مهلا ٠٠ اننى أعرف بعض رواد هذا المشرب ، ولن أومن بالحظ بعد الليلة ان لم استطع أن انتزع منهم ثمن عشاء متواضع وبعض الشراب » ٠٠ وغاب رودلف برهة فى المشرب ثم عاد يحمل فرنكين ٠٠ واستقر رأى الزميلين على أن يتناولا العشاء ويحتفلا بالعيد فى غرفة مارسيل ٠٠ وابتاعا ما راق لهما فى نطاق المبلغ الضئيل ، ثم آبا الى الغرفة فاشعلا النار فى المدفاة ٠٠ وما أن فرغا من اعداد المائدة ، حتى تبينا أن نفسيهما تعافا الطعام ٠٠ ورانت على المكان سكينة واجمة حزينة ، وقد ذكرا فتاتيهما وما كانتا تضفيان على مثل تلك المناسبة من بهجة وحبور ٠٠ ولكنهما لم يكونا بملكان أزاء الفراق حيلة ٠٠ كان مارسيل قد فاجأ ميزيت تغازل رجلا ، فلم يكد يلومها حتى انفجرت غاضبة ، ودب بينهما الشجار الذى انتهى الى فراق عاصف خلف فى النفسين آثارا ٠٠

اما ميمى ، فكانت غيرة رودلف تنكد عليها عيشها ، ولكنها كانت تخلص الحب له ٠٠ وكان السل ينشب أظافره فى صدرها ٠٠ واذ خشيت أن تنتهى علاقتهما بشقاق أو خصام ، آثرت ان ترسم لها نهاية وديعة ، رقيقة كنفسها ٠٠

وراح الشابان يقاومان لوعة البعاد ، ويموهان على نفسيهما ٠٠ ولكن عنادهما ذاب فى هذه الليلة ، ليلة العيد ، واشتد بمارسيل الحنين الى ميزيت ٠٠ وبرح برودلف الشوق الى ميمى ٠٠ وعز عليهما ان يعترفا بالضعف ، فقررا أن يحرقا كل ما خلفته الفتاتان من تذكارات ، يطعمان بها نار المدفاة ، ليطفئا نار الجوى والحنين !٠٠ ولكن مارسيل غافل زميله ودس فى صدره بعض ورود ذابلة من مخلفات فتاته ٠٠ وما فطن الى أن رودلف بدوره قد انتهز فرصة عدم انتباهه واخفى نائرة البودرة ـ «البدارة» ـ التى كانت لميمى يوما ٠٠ وما كاد

آخر التذكارات يتحول الى هشيم ، حتى انبعثت على الباب طرقات خفيفة ، مترددة ، فسارع مارسيل الى الاستجابة ٠٠ وافلتت منه صيحة دهشة ، اذ رأى أمامه « ميمى » ٠٠ او بالاحرى شبحها ، اذ كانت بالغة الهزال ، والوهن، والاعياء ٠٠

وقالت الفتاة وهى لا تتمالك نفسها من الارتجاف : « أرجو أن لا أكون أزعجتك ٠٠ لقد برح بى البرد ، واذ لمحت النور فى نافذتك وانا أمر بالدار ، خطر لى أن أعرج لاسألك ان كنت تستطيع ان تبحث لى عن غرفة فى هذا الفندق ٠٠ فقد طردت من غرفتى ، ولا أدرى أين أذهب »

وتساءل مارسيل : « اذن ، فلم تعودى تقيمين مع صديقك الفيكونت ؟» ٠٠ فالقت الفتاة نظرة ذات معان على رودلف الذى ظل صامتا ، وهتفت : « لا٠٠لقد هجرته منذ شهرين ٠٠ مللته وسئمت وسائله الخسيسة وآراءه المضطربة الشوهاء ٠٠ انه فى منتهى الحماقة ٠٠ لن تستطيع أن تتصور الى أى مدى كان يضايقنى ، حتى لقد آثرت أن أموت جوعا عن أن أقبل منه درهما ٠٠ ولقد عدت الى بيع الزهور بعد أن افترقت عنه ، ولكن السوق راكدة ٠٠ فعملت كنموذج لاحد الرسامين ٠٠ »

وكانما خشيت ان يغضب ذلك حبيبها القديم «رودلف» فاسرعت قائلة : « نموذج للوجه واليدين فحسب ٠٠ فانا اليوم من النحول بحيث لم اعد اصلح لشىء آخر ٠٠ »

وهزت كتفيها فى حسرة ٠٠ واتجهت انظار الزميلين تفحصانها فى اشفاق٠٠ كان الهزال قد استبد بها فلم يبق على شىء من رشاقتها وجمال جيدها ٠٠ ونظرت « ميمى » الى المائدة ثم قالت : « ارى اننى أنسيتكما عشاءكما ٠٠ فلم لا تأكلان ؟ »

وأجاب مارسيل : « الواقع اننا لسنا جائعين » ٠٠ فتمتمت الفتاة : « انه لحظ أن لا يكون المرء جائعا »

واخترمت لهجتها قلب رودلف ٠٠ وقال مارسيل مصطنعا المرح : « ما دمت هنا فقد وجب أن تنضمى الينا ، حتى تتفتح للاكل شهيتنا »

وود رودلف أن يرفض ، ولكنه ما لبث أن انصاع لرجاء « ميمى » ٠٠ وهمست الفتاة لمارسيل فى غفلة من عشيقها : « لشد ما برح بى الجوع ! »٠٠ واقبلت على الطعام فى نهم ، فاذا به ــ على تواضعه ــ يذكى قواها ومرحها ٠٠

وأخذ الشابان بعد العشاء يتحايلان على اخبار « ميمى » فى تلطف أن لا مجال لانزالها فى الفندق ، وان كانا سيفردان لها غرفة « مارسيل » لتقضى فيها ليلتها ، على أن يتشاطرا غرفة « رودلف » ٠٠

وعند ما استيقظ مارسيل فى الصباح ، لم يجد صديقه الى جواره .. ونهض يبحث عنه فاذا هو نائم فى مقعد الى جوار الفراش الذى رقدت فيه « ميمى » ، وقد اسند رأسه الى وسادتها ..

وبادر رودلف عند استيقاظه الى الخروج سعيا وراء بعض المال لابتياع طعام للغداء ..وفى غيابه ، فضفضت « ميمى » عن صدرها لمارسيل .. كانت لا تزال مقيمة على حب رودلف ، فراحت تنحى على نفسها باللائمة لما سببته له بهجرانها من أسى وشجون .. ثم قالت وهى تنخرط فى البكاء : « على اننى لن البث أن أرحل..بعيدا .. والى الابد !.. اننى موشكة على الموت يامارسيل !»

ومضت تحدثه عما لقيته فى الحياة من عناء وعنت مذ غادرت رودلف ، وكيف ان اليأس تملكها حتى أنها لم تعد تحفل بما يصيبها .. بل انها أقدمت مرة على تعاطى السم لتتخلص من الحياة ، ولكنها اسعفت بالعلاج..ويهتف مارسيل مواسيا : « ما ينبغى لك أن تقنطى .. لسوف نعمل على علاجك حتى تستردى صحتك .. فما أراك سوى محتاجة للراحة والعناية »

وعاد رودلف بعد ساعة مصطحبا كولين وشونار .. وكان الاخير يرتدى سترة صيفية برغم البرد ، اذ اضطر لان يبيع سترته الشتوية كى يوفر لرودلف بعض المبلغ الذى كان ينشده .. ولم يكن كولين اقل منه تضحية ، فقد فرط - للغاية نفسها - فى الكتب التى كانت أعز ما لديه فى الوجود ، والتى كان يهون عليه أن يضحى باحد اطرافه عن ان يضحى بها ، لولا أن أحدا ما كان ليرضى - كما قال الموسيقى الشاب - أن يقرضه مالا مقابل ذراع أو ساق !

وتناول الجميع غداءهم معا ، فى جوهم القديم .. الجو الذى كانوا يعيشون فيه فى الايام السابقة .. وأخذت « ميمى » تقاوم ضعفها ومرضها لتبدو مرحة ما استطاعت ، من أجل أصحابها .. وجهدوا هم الآخرون فى أن يغالبوا أساهم من أجلها ، ومكثوا حتى تناولوا العشاء ، فى ضحك ودعابة ، وكانما لم يكن يحزنهم شىء ..

٥ - دموع البنفسج

◆ ويلجأ رودلف الى طبيب شاب من أصدقائه ، يرجوه أن يعود « ميمى » .. فما يكاد الطبيب يفحصها ، حتى يصارحه قائلا : « لن تقوى على انقاذها سوى معجزة .. ولا ينبغى أن تبقيها هنا ، بل لا بد من نقلها الى المستشفى فورا ، حتى لا

تضييع الفرصة الوحيدة التي قد يتسنى علاجها فيها ٠٠ وانى لأعرف أحد الجراحين المقيمين فى « مستشفى الرحمة »، وما أراه يضن برعايتها ٠٠ ولو استطعنا أن نستبقيها على قيد الحياة الى ما بعد الشتاء ، لكان من المحتمل أن تستكمل الشفاء ٠٠ أما هنا ، فما أراها تستطيع العيش لاكثر من اسبوع ! »

وصدع رودلف بالنصيحة ، فحمل ميمى فى اليوم التالى فى عربة الى مستشفى الرحمة ٠٠ واذ آن له أن يودعها ، راح يعدها بأنه سيزورها فى أول يوم تباح فيه الزيارة ، وسيحمل اليها بعض زهور البنفسج التى تحبها ٠٠ وكانت المسكينة متجلدة ، حتى هم أن يتركها ، فاذا بها تنخرط فى البكاء وهى تلحف عليه فى الرجاء أن يأخذها معه، وتردد بين نشيجها : « لن أقوى على المكث هنا ، فأنا أدرك اننى سأموت ! »

ولم يكن لدى رودلف ما يبتاع به زهور البنفسج فى يوم الاحد ، وهو يوم الزيارة ٠٠ فانطلق الى غابتى «أولنى» و « فونتيناى » حيث اعتاد أن يتنزه مع ميمى فى أويقات الصفاء الهانئة ، وراح ينقب بين الجليد ، حتى استطاع أن يجمع حفنة من الزهور النادرة ٠٠ ورافقه شونار وكولين الى المستشفى ٠٠ وكم كانت فرحة ميمى بمرآهم ، فهتفت فى حبور : « ما أصدقكم من صحاب ٠٠ لكم أحبكم جميعا!» ٠٠ ثم تحولت تقبل رودلف فى شوق ولوعة ، وتضم الزهور الى صدرها الخائر المعلول ٠٠

وانتهت فترة الزيارة ، فانصرف الاصدقاء ، وقد منى رودلف فتاته بأن يعود اليها فى يوم الثلاثاء ٠٠ ولكنه فوجىء فى مساء الاثنين برسالة مقتضبة من صديقه الجراح ٠٠ ينعى اليه فيها وفاة ميمى !٠٠ وكانت الصدمة أقسى من

أن تستدر الدموع ‥ وانما استحال الاسى الى قوة قاهرة دفعت رودلف الى أن يهيم على وجهه دون مقصد ، لا يكاد يستقر فى مكان ، بل يذرع الطرقات نهارا ، ويأوى الى أقرب صديق ليلا ليلوذ بسقفه مسهدا ، مؤرقا ‥

وفيما هو فى شروده ، اذ التقى بصديقه الطبيب ، وقد انقضى اسبوع على النعى المشئوم الذى تلقاه منه ‥ وهرع اليه الطبيب يصافحه فى لهفة ، ويسأله أن يغفر له ما سببه له نتيجة خطئه ‥ فلقد غاب عن المستشفى يومين فى احدى المهام ، حتى اذا عاد ، أبصر بالسرير الذى كانت تشغله « ميمى » خاليا ، فأسرع يسأل احدى الممرضات ، فاذا بها تنبئه بأنها توفيت ‥ ومن ثم بادر الى نعيها اليه ‥

وحملق فيه رودلف ، وأمسك أنفاسه وقد توقع أن وراء هذا الحديث أمرا ‥ وفعلا كانت وراءه مفاجأة ما كانت لتخطر لرودلف ببال ‥ اذ مضى الطبيب يخبره انه ما لبث أن تبين أن « ميمى » نقلت فى غيابه الى « عنبر » آخر فى المستشفى ، وان الممرضة التى سألها لم تكن تدرى شيئا عن الامر ، اذ كانت حديثة عهد بهذا القسم من المستشفى ‥

وأردف الطبيب وهو لا يكف عن الاعراب عن أسفه واعتذاره: « هذا سر الخطأ الذى حدث ‥ وقد بادرت بارسال خطاب آخر اليك أشرح فيه الامر ، وأستسمحك ‥ » ـ ولكن رودلف كان قد انطلق هائما عقب النبأ الاول فلم يتلق هذا الخطاب ! ـ وبادر يقول ملهوفا : « يا الهى !‥ اذن ‥ دعنى أراها ! »

وصحبه الطبيب الى المستشفى ‥ وفى الطريق ، علم منه رودلف خلال سيل الاسئلة التى راح يمطره بها ، ان شيئا لم يطرأ على صحة ميمى ، فلا هى الى التحسن ، ولا هى الى السوء أكثر مما كانت حين رآها لآخر مرة ‥ ولكن القلق كان يستبد بها لطول غيابه ، فكانت لا تفتأ تسأل عنه ، وتخشى أن يكون مريضا ‥

وعند باب المستشفى ، رجاه الطبيب أن ينتظر ريثما يمهد له حق الزيارة فى غير موعدها ٠٠ ووقف رودلف على أحر من الجمر ٠٠ وخيل اليه أن كل دقيقة كانت تمر به أطول من عام ٠٠ ومرت خمس دقائق ٠٠ ثم اكتملت عشرا ٠٠ وكاد القلق واللهفة أن يخرجاه عن حجاه ٠٠ وانقضى ربع الساعة ٠٠ وما لبث الطبيب أن أقبل ٠٠ وهرع اليه رودلف منفعـــلا ، نافد الصبر ، ولكن الشاب أمسك بيده يهدئه ٠٠ ثم سأله وهو ينتقى الكلمات فى ارتباك :

ـ هب أن الخطاب الاول الذى أرسلته لك منذ اسبوع كان صحيحا !

وترنح رودلف ، وامتقع وجهه ٠٠ وتشبث بباب المستشفى وقد زاغ بصره ، وأحس بقواه تتلاشى ٠٠ واستطاع أخيرا أن يصيح فى صوت جاف أجش : « ما ٠٠ ماذا ؟ ٠٠ يا الهى ! ٠٠ هل ٠٠ ميمى ٠٠ »

ـ أجل ٠٠ فى الساعة الرابعة من صباح اليوم !

وصاح فى لوعة محزونة : « خذنى اليها ٠٠ دعنى أراها » ٠٠ فقال الطبيب فى اشفاق : « ولكنها لم تعد هنـــا ! » ٠٠ وأشار بيده الى عربة كانت فى ســاحة المستشفى ٠٠ وأدرك رودلف من مظهرها أنها من عربات نقل الموتى الذين لا أهل لهم، الى المقابر العامة !

وقال أخيرا للطبيب : « اننى منصرف ٠٠ وداعا ! »

ورمقه الطبيب فى قلق ورثاء ، ثم قال له : « أتحب أن آتى معك ؟ »

ولكن رودلف أشاح عنه قائلا فى صوت خنقه الاسى : « لا ٠٠ بل أريد أن أكون وحدى ! »

وتدافعت الشهقات من صدره وهو ينطلق هـــائما ، وراح يهتف فى نشيج صامت : « ميمى ٠٠ ميمى ٠٠ أواه يا ميمى ! »

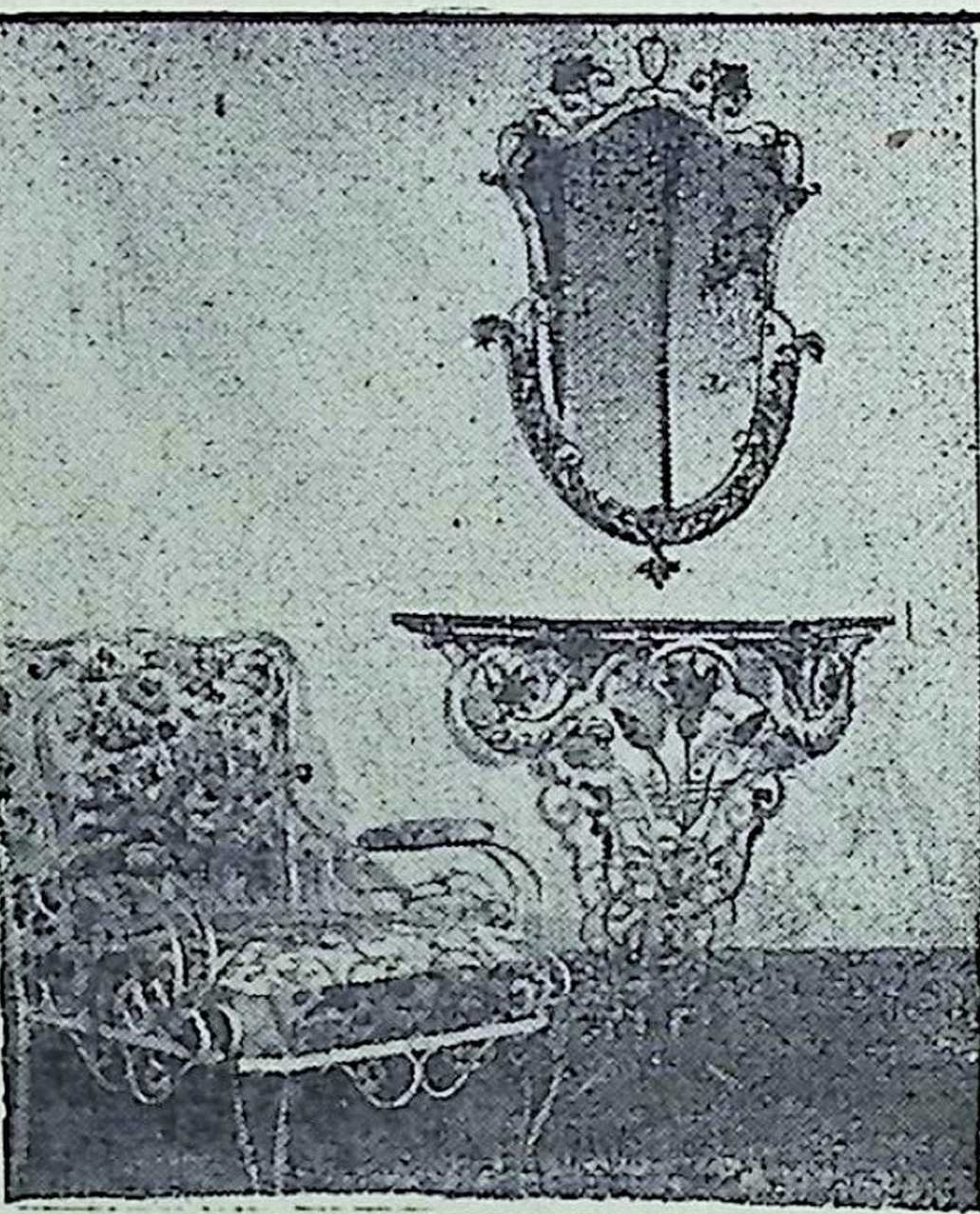

هاشم وفرحات

ت ٧٤٥٠٦

غمرة

كل الكتب

دراسية وفق المقرر لوزارة المعارف
علمية - أدبية - اجتماعية لاشهر الكتاب
كشفية ورياضية أحدث المطبوعات

ظهر حديثا

الثابت فى العلوم (اولى اعدادى)

الكامل فى التاريخ والتربية (للثالثة والرابعة اعدادى)

استعداد تام لتوريد جميع الادوات المدرسية والمكتبية
مطبعة مستحدثة - ورشة تجليد - حفر زنكغراف

مكتبة صلاح الدين

٣ - شارع كامل صدقى بالفجالة ت ٧٦٦٩٢

كتب الأولون

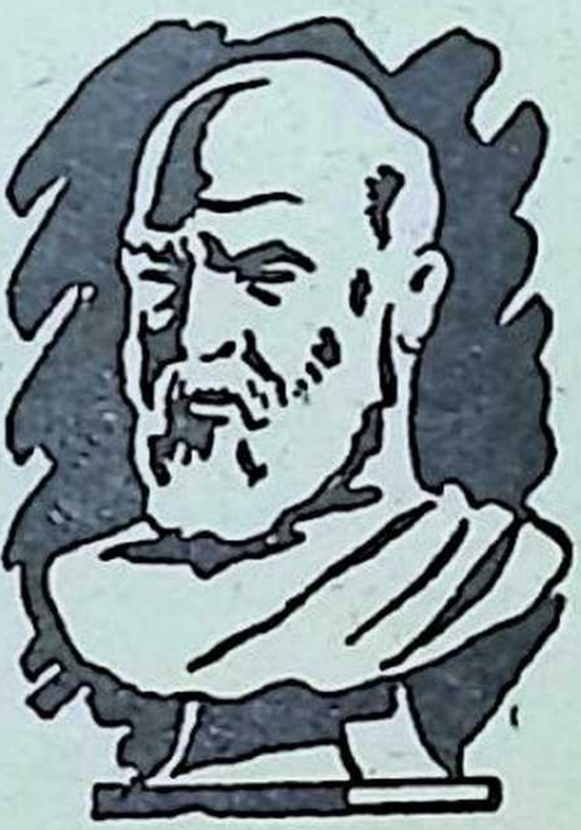

كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية من كتابى ، من روائع الكتب القديمة ، هذه الكتب على التوالى :

((ديكاميرون)) : بوكاشيو
((دون كيشوت)) : سرفانتس
((الالياذة)) : هوميروس
((اميل)) : جان جاك روسو
((حى بن يقظان)) : ابن طفيل
((روبنسن كروزو)) : دانييل ديفو
((غرام الاخوين)) : (كاتب فرعونى مجهول)
((يوتوبيا)) : توماس مور
((الجمهورية)) : افلاطون
((الكوميديا الالهية)) : دانتى
((الاوديسة)) : هوميروس
((العالم كما يسير)) : فولتير
((غرام مشبوب)) : لين يوتانج
((رباعيات عمر الخيام))
عفاف (كوزى سانكتا) : فولتير

واليوم اقدم لك فيما يلى « رسالة الغفران » ، التراث الخالد للشاعر والفيلسوف العربى الاشهر « ابى العلاء المعرى » !

وفى الاعداد القادمة تقرا معى فى هذا الباب باذن الله الكتب العالمية التالية :

الامير : ميكيافيللى
العقد الاجتماعى : جان روسو
البخلاء : الجاحظ .. الخ

أبو العلاء المعرى

رسالة الغفران

عرض وتلخيص : الدكتورة بنت الشاطىء
المدرسة بجامعة ابراهيم

هذا التراث الخالد ..

◆ كم من مرة سمعت عن « رسالة الغفران » لابى العلاء وتمنيت أن تقراها ، أو فى القليل تقرأ موجزا لها يعطيك فكرة عنها ؟.. ان رسالة «كتابى» هى أن يجعل فى متناولك كل ما تعذر عليك الاطلاع عليه من الاعمال الادبية الضخمة التى يتالف منها تراث العالم الفكرى ، تعميما للفائدة ومساهمة فى نشر الثقافات العالمية قديمها وحديثها .. وفى سبيل هذه الغاية لن ينى «كتابى» ينقب لك فى مجاهل الكتب والمطبوعات والمخطوطات ، ليستخرج لك كل حين كنزا من كنوزها المتوارية عن العيون ويقدمها لقمة أدبية سائغة ، باسلوب عصرى ، لملايين القراء ، من العامة والخاصة على السواء .. بدلا من ان يظل نفعها مقصورا على فئة محدودة من الباحثين المتفرغين والمحترفين

وقد قدمت لك فى «كتابى» الثالث عشر وما تلاه « كوميديا دانتى الالهية » ، التى روى فيها أنباء رحلته الخيالية الى الجحيم ، والمطهر ، ثم الفردوس .. ولعلك طالما سمعت وقرات أن دانتى قد اقتبس فكرة تراثه الخالد ذاك عن « رسالة الغفران » للشاعر والفيلسوف العربى أبى العلاء المعرى .. واليوم آن آن اقدم لك هذه الرسالة الخالدة ، مسبوقة بصفحات من حياة مؤلفها العظيم . واحب ان انوه هنا بفضل اديبتنا البحاثة الدكتورة بنت الشاطىء فى تلخيص الرسالة ، وهى الحجة فيها ، كما أنوه بمساهمة الاديب المحقق احمد حنفى القوصى بدوره فى اعداد المقدمة التالية عن حياة أبى العلاء ..

حياة أبى العلاء .. فى سطور

◆ هو « أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى » ، عربى النسب من قبيلة « تنوخ » وهى احدى قبائل اليمن

◆ ولد بمعرة النعمان (بين حماه وحلب) فى مغرب يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة ٣٦٣ هجرية ، (سنة ٩٧٣ ميلادية) ، وكان أبوه عالما معروفا ، وجده قاضيا مشهورا ..

◆ أصيب بالجدرى فى الرابعة من عمره فغشى يمنى عينيه بياض وكفت عينه اليسرى ، وظل بقية حياته ضريرا لا يرى من الالوان الا الحمرة !

◆ تلقى على أبيه مبادىء العربية ثم تتلمذ على بعض علماء المعرة .. وكان آية عصره فى الذكاء وقوة الذاكرة فكان يحفظ كل ما يسمع من المرة الاولى !

◆ **اعتكف فى بيته حتى بلغ العشرين من عمره مكبا على درس علوم اللغة وفنون الادب ، ونظم الشعر وهو فى الحادية عشرة !**

◆ **غادر** قريته الى بلاد الشام عام ٣٩٢ هجرية فزار مكتبة طرابلس التى كانت فى حوزة آل عامر وانقطع اليها فترة طويلة عب فيها كنوزها العلمية عبا ..

◆ **ثم زار اللاذقية واقام بدير فيها فترة بين الرهبان فتدارس وآياهم أصول المسيحية واليهودية وناقشهم فى شتى شئون الاديان**

◆ **ارتحل** بعد ذلك الى بغداد عاصمة الاسلام اذ ذاك ومنبع الثقافة الشرقية فاحتفى به أهل بغداد أيما احتفاء . وقد درس مع علمائهم الفلسفة اليونانية والحكمة الهندية ، وتتلمذ على يديه كثيرون شايعوه وتعصبوا له ..

◆ **جاءه نعى امه وهو ببغداد وكان قد فقد اباه من قبل فحزن حزنا شديدا ونظر الى العالم نظرة السخط والازدراء فعاد الى المعرة سنة ٤٠٠ هجرية اسيفا مكروبا وراى من الخير له ان يعتزل العالم ويزهد فيه**

◆ **اعتكف** فى داره وسمى نفسه «رهين المحبسين!» : العمى والمنزل . وظل معتكفا الا عن تلاميذه الذين تقاطروا عليه من شتى أقطار الارض ينهلون من علمه الواسع ويغترفون من فضائله الممتازة ..

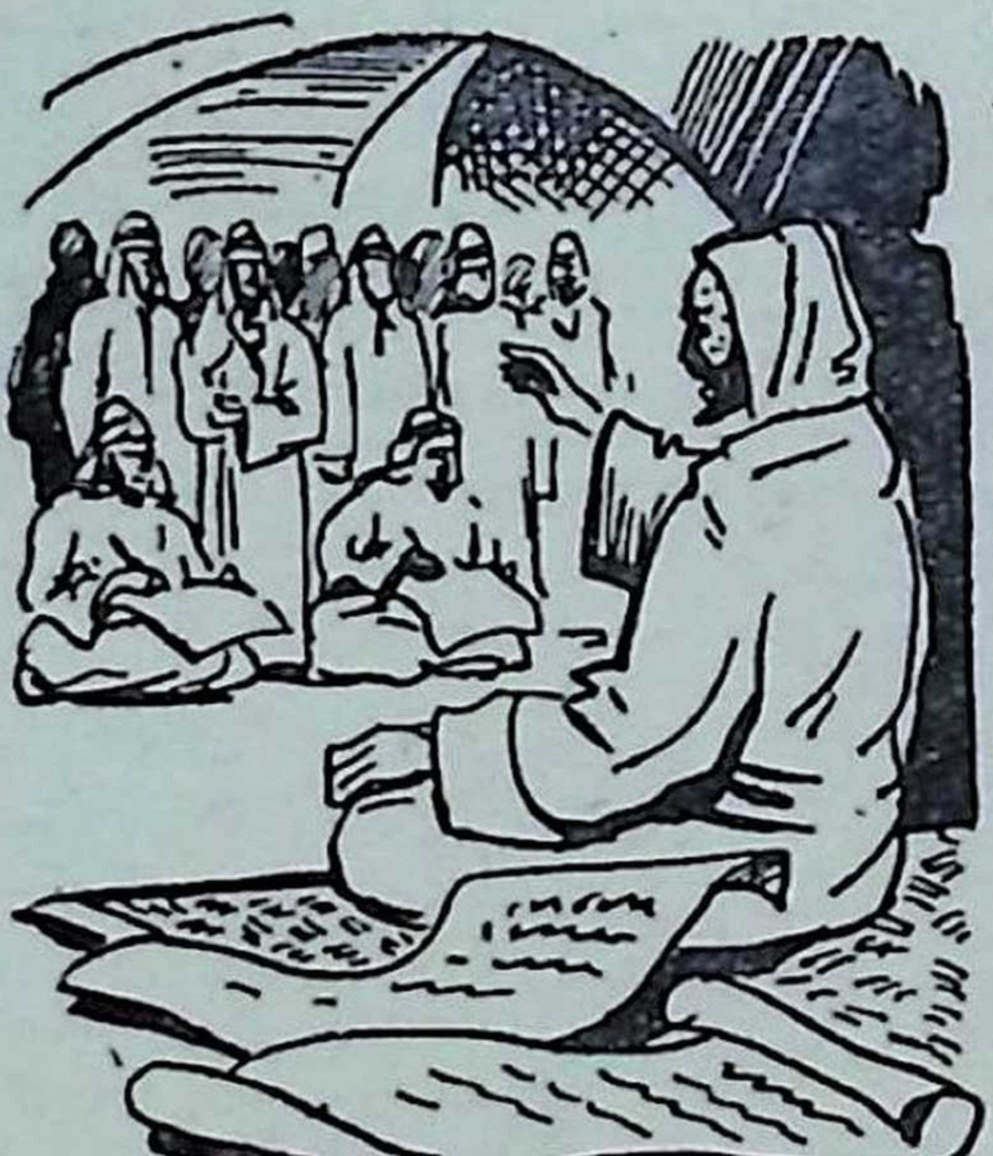

◆ **ألف** مجموعة ضخمة من التآليف ذهبت بأكثرها ـ مع الاسف ـ ريح الحروب الصليبية

◆ **من** أشهر مؤلفاته « ديوان سقط الزند » ويضم شعر شبابه .. وديوان « اللزوميات » ويضم شعر كهولته ، وهو الاثر الخالد الباقى من فلسفته وما انتهت اليه آراؤه فى الكون والحياة ..

◆ **ومن** أعظم مؤلفاته أيضا « رسالة الغفران » هذه ، وهى تحفة فريدة فى الادب العربى بلغت من الروعة حدا جعل بعض المؤرخين يعتقدون أن جزءا من « الكوميديا الالهية » هو «جحيم دانتى» ماخوذ عن رسالة الغفران !

◆ **زهد فى ملذات الحياة - بعد اعتكافه فى داره - حتى ما كان مباحا منها ، فحرم على نفسه أكل اللحم وماينتجه الحيوان من لبن وبيض وجلد وصوف ، حتى عسل النحل ألحقه بقائمة المحرمات .. وقنع فى طعامه بالعدس ، وفى حلواه بالتين ، ومن المال بثلاثين دينارا يستغلها من عقار له ..**

◆ **اختلف** الناس فى عقيدته فزعم بعضهم أنه متصـوف ، وان لكلامه ظاهرا وباطنا .. وأبى آخرون الا اتهامه بالكفر والزندقة .. ونسب اليـه خصومه والحاقدون عليه كثيرا من « الكفريات ! »

◆ **كان يعتقد ان النسل جناية على الابناء فابى ان يتزوج لئـلا يجنى على نسله ما جناه عليه ابوه من قبل !**

◆ **طبق** على نفسه كل ماكان يعتنقه من مبادىء وآراء فكانت حيـاته الفاضلة مثلا أعلى للفضائل الانسانية على ممر العصور ..

◆ **انطفأت** شعلة حياته بعـد مرض قصير فى يوم الجمعة ١٣ ربيـع الاول سنة ٤٤٩ هجرية ، ٢٢ مايو سنة ١٠٥٧ ميلادية

◆ **كانت وصيته ان يكتب على قبره :**

هذا جناه ابى على وما جنيت على احد

أبو العلاء المعرى ومكانته فى التاريخ

تتصرم الدنيـا وتاتى بعـده أمم وأنت بمثـله لا تسـمع

حقا .. ما أصدق الوصف ، وما أروع التعبير .. لقد سلخ الدهر من عمر البشرية حتى الآن تسعة قرون ميلادية بعد وفاة أبى العلاء ، ولم تجد الدنيا بمثله بعد .. ولم تر الانسانية له نظيرا أو شبيها . وما أشبه أبا العـلاء بنجم ثاقب غمر الكون فجاة بضوئه الساطع ثم لفه الفضاء فى طيات العدم .. أو على حد قول العلامة الصاحب كمال الدين بن العديم : « **ان المعرى جوهـرة نادرة المثال جاءت الى الكون وذهبت ولم يعرف قيمتها الا القليل !** »

كان أبو العلاء عبقريا اكتملت له صفات العباقرة بكل ما وسعه هذا اللفظ فى زمانه : فقد كان شاعرا .. وأديبا ولغويا .. وفيلسوفا من طراز فريد !

وليس عـلى الله بمسـتنكر أن يجمع العـالم فى واحـد

هل كان فيلسوفا ؟

◆ **وقد** اختلف المؤرخون فى شان أبى العلاء .. وانكر بعض المستشرقين عليه صفة « الفيلسوف » ، ومن هؤلاء « نيكلسون » المستشرق الانجليزى المعروف .. فهو يزعم أن أبا العلاء لم يكن فيلسوفا بالمعنى المفهوم ، وذلك لانه - فى رأيه - لم يضع لنفسه مذهبا فلسفيا واضح المعالم مبين الحدود ، نستطيع أن نتبينه ونرسم حدوده كما نفعل حين نتحدث عن سقراط أو افلاطون أو أى فيلسوف آخر من فلاسفة العصر الحديث ..

ومن رأى الاستاذ « نيكولسن » أيضا أن نسبة الفلسفة لابى العلاء انما تقوم على آرائه التى أودعها ديوانه المعروف « باللزوميات » ، مع أن اللزوميات حافلة - فى رأيه - بالمتناقضات مما لا يصح أن يسمى فلسفة .. لكن للدكتور طه حسين فى ذلك رأيا آخر اذ يقول : « ان الفيلسوف هو الرجل الذى يبحث عن الحقيقة ما استطاع . وقد افنى ابو العلاء عمره الطويل باحثا عن الحقيقة منقبا وراءها .. وقد بذل فى ذلك من الجهد والوقت ما تتقطع دونه اعناق الفحول .. وهو لم يكن فيلسوفا فقط ولا شاعرا فحسب ولكنه جمع بين الخصلتين : كـان متفوقا فى عقله الى الحد الذى هداه الى غرور الحياة وبطلانها فعزف عنها ما استطاع .. وكان متفوقا فى فنه الى حد جعله يفكر فى كل شىء ويتناول كل شىء بالنقد والتصوير على صورة فنية بلغت اقصى حد من الروعة والكمال .

وابو العلاء ،وان كان قد قصر عما بلغه ابن سينا او الفارابى من تعمق فى بعض النظريات ، ومن اقامة المذاهب الفلسفية المنسقة ، ولكنه تفوق على هؤلاء جميعا لانه استنزل الفلسفة من معاقلها المنيعة لتكون قريبة من اذهان الناس ، لا تبلغ العقول وحدها ولكنها تصل الى اعماق القلوب فتشيع فيها الحب والرحمة والعطف والحنان

ولا شك ان احدا لم يملك ناصية الالفاظ العربية كما ملكها ابو العلاء .. ولم يفرغ احد للغة الضاد كما فرغ لها ابو العلاء ، ولم يتحكم فيها احد كما تحكم ابو العلاء .. فانت لا تراه الا عابثا بالمعانى وعابثا بالالفاظ .. يلائم بين المعنيين ثم يخالف بينهما كما يشاء .. ومن هنا نستطيع أن نفهم سر هذه الخطة العنيفة التى اختطها لنفسه .. وفرضها على شعره فى اللزوميات »

أبو العلاء وفلسفة التوقف !

◆ **وكان** أبو العلاء يمجد العقل ويراه خير مرشد ، وقد كانت حيـــاته الفاضلة مثلا حيا لايمانه بسلطان العقل ، فقد حكم عقله الجبار فى كل شىء .. وأنكر - فى جرأة وشجاعة - ما كان مألوفا فى عصره من الخرافات والاوهام.. وشق لنفسه فى الحياة طريقا أرشده اليه عقله المضىء الممتاز ..

والذين ينكرون على أبى العلاء صفة « الفيلسوف » يستندون فى رأيهم - كما تقدم - الى أن أبا العلاء لم يضع قاعدة « فلسفية » محددة .. ولكن من يتعمق فى ديوانه « اللزوميات » يدرك أن أبا العلاء يشبه من نواح كثيرة فيلسوف اليونان القديم « بيرهون » مؤسس نظرية « فلسفة التوقف » .. وفلسفة التوقف التى وضع أساسها « بيرهون » تجزم بعدم قدرة الانسان على الوصول الى الحقيقة .. وذلك نظرا لان الكائنات تخضع دائما لناموس التجدد المستمر ، مما يتعذر معه الوصول الى « حقائق ثابتة » .. لذلك يقع

الباحث دائما فى الاخطاء والمتناقضات . فالبحث عن الحقيقة ـ والحالة هذه ـ جهد ضائع لا بقوم على قرار ثابت .. ولا يسع الحكيم ازاء هذه التيارات المتعارضة الا « التوقف » عن ابداء حكم ثابت !

أبو العلاء و « ديكارت » .. والخيام

والبعض برى ان أبا العلاء هو مؤسس « فلسفة الشك » التى دعا اليها فى العصور الحديثة « ديكارت » ، فقد جعل الشك مرقاة الى اليقين .. والشك ملحوظ فى كثير من لزوميات ابى العلاء ..

كذلك قارن بعض المؤرخين بين المعرى والخيام ، لتقارب العصرين بينهما : فقد عاش ابو العلاء فى النصف الاخير من القرن الرابع الهجرى والنصف الاول من القرن الخامس . وعاش الخيام فى أواخر القرن الخامس واوائل السادس كما يرجح المؤرخون .. وكلا الرجلين متفلسف قرأ الفلسفة ، وفكر تفكيرا فلسفيا عميقا ، وكانت له فلسفة انتهت اليها آراؤه ـ على بعد ما بين النهايتين ـ ولكن الحقيقة أن المعرى والخيام وان تقارب عصراهما ، لم يدرسا الفلسفة بمقدار واحد :

فالمعرى « رواقى المذهب » اى يقول كما قال الرواقيون من قبل : « هون على نفسك الحياة بلذاتها وآلامها .. وازهد فيها ولا تحرص عليها .. بل انقطع عنها متعبدا حتى تلاقى الموت »

أما عمر الخيام « فأبيقورى المذهب » ،واتباع ابيقور بقولون : « **هذه الحياة مليئة بالشرور والآثام ، تفيض غما وسقما واضطرابا .. فاله عنها بملذاتك واستعن عليها بكاسك وطاسك ، واله وتمتع ، وقض يومك بين الزهر والخمر والموسيقى والجمال ، غير آبه لما يكون :**

وكذلك فعل الخيام الى آخر نسمة من حياته ..

أبو العلاء .. وشوبنهاور

أما الفيلسوف الذى شابه أبا العلاء فى العصور الحديثة فهو «شوبنهاور» فيلسوف الالمان العظيم : فقد كان متشائما مثل أبى العلاء .. وكانت آراؤه فى الحياة « نسخة صادقة » من آراء أبى العلاء ، **حتى لقد قيل ان « شوبنهاور » قد تاثر بفلسفة ابى العلاء وسار على نهجه فى نظرته القاتمة الى العالم .. فهو ـ كما يقول ـ « شر كله .. والانسان ليس الا ذئبا لاخيه الانسان .. وهو تعس اذا تزوج ، وتعس اذا لم يتزوج !.. وخير للعالم ان يقف النسل وتنقطع الحياة ! »**

وقد كان للظروف التى أحاطت بشوبنهاور أكبر الاثر فى تشاؤمه ، فقد أصيب فى أسرته فمات أبوه منتحرا .. وسارت أمه فى طريق معوج .. وعاش هو كأبى العلاء ، وحيدا ، لا زوجة له ولا ولد .. ولا عمل الا « الدوران »

حول نفسه فى حلقة مفرغة!.. فدعاه ذلك الى السأم والضجر والتبرم بالحياة، وما فيها ، ومن فيها .. ولا عجب فى ذلك ، فقد سادت أوروبا بعد حروب نابليون موجة من التشاؤم عمت القارة كلها .. وكان لسانها الناطق فى انجلترا « بيرون » وفى فرنسا « دى موسيه » وفى المانيا « شوبنهاور » .. وكان شوبنهاور يقول :

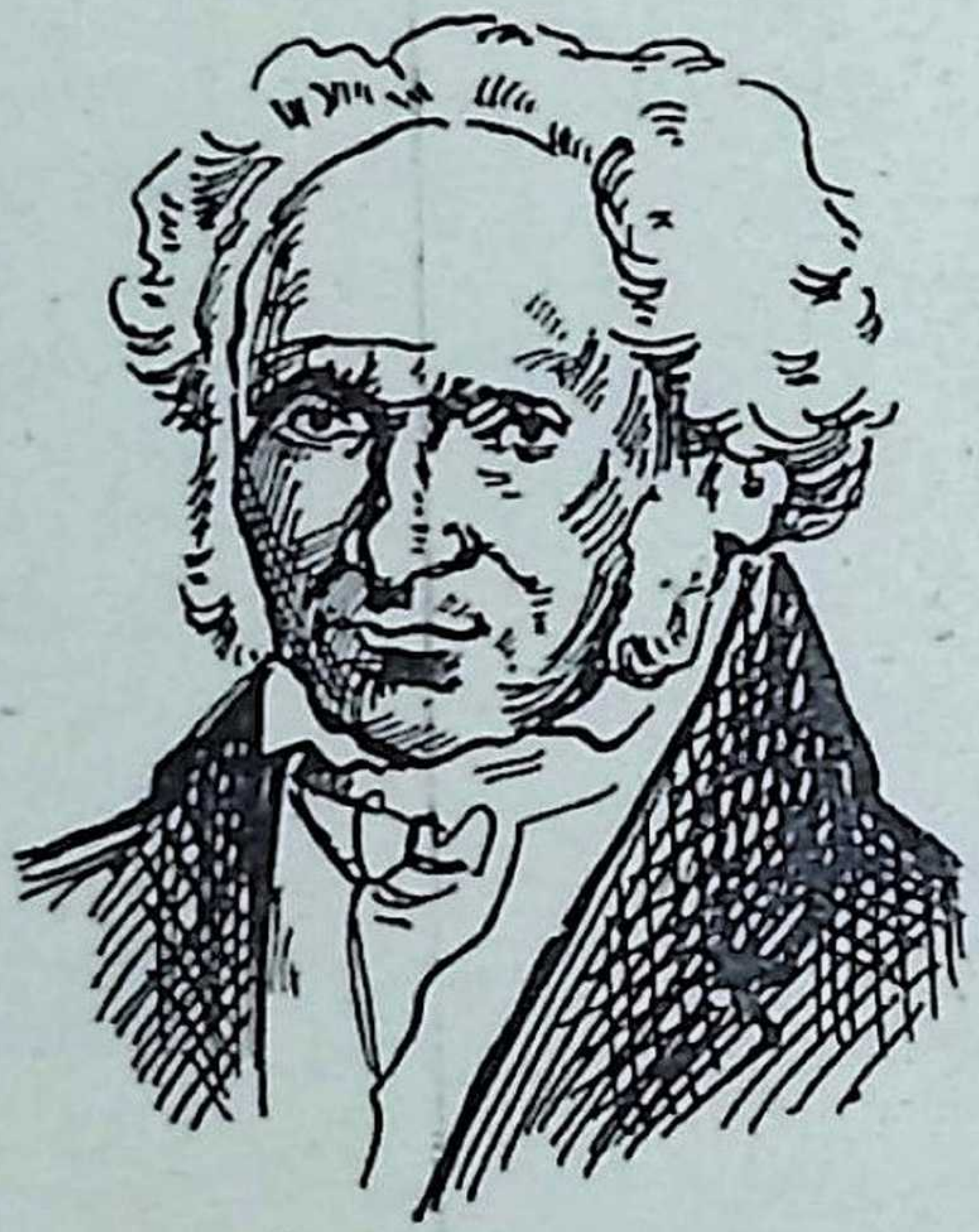
شوبنهاور

« اذا لم يكن الشقاء هو غرض الحياة وغايتها .. فاننى استطيع أن أؤكد أن وجودنا فى هذه الحياة هو أبعد الاشياء عن الغرض والقصد ! » .. ويتضح من ذلك ان « الشقاء » عند شوبنهاور هو غاية الحياة وحكمة الوجود !

وشوبنهاور هو أحد فلاسفة « ما وراء الطبيعة » القلائل الذين يستطيع الانسان أن يفهم دقائق فلسفتهم دون الرجوع الى مختلف الشروح . لان نظرياته مستمدة من حقائق الحياة الواقعة وقائمة على الكثير من التجارب والمشاهدات .. وهو يشبه من نواح كثيرة «استاذه الخالد » أبا العلاء .. فقد حاول كلاهما أن يعرف سر الخليقة ، أو « بداية الازل ونهاية الابد وعجائب المصير ! »

وهى محاولة عظيمة جبارة تشهد لكليهما بالتفوق العقلى الممتاز .. ولكنهما — مع الاسف — ادركا فى النهاية أن قوى الانسان العقلية محدودة ، وأنها أقصر من أن تسلك هذا المدى الواسع أو تقيس هذه الابعاد اللانهائية .. وأدركا أيضا أن ما لدينا من الحقائق وما تختزنه عقولنا من طاقة غير كاف لتكوين الآراء النهائية عن الكون والحياة وما وراء الموت من معميات والغاز ! وان آراءنا ان هى لا جزئيات ومجرد ظنون وأوهام تأثرنا فى تكوينها بمؤثرات بيئتنا المحدودة وعالمنا الصغير .. ومع هذه النتيجة السلبية التى انتهت اليها آراء شوبنهاور وأبى العلاء ، فانهما خدما الحقيقة أجل الخدمات .. فقد أخلصا فى البحث وتركا وراءهما تراثا خالدا من روائع الفلسفة وبدائع التفكير ..

أبو العلاء .. وشعراء العربية

◆ اما مكانة أبى العلاء بين شعراء العربية فلا ريب أنه أحد فحول الطبقة

الاولى من شعراء العرب ، الى جانب المتنبى ، وابن الرومى ،وأبى تمام ..

وأما فى ميدان الادب فابو العلاء شخصية فذة بين ادباء العربية ، يبارى ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان بصرا باللغة وتمكنا من اساليبها .. وقد تشابهوا جميعا فى أشياء كثيرة حتى كأنهم أبناء عصر واحد . واختلف هو عنهم فى أشياء كثيرة حتى كأنه ابن عصر وحده !

وهو قد امتاز على أبى نواس والبحترى ، وامتاز على عبد الحميد وابن العميد ، فجاء أدبه أكمل من أدبهم .. كما امتازت شخصيته على شخصياتهم .. وكان تراثه الادبى وما خلفه من شعر ونثر ونظم أعظم قدرا وأخلد أثرا وأشد اقناعا للقارىء ممن ذكروا ومن لم يذكروا على ممر العصور .. ولم يقف عقله الجوال وتامله الشامل عند الاحياء والاموات ، بل فكر فى الجماد والاكوان والنجوم والكواكب والابعاد .. فهو يقول : « ان مولد الشمس يعيى المرء تحديده » و « ان النور محدث والازلى هو الزمان المظلم » وأن « ضوء القمر مستمد من ضوء الشمس » وذلك فى قوله :

لولا اياة لم يكن فخت وبعض ذا العالم من بعضه

والاياة فى اللغة هى ضوء الشمس ، والفخت هو ضوء القمر !

أبو العلاء .. وجان جاك روسو

◆ ولابى العلاء فلسفته الالهية .. فهو يشك فى معظم ما كان يدين به معاصروه من عقائد ، ويعجب لما يرى من احتدام الخلاف بين المذاهب والاديان .. ولكنه يمتاز فى هذا الامر أيضا على سواه ، فان المتزندقين من أمثال بشار وابى نواس كانوا مستهترين يتهالكون على اللذات .. أما ابو العلاء فقد كان زاهدا حرم على نفسه متع الدنيا جميعا حتى ما كان مباحا منها .. وما انتهى الى ذلك اعتباطا ولكن بعد طول التامل والتفكير

ومع كثرة ما وجه ابو العلاء الى البشر من مثالب ومطاعن فقد كان رؤوفا باخوانه فى الانسانية ، يفيض رقة وحنوا على البائسين ، ويأسى لسوء حال الرعية ، ويعجب من جور الحكام ، مع أنهم فى رايه ليسوا الا أجراء لرعاياهم قبل ان يكونوا سادة وحكاما !..

ظلموا الرعية واستباحوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وهى نفس نظرية « العقد الاجتماعى » التى نادى بها روسو قبيل الثورة الفرنسية !

وكان أبو العلاء يأسف لعدم تساوى البشر ، وتفاوتهم فى الحظوظ ، وامتياز الطالحين منهم على الصالحين .. ويسخر من الدعاء للامراء والخلفاء فى المساجد

مع اعتناقهم الظلم واقبالهم على اللهو والفجور ، والفسق والخمور ..

يدعون فى جمعاتهم بسفاهة … لاميرهم فيكاد يبكى المنبر

ولم تكن مثل هذه الآراء شائعة او معروفة فى عصر ابى العلاء كما هى الآن، فلا غرابة ان يكون ابو العلاء سابقا لعصره باجيال ..

ومن الحق كذلك أن يقال : ان أبا العلاء كان يمثل أسمى مراتب العقل الانسانى الذى قال عنه «كونفوشيوس» حكيم الصين العظيم : « انه لا يتاح الا للقلائل جدا من بنى البشر .. ذلك العقل الذى ملك وحكم وصارت له السيطرة على صاحبه وعلى الحوادث حوله ، لا تزعزعه العواصف ولا تسوقه الاعاصير »

وأبو العلاء يمثل ذلك العقل الذى عناه « كونفوشيوس » خير تمثيل .. أمره عقله أن يعتزل .. فاعتزل .. وأمره أن يزهد .. فزهد .. وأمره أن يلزم عقر داره فلزم .. كل ذلك فعله أبو العلاء فى هدوء وقوة احتمال وصبر عجيب .. وتلك لا شك مواهب المختارين .

ولما حم القضاء وحلت الكارثة بوفاة هذا العبقرى الملهم وصعدت روح أبى العلاء الى الملأ الاعلى وقف على قبره عند دفنه مائة وثمانون شاعرا من اربعة اقطار الارض ، رثاه منهم اربعة وثمانون .. وكان من أعظم المراثى التى قيلت فيه قول تلميذه الامير أبو الفتح الحسن بن عبد الله المعرى فى مرثية رائعة هذه بعض أبياتها :

العلم بعد أبى العلاء مضيع … والارض خالية الجوانب بلقع
أودى وقد ملأ البلاد غرائبا … تسرى كما تسرى النجوم الطلع
ما كنت أعلم وهو يودع فى الثرى … ان الثرى فيه الكواكب تودع
جبل ظننت وقد تزعزع ركنه … ان الجبال الراسيات تزعزع
وعجبت ان تسع المعرة قبره … ويضيق بطن الارض عنه الاوسع
لو فاضت المهجات يوم وفاته … ما استكثرت فيه فكيف الادمع
تتصرم الدنيا وتأتى بعده … أمم وأنت بمثله لا تسمع
رفض الحياة ومات قبل مماته … متطوعا بابر ما يتطوع
عين تسهد للعفاف وللتقى … أبدا وقلب للمهيمن يخشع
شيم تجمله فهن لمجده … تاج ولكن بالثناء يرصع
جاءت تراك أبا العلاء غمامة … كندى يديك ومزنة لا تقلع
ما ضيع الباكى عليك دموعه … ان الدموع على سواك تضيع
قصدتك طلاب العلوم ولا أرى … للعلم بابا بعد بابك يقرع
مات النهى وتعطلت أسبابه … وقضى التأدب والمكارم أجمع

رحم الله أبا العلاء ، فقد كان كذلك

رسالة الغفران

عرض وتلخيص : الدكتورة بنت الشاطئ

◆ تخصصت الدكتورة بنت الشاطئ فى دراسة أبى العلاء ، منذ كانت طالبة فى قسم الامتياز بليسانس الآداب ، فلما تفرغت للدراسات العليا درست « الحياة الانسانية عند ابى العلاء » ونالت بها درجة الماجستير من مرتبة الشرف الاولى عام ١٩٤١ ، ثم عكفت على تحقيق ودرس « رسالة الغفران » مدى سبع سنوات طوال ، حتى نالت بها درجة الدكتوراه فى الآداب من مرتبة الشرف الاولى .

وحسبك لتعرف مدى تخصص الدكتورة فى مادتها ، ان الذين درسوا أبا العلاء قبلها كانوا يتخذون حياته كلها ، ومؤلفاته كلها ، موضوع رسالة أو كتاب ، على حين جعلت هى من رسالة واحدة لابى العلاء ، موضوع دراستها للدكتوراه .

« وتعتبر الدكتورة حجة فى نص الغفران ، اذ ان كل ما نشر من الغفران قبلها كان مشوها مبتورا ، غير محقق ، ولذلك اهتمت الدوائر العلمية - وبخاصة دوائر المستشرقين - بهذا النص المحقق الذى نشرته بنت الشاطئ على أحدث وادق واضبط مناهج النشر ، وجمعت لاجله كل مخطوطات الغفران من مكتبات العالم ، وقامت برحلات الى الاسكوريال (باسبانيا) وايطاليا (بلد دانتى) وانجلترا (بلد نيكلسون) ، كما استحضرت فيلما لمخطوطة الغفران فى « مكتبة كوبريلى زاده بتركيا » وهى أصل المخطوطات المعروفة للغفران .

وهذه هى الدكتورة بنت الشاطئ تقدم لنا اليوم عرضا ملخصا لرسالة الغفران :

متى ، وأين ، ولم كتبت الرسالة ؟

◆ حوالى عام ٤٢٤ هجرية ، كان « أبو العلاء المعرى » يملى فى بلدته «معرة النعمان » رسالة أدبية كتب لها أن تخلد مع روائع الآثار الباقيات ، وأن تشغل فى الادب العالمى مكانا لا نعرف أن رسالة أخرى فى أدبنا قد شغلت مثله !

وظاهر الامر ، أن « أبا العلاء » قد أملى هذه الرسالة ردا على رسالة أخرى بعث بها اليه أديب حلبي من أدباء عصره ، هو « علي بن منصور » المشهور

«بابن القارح» (١) . ولم يكن بين أبى العلاء وبين ابن القارح معرفة شخصية ، ولا سبق لهما أن التقيا ، وانما دعا ابن القارح الى كتابة رسالته أن أحد أصدقائه الادباء بعث معه رسالة الى أبى العلاء ، فسرقت الرسالة مع بعض متـــاع ابن القارح ، ولهذا كتب رسالته الى أديبنا الكبير ، شاكيا معتذرا ، ثم انتهـــز الفرصة فأخذ يعرض بضاعته من العلم والادب ، ويتحدث عمن لقى من كبـــار شيوخ العصر .. واستطرد من هذا فحمل على الزنادقة ، ورقيقى الدين ، حملة قاسية .

وقد جاراه أبو العلاء ، فاملى رده على رسالة صاحبه ، ومضى ـ مثـله ـ يعرض بضاعته الفذة من العلم والادب ، ويترجم بحديثه عما يجد فى نفسه .

وكان أبو العلاء اذ ذاك قد بلغ الستين من عمره أو جاوزها ، حيث انضجته الايام بتجاربها ومصائبها ، وكشفت له عن أشواقه المكبوتة ، وأحزانه المطوية ، وجراحه التى لم تندمل قط .. ولذلك رأيناه يستطرد فى المقدمة فيمضى بصاحبه فى رحلة عجيبة الى العالم الآخر ، كما تمثله هو ، بكل حرمانه ، وكل متاعبه ، وكل أشواقه ، وكل ثقافته ..

وكنت أرجو لو اتسع المجال للحديث عن حياة أبى العلاء ، وحياة قومه ، حين أملى الغفران ، لكى نلقى بهذا الحديث ضوءا على هذا النص الخالد ، الذى صنعته ظروف أبى العلاء النفسية والادبية ، وترك عصره فيه أثرا واضحا عميقا ، بحيث يمكن أن نرى فى « الغفران » صورة مؤثرة صادقة ، للبيئـة الخاصة والعامة التى صنعته ..

لكن مثل هذا الحديث يطول حتى يستنفد أكثر من المكان المخصص لعـرض رسالة الغفران ، ولذلك أدعه على الرغم منى ، وأحاول فى هذه الصـفحات المعدودات أن أقدم الى القارىء عرضا موجزا لهذا الاثر الفريد .

◆ **وابدأ** فاقول ان رسالة الغفران قسمان واضحان متميزان ، وأكاد أقول انهما منفصلان :

القسم الاول ، يعرض رحلة خيالية الى العالم الآخر ، ويمضى بالقـارىء الى الجنة والجحيم ، كما تمثلهما أبو العلاء

والقسم الثانى ، يملى فيه أبو العلاء جوابه عما جاء فى رسالة « ابن القارح » ويتتبع فيه فقراته فقرة فقرة ، بالرد والتعقيب والتعليق

---

(١) من شاء من القراء ، فليرجع الى ترجمة « ابن القارح » فى معجم ياقوت (ج ١٥ ص ٨٣ ط دار المأمون) ـ أما رسالته ، فمخطوطة بالمكتبة التيمورية فى دار الكتب ، وقد نشرها كرد على فى « رسائل البلغاء »

والقسم الاول هو المشهور لدى عامة القراء ، حتى ان كثيرا منهم يحسبون أن رسالة الغفران ليست سوى رحلة خيالية فى العالم الآخر ، ومن ثم نرى أن نكتفى اليوم بعرض وتلخيص هذه الرحلة التى اشتهرت بهـا رسـالة الغفران .. أما القسم الثانى ، فخاص ـ كما ذكرنا ـ بالرد على ابن القارح ، وهو لا يعنى سوى خاصة الدارسين المتفرغين للادب العربى وتاريخه ، ولسنا نرى جدوى من عرضه هنا ، على قراء لا معرفة لهم برسالة « ابن القارح » التى تعتبر ـ بحق ـ مفتاح فهم هذا القسم من الغفران ، بحيث لا تستطاع قراءة فقرة من فقرات رد أبى العلاء ، دون الرجوع الى ما يقابلها من الرسالة الاولى التى يرد عليها ..

رحلة الى العـالم الاخر

السبيل الى الجنة

◆ **ويهمنى** هنا ان اوضح للقارىء كيف جاءت مثل هذه الرحلة فى رسالة أمليت ردا على رسالة أخرى ليس فيها أى ذكر للجنة أو النار !

بدأ « أبو العلاء » ـ أول ما بدأ ـ بتحية صاحبه ، فى مقدمة استغرقت صفحات ذات عدد ، ذكر فيها أن الله يعلم مافى قلبه من شوق الى الاديب الحلبى ، **وقد تفنن أبو العلاء فى عرض هذه التحية تفننا عجيبـا ، وتلاعب بالالفاظ تلاعب العابث اللاهى ، الذى يملك ثروة لغوية نادرة ، فهو يتصرف فيها تصرف الخبير المتمكن** .. قال ان فى قلبه « حماطة » ـ والحماطة حبة القلب ، وهى أيضا شجرة معروفة ـ وهذه الحماطة التى فى قلبـه تثمر من مودة ابن القارح ما لو حملته الشـجرة العاليـة ، لدنت الى الارض غصونها ! وبعد أن تفنن أبو العلاء فى لفظ « الحماطة » انتقل فقال ان فى طى ثيابه حضبا موكلا بأذاته ـ (والحضب : الحية ، أو هو الضخم من ذكورها) ـ كما أن فى جسمه أسود ـ يعنى سويداء القلب ـ يشتاق الى الشيخ .. واستطرد من هنا فذكر ما يعرف من الذين سموا بالاسود ، وأبى الاسود ، وسويد ، وسودة ، وسوادة الخ .. حتى اذا بلغ من تفننه اللفظى فى تحية صاحبه ماشاء له فراغه ، وثراؤه اللغوى ، قال :

« وقد وصلت الرسالة ـ (يعنى رسالة ابن القارح) ـ التى بحرها بالحكم مسجور ، ومن قرأها لا شك ماجور .. والفيتها مفتتحة بتمجيد ، صدر عن بليغ مجيد . وفى قدرة ربنا ـ جلت عظمته ـ أن يجعل كل حرف منها شبح نور ، لا يمتزج بمقال الزور ، يستغفر لمن أنشاها الى يوم الدين .. ولعـله

– سبحانه – قد نصب لسطورها المنجية من اللهب ، معاريج من الفضة أو الذهب ، تعرج بها الملائكة من الارض الراكدة الى السماء ، وتكشف سجوف الظلماء ، بدليل الآية : « اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه »
ومن هنا بدأت الرحلة :

١ – جنة الغفران

◆ **فقد** تصور « أبو العلاء » أن الله قد غرس لابن القارح – بكلماته التى مجد فيها الله وأثنى عليه ، فى مقدمة رسالته الى أبى العلاء – شجرا فى الجنة ، لذيذ اجتنـاء « والولدان المخلدون فى ظلال تلك الشجر قيام وقعود ٠٠ يقولون – والله القادر على كل عزيز – : نحن وهذه الشجر ، صلة من الله لعلى بن منصور » (أى لابن القارح)

وهنا يتفنن ابو العلاء فى وصف انهار الخمر والعسل واللبن ، التى تجرى فى اصول هذه الشجر ، ويروى ما حفظ من أشعار الخمر ، ليؤكد ان كل ما عرفته دنيانا من خمر – تغنى فى وصفها الشاربون – لا يجوز أن يقاس بخمر الجنة !٠٠ أما أنهار العسل ، فان شهد الدنيا الفانية اذا قيس اليه ، وجد كالعلقم !

ثم تمثل المعرى صاحبه ابن القارح ، وقد استحق الرتبة العالية فى الجنة ، واصطفى له ندامى من أدباء الفردوس : كثعلب ، والمبرد ، والاصمعى ، ويونس بن حبيب ، وسيبويه ، والكسائى ، وأبى عبيدة ، « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »

وتهش نفوس الندماء للعب ، فيقذفون الكئوس فى أنهار الرحيق ، وهم يتمثلون بأشعار للاعشى فى موقف كهذا ، ويتمنون لو أنه أسلم فى الدنيا ، كى يكون معهم فى مجلسهم هذا

ثم يخطر لابن القارح أن يتنزه ، فيركب نجيبا من نجب الجنة ، ويمضى بين كثبان العنبر متمثلا ببيتين للاعشى ، فيهتف هاتف : « أتشعر أيها العبد المغفور له لمن هذا الشعر؟»

فيقول ابن القارح : « أجل ، حدثنا أهل ثقتنا عن أهل ثقتهم ٠٠ أن هذا الشعر لميمون بن قيس (الاعشى) »

فيقول الهاتف : « أنا ذلك الرجل ، من الله على بعد ماصرت من جهنم على شفير ، ويئست من المغفرة والتكفير »

فيلتفت اليه الشيخ هاشا بشا مرتاحا ، فيجده قد صار شابا أحور معتدل القوام ، ويسأله : بم غفر له ، فيروى الاعشى أن الزبانية سحبته الى سقر ، لكنه استشفع للرسول بقصيدته التى كان قد نظمها فيه ، ومضى ليسلم لولا أن صدته قريش وحبه للخمر ، كما استشفع بأنه كان فى الجاهلية الجهلاء ، يؤمن بالله وبالحساب ويصدق بالبعث ، وأيد ذلك كله بأبيات من شعره ، فشفع له الرسول ، وأدخل الجنة على ألا يشرب فيها خمرا ٠٠

ويستأنف الشيخ رحلته ، فيرى فى رياض الجنة قصرين منيفين ، وعلى أحدهما لافتة مكتوب فيها : « هذا القصر لزهير بن أبى سلمى المزنى »، وعلى الآخر : « هذا القصر لعبيد بن الابرص الاسدى » ٠٠ فيلتمس لقاءهما ليسألهما : بم غفر لهما ؟ فيجد « زهيرا » كالزهرة الجنية ، كأنه ما عرف الشيخوخة ، ولا سئم تكاليف الحياة !

ويحدثه زهير عن سبب مغفرة الله ، فقد كان مؤمنا به ، وقد أوصى بنيه عند الموت : « ان قام قائم يدعوكم الى عبادة الله فأطيعوه » ولو أدرك محمدا ــ صلعم ــ لآمن به

بيت من الشعر يشفع له !

◆ **ويتنادمان** حينا ، ثم يمضى ابن القارح للقاء « عبيد بن الابرص » فيقول له : « لعلك تريد أن تسألنى بم غفر لى ؟٠٠

أخبرك أني دخلت الهاوية ، وكنت قلت فى أيام الحياة

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

وسار هذا البيت فى آفاق البلاد فلم يزل ينشد ويخف عني العذاب حتى أطلقت من القيود والاصفاد ، ثم كرر الى أن شملتني الرحمة ببركة ذلك البيت ، وان ربنا لغفور رحيم »

فاذا سمع الشيخ ما قال ذانك الرجلان ، طمع فى سلامة كثير من الشعراء .. ويسأل عن « عدى بن زيد » فاذا لقيه سأله بم غفر له ؟ فيجيب : « **انى كنت على دين المسيح ، ومن كان من أتباع الانبياء قبل أن يبعث محمد فلا بأس عليه ، وانما التبعة على من سجد للاصنام** .. »

ويكون بينهما حوار أدبى شائق ، يختمه « عدى » بدعوة صاحبه الى الصيد ! فيخاف « ابن القارح » - ولم يكن فى الدنيا يركب الخيل - أن يقذف به الفرس على صخور زمرد فيكسر له عضدا أو ساقا فيصير ضحكة فى أهل الجنان ، لكن « عديا » يبتسم ويقول :

- ويحك ! أما علمت أن الجنة لا يرهب لديها السقم ، ولا تنزل بسكنها النقم ؟

وينطلقان للصيد ، فاذا نظر الشيخ الى قطيع من البقر ترتع فى رياض الفردوس ، صوب رمحه الى واحد منها ، فاذا لم يبق بين السنان وبين الاخنس الا قيد ظفر ، قال : « **أمسك رحمك الله ، فانى لست من وحش الجنة .. ولكنى كنت فى الدنيا أرود فى بعض القفار ، فمر بى ركب مؤمنين قد نقص زادهم ، فصرعونى واستعانوا بى على السفر ، فعوضنى الله - جلت كلمته - بأن أسكننى فى الخلود** »

ويعمد الشيخ لحمار وحشى ، فاذا أوشك أن يصيده ، هتف به أن يمسك لان الله أنعم عليه ، وذلك أن صائدا صاده فى الدنيا ، وجعل جلده سقاء تطهر بمائه الصالحون ، فشملته بركة منهم ، وأدخله الله الجنة يرزق فيها بغير حساب .

وينصرف ابن القارح ، وعدى بن زيد ، فاذا هما « بأبى ذؤيب الهذلى » يحتلب ناقة فى اناء من ذهب ، ويسألانه فى عجب : كيف يحتلب ، مع أنهار من لبن ؟ فيقول :

– لا بأس ! انما خطر لى ذلك مثلما خطر لكما القنص ..

حور تطرب الندماء ..

ويتحاورون ساعة ، ثم يستأنف ابن القارح نزهته ، فيلتقى بشابين جميلين هما النابغتان : الجعدى والذبيانى ، ويسألهما بم غفر لهما ، ثم يتبع ذلك بحوار أدبى شائق ، لا يلبث أن يشترك فيه المازنى والشيبانى وأبو عبيدة والاصمعى ، حيث تشب معركة أدبية بين الرواة وبين الشعراء ، تعقبها معركة أخرى حامية بين الاعشى والجعدى ، يتعايران فيها ويتنابذان ، حتى يثب الجعدى على الاعشى فيضربه بكوز من ذهب ! واذ ذاك يتدخل النابغة ليصلح بينهما قائلا : « لا عربدة فى الجنان ، انما يعرف ذلك فى الدار الفانية بين السفلة والهجاج ، (أى الحمقى) »

ويكره ابن القارح أن ينصرف الجعدى مغضبا ، **فيقترح عليه وعلى الندماء أجمعين أن يأخذ كل واحد حورية من الحور العين التى كانت سربا من الاوز ، وحولها الله حورا لتطرب الندماء ، لكن لبيد بن ربيعة يشفق من انتشار الخبر فى الجنة ، « فلا يؤمن أن يسمى فاعلو ذلك أزواج الاوز ! » فتضرب الجماعة عن اقتسام القيان ، خشية السخرية !**

ويمر حسان بن ثابت ، فيعابثه الندماء حينا ، ويستنشدونه شعره فى الخمر ، ثم ينفض هذا المجلس ، ويمضى ابن القارح فى طوافه بالجنة فيلقى خمسة أشخاص ، ذوى عيون ليس فى الجنة نظيرها حسنا وجمالا ، فيقول : « ما رأيت أحسن من عيونكم فى أهل الجنان فمن أنتم خلد عليكم النعيم ؟ » فيقولون: « نحن عوران قيس (جمع أعور) : تميم بن مقبل ، وعمرو بن

أحمر ، والشماخ ، والراعى ، وحميد بن ثور الهلالى » فيستنشدهم أشعارهم ، ويناقشهم فيها ، لكن أكثرهم يعجبون « لان ابن القارح ما يزال يحفظ الشعر بعد أن رأى أهوال المحشر ، لكن ابن القارح يروى لهم كيف نجا من ذلك الهول ، بشفاعة من آل البيت

مأدبة فى الجنة !

◆ **ويبدو** له بعد ذلك أن يقيم مأدبة فى الجنة يدعو اليها كل من فيها من الشعراء واللغويين والرواة والمتأدبين ، **فينشىء الله وحى من در وعسجد تدور على الكوثر لطحن البر ، ويجىء غلمانه ـ من الولدان المخلدين ـ بالجداء (جمع جدى) ـ والطواويس والحمام والدجاج والبقر والغنم والابل ، وتذبح ـ دون أن تحس أى ألم ـ ويجتمع طهاة حلب الذين فى الجنة ، فيصنعون أشهى الاطعمة ، وتوضع الموائد من الذهب ، وصوانى الفضة ، ثم يجىء السقاة بأصناف الاشربة ، ويعقب ذلك مجلس غناء ، يشترك فيه الغريض ومعبد وابن مسجح وابن سريج وابراهيم واسحاق الموصليان ، وبصبص ودنانير وعنان والجرادتان .. ثم يخطر للشيخ أن « للخليل بن احمد » شعرا يصلح للرقص عليه ، فينشىء الله شجرة جوز تنفض عددا لا يحصى من الثمار ، وتنشق كل ثمرة عن أربع غوان يرقصن على أبيات الخليل وهو اذ ذاك بين المدعوين .**

ويدور حديث الندامى ، فى اللغة والادب ، ثم يخلو ابن القارح بحوريتين بهره جمالهما ، ويستمتع بهما وهو يتغنى بأبيات لامرىء القيس عن رضاب حبيبته ، فتستغرب احدى الحوريتين ضاحكة ، وتخبر ابن القارح أنها كانت فى الدنيا من أقبح نساء حلب ، وقد تزوجها رجل يبيع السقط (الروبابيكيا) ثم طلقها لان رائحة فمها كريهة ، فتفرغت للعبادة حتى صارت الى هذه المنزلة !

وتقول الثانية : انها « توفيق السوداء » التى كانت تخدم فى دار العلم ببغداد ٠٠ وهنا يمر ملك من الملائكة ، فيسأله الشيخ عن صنف من الحور العين لم يكن فى الدنيا مثل توفيق السوداء وزوجة بائع السقط ، **فيمضى به الملك الى شجر الحور، فيأخذ ثمرة ويكسرها فتخرج منها حورية رائعـــة الجمال ، تسأله عن اسمه ، فاذا ذكره لها قالت انها كانت تمنى بلقائه قبل أن يخلق الله الدنيا بآلاف السنين ، فيسجد ابن القارح اعظاما لله ، ويخطر له وهو ساجد أن هذه الحورية ، عـلى حسنها ، نحيلة القوام ! ثم يرفع رأسه فاذا وراء الحورية ردف ضخم هائل ، فيدعو الله أن يجعل عجيزتها أقل ضــخامة ، فيقال له : « أنت مخير فى تكوين هذه الجارية كما تشاء » !**

بين الجنة والنار

◆ **ويبدو** له أن يشاهد أهل النار ، فيركب فى طريقه اليها ، فيمر « بجنة العفاريت » حيث الجن المؤمنون ، ويسمع قصيدتين من شعر أحدهم ، ويصغى الى ما كان له من مغامرات مع البشر قبل أن يمن الله عليه بالتوبة ٠٠

ثم يعجل الارتحال ، فيلقى أسدا يفترس ما شاء من قطعان البقر ، ويعجب لوجوده فى الجنة ، **فيحدثه الاسد أنه أسد « القاصرة » ـ مكان فى الطريق الى مصر ـ وقد ألهمه الله أن يتجوع أياما ، حتى مر بالقاصرة « عتبة بن أبى لهب » فافترسه، وكان الرسول قد دعا الله أن يسلط عليــه كلبا من كلابه ٠ ودخل الاسد الجنة بما فعل !**

ويمر بعد ذلك بذئب يقتنص الظباء ، فيسأله عن خبره ، فيقول انه الذئب الذى كلم « أهبان بن أوس الاسلمى » أيام الرسول ، وقد لحقته بركة محمد صلى الله عليه وسلم

حتى اذا بلغ أقصى الجنة ، وجد كوخا كأنه كوخ أمة راعية ، وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، واذا هو « الحطيئة

العبسى » وكان مقضيا عليه بالهلاك لولا أن شفع له الصدق فى قوله :

أرى لى وجها شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله !

ويتركه ويمضى ، فاذا هو بالخنساء فى أقصى الجنـــة ، قريبة المطلع الى النار ، وقد أحبت أن تنظر إلى أخيها صخر ، فرأته كالجبل الشامخ والنار تضطرم فى رأسه، مصداقا لقولها فيه : « كأنه علم فى رأسه نار »

٢ ـ فى جحيم الغفران

◆ **ولا يكاد** ابن القارح يبلغ « النـــار » حتى يرى ابليس وهو يضطرب فى الاغلال والسعير ، فيحمد الله لما رأى ، **ويدور بينهما حوار يسأله فيه ابليس : ان كان الغلمان أبيحوا لاهل الجنة كما أبيحت الخمر ! كما يسأله عن « بشاربن برد» الذى كان يفضل ابليس على بنى آدم ! فلا يسكت من كلامه الا وبشار فى أصناف العذاب ، يغمض عينيه حتى لا ينظر الى ما نزل به من النقم ، فيفتحهما الزبانية بكلاليب من نار !**

ويحزن الشيخ بعذاب بشار ، ويحدثه حينا ، ثم ينصرف عنه ويطلب لقاء « امرىء القيس » ، ثم « عنترة العبسى » ثم « علقمة بن عبدة » ثم « عمرو بن كلثوم » ثم « الحـــارث اليشكرى » ثم « طرفة بن العبد » و « أوس بن حجر » و « أبا كبير الهزلى » و « صخر الغى » و « الاخطل » .. ويحاورهم جميعا ، ناقدا ، مستنشدا ، سائلا ، مترحما راثيا حتى اذا هم بالعودة الى الجنة ، ذكر أنه ما سأل عن « مهلهل الثعلبى » ولا عن « المرقشين » وأنه أغفل « الشنفرى وتأبط شرا » فيرجع طالبا الى خزنة النار أن يأتوه بهم ليحدثهم عما في نفسه ..

٣ ـ عودة الى الجنة

◆ **واذ** هو ماض فى طريقه الى الجنة ، لقى أبانا « آدم » فحياه وسأله عن بعض ما نسب اليه من الشعر ، فاذ قال « آدم » انه لم يسمع بهذا الشعر من قبل ، قال ابن القارح :

ـ فلعلك يا أبانا قلته ثم نسيت ، فقد علمت أن النسيان متسرع اليك ، وحسبك شهيدا على ذلك ، الآية المتلوة فى « الفرقان » : « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » **وقد زعم بعض العلماء أنك انما سميت انسانا لنسيانك!**

ويطول بينهما الحوار ، ويتناول مسألة « لغة أهل الجنة » ثم يختمه آدم قائلا :

ـ ٠٠ آليت ما نطقت هذا النظيم ولا نطق فى عصرى ، وانما نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة الا بالله ! كذبتم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم أبيكم ، ثم على حواء أمكم ، وكذب بعضكم على بعض ٠٠

ثم يضرب ابن القارح سائرا فى الفردوس ، فاذا هو بروضة تلعب فيها الحيات ٠ واذا فيهن الحية « ذات الصفا » التى جاءت فى شعر النابغة الذبيانى ، وأخرى فقيهة قارئة عالمة بأسرار العربية ، تقول انها كانت تسكن فى دار « الحسن البصرى » فتلقت منه الكتاب الكريم من أوله الى آخره ، فيستفسر منها ابن القارح عن بعض قراءات وهى تجيب ، ثم تقول انها انتقلت ـ بعد وفاة البصرى ـ الى جدار فى دار « أبى عمرو بن العلاء » فسمعته يقرأ ، ورغبت عن بعض قراءات للبصرى ، ولما توفى « أبو عمرو » كرهت البصرة وانتقلت الى الكوفة فأقامت فى جوار « حمزة بن حبيب » وسمعته يقرأ بأشياء ينكرها عليه أصحاب العربية مثل ٠٠ ومثل ٠٠

ويبلغ العجب بالشيخ ـ من فقه الحية وعلمها ـ أقصاه ، **وتحس هى ذلك منه فتغريه بالاقامة معها ، فانها ـ اذا شاء ـ تستطيع أن تنتفض من اهابها فتصير مثل أحسن غوانى الجنة! ولو ترشف رضابها لعلم أنها أفضل من الخمر ، ولو تنفست فى وجهه لأعلمته أن صاحبة عنترة كريهة رائحة الفم ، ولو .. ولو ..**

فيذعر منها الشيخ ، ويذهب مهرولا فى الجنة ، وهى تناديه وتلح فى اغرائه ، عبثا !

عتاب الحور !

◆ **فاذا** ضرب فى غيطان الجنة ، لقيته الحورية التى كانت معه قبل رحلته الاخيرة الى النار ، فتعاتبه قائلة : « **انى لأنتظرك منذ حين ، فما الذى شجنك عن المزار ؟ ما طالت الاقامة معك فأمل بالمحاورة مسمعك ! قد كان يحق لى أن أوثر لديك على حسب ما تنفرد به العروس ، يخصهـــا الرجل بشىء دون الازواج** »

فيخبرها بما كان ، ثم يسألها أن تتبعه بين كثبان المسك والعنبر ، فتقول : أظنك تحتذى به فعـــال الكندى « امرىء القيس » فى قوله :

فقمت بهـــا أمشى تجر وراءنا على اثرنا ، أذيال مرط مرحل

فيعجب لما يسمع ، ثم يعرض له حديث امرىء القيس فى « دارة جلجل » فينشىء الله ـ جلت عظمته ـ حورا عينـــا يسبحن فى نهر من أنهار الجنة وفيهن من تفضلهن كصاحبة امرىء القيس ، ويعقر لهن الراحلة ، فيأكل ويأكلن من لحمها ما لا عهد لاحد به من امتاع ولذاذة

ويمر بعد ذلك بحى « الرجاز » ويقف ليندد بهم ، ويستهين برجزهم ، ويرى أن الله قد أعطاهم مكانا متواضعا فى الجنة ،

على قدر مكانهم الواطى فى الشعر !٠٠ ثم يطيب له أن يشعر بما كان يشعر به الشارب فى الدنيا من نشوة وفتور ، فاذا هو يخال فى عظامه دبيب نمل ، فيترنم بقول « اياس بن الارت » :

أعاذل لو شربت الخمر حتى يظل لكل أنملة دبيب
اذاً لعذرتنى وعلمت أنى لما أتلفت من مالى مصيب

ويتكىء على مفرش من السندس تحمله الحور العين فتضعه على سرير من زبرجد وعسجد، ثم يكون الله حول السرير حلقا من الذهب ، فيمسك كل واحد من الغلمان والقيان بحلقة من هذه الحلقات ويحمل على تلك الحال الى محله المشيد بدار الخلود ، فكلما مر بشجرة نضحته أغصانها بماء الورد قد خلط بالكافور والمسك ، وتناديه الثمرات من كل جانب :

– هل لك يا أبا الحسن هل لك ؟

فاذا أراد عنقودا من العنب أو غيره ، انقضب من الشجر بمشيئة الله ، وحملته القدرة الى فمه ، وأهل الجنة يلقونه بأصناف التحية ، « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ٠» لا يزال كذلك أبدا سرمدا ، ناعما فى الوقت المتطاول منعما ٠

وهنا ، تنتهى تلك الرحلة العجيبة التى حمل فيها أبوالعلاء صاحبه الى عالمه الآخر ، وطاف به فى الجنة والنار وما بينهما ، ليبدأ بعد ذلك فى الرد على المسائل التى جاءت فى رسالة ابن القارح٠٠ ومن هذا الرد يتألف القسم الثانى من رسالة أبى العلاء ، كما أوضحنا

حديث الزنادقة

◆ **واهم مافى هذا القسم الثانى ، ماجاء خاصا بالزنادقة والملحدين والخلعاء ورقيقى الدين ، وانما ترجع هذه الاهمية الى أن تاريخنا الادبى يفتقد كثيرا من أشعار الزنادقة وآثارهم الادبية التى اضطهدت وحوربت ، او ضاع اكثرها.**

والمهم ان نذكر هنا ان ابا العلاء لم يتطوع بالحديث عن الزنادقة ورواية اشعارهم تلذذا بها كما زعم بعض المؤرخين والنقاد ، وانما اضطر الى التعرض لهذا ، ردا على ماجاء به ابن القارح فى رسالته من اخبارهم واشـعـارهم ، دون ضرورة ظاهرة تدعو الى الحديث عنهم ! فكان لابد لابى العلاء ان يتناول هذا الجانب من رسالة صاحبه ، ويحدثه عما غاب عنه من اخبارهم ومذاهبهم

وفى القسم الثانى من الغفران ، الى جانب هذا الحديث عن الزندقة ، مسائل أدبية وقضايا نقدية وأمال لغوية ، يحتاج كل منها الى عناية متخصصة ودرس متفرغ ..

تصحيح الشائع حول زهد ابى العـلاء

◆ ولا أريد أن أدع القلم ، دون اشارة عجلى الى ما تحمل جنة الغفـران وجحيمها من طابع علائى خاص متميز ، يفردها عن سواها من صور العـالم الآخر فى الاديان أو الآداب ، **وما اظن القارىء ــ بعد ان وعى العرض الذى قدمناه ــ يفوته ان يلحظ اثر الكبت والعزلة والحرمان والعمى ، فى هـذه الحياة الاخرى التى رسمها ابو العـلاء : الاديب ، الضرير ، المحروم ، المكبوت ، المقيد الحبيس ، الذى امضى نحو نصف قرن فى محبسه الضيق !**

وانها لجديرة بان تصحح راى الذين اخطاوا فهم زهد ابى العلاء ، وحسبوه قد كره الدنيا ، وترفع عن لذاتها المادية بملء حريته واختياره ، فهذه هى جنته كما ارادها له حرمانه ، تتفنن فى تصوير المتع المادية تفننا مؤثرا مثيرا ، ولا ترى الجنة جنة ، اذا لم يكن فيها سمر ومنادمة وحوار ادبى ، وحـركة ، وانفعال ، ورقص ، وغناء ، ولحم شهى ، وانهـار من خمر ، واسراب من القيان ، والحور العين .. الخ

وقد خلا عالمه الآخر من الهدوء ، والجمود ، والسلام ، كما خلا من العمى والعور ، وكل ما ابتلى به أهل الدنيا من عاهة أو داء .

ولم يشأ الاديب أن يتخلى عن أدبه أو يشغل عنه بالخمر والنسـاء ، بل جعل الادب متعة فردوسية ، واختار أن يكون عالمه الآخر عالم أدباء ، يتحاورون ويتناقشون ، ويعقدون المجالس الادبية الحافلة .. كما اختار أن تغنى القيان شعرا ، وأن ترقص الراقصات على أبيات من الشعر ، بل جعل الشعر غالبـا **وسيلة الى الغفران !**

خلف النوافذ المغلقة

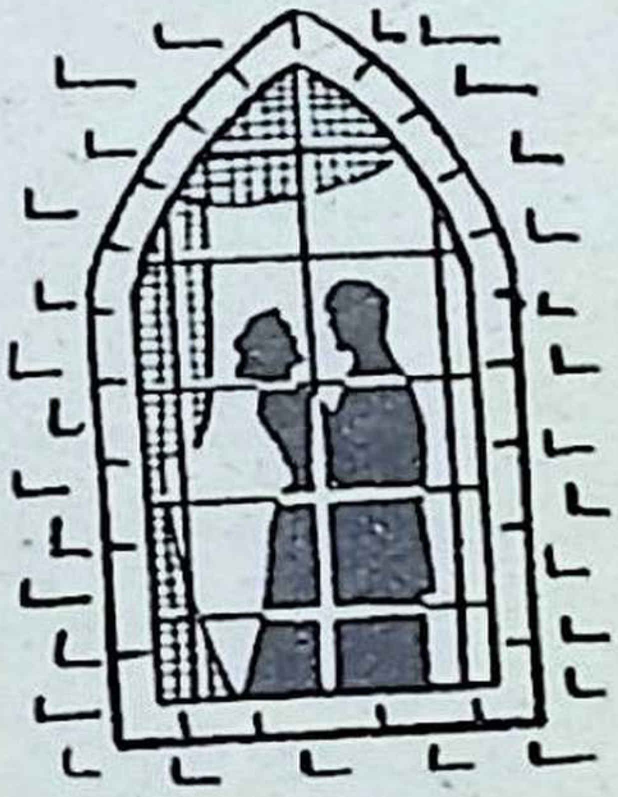

عباقرة الإنسانية

في حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء . . .

فى الاعداد الستة الاولى من (كتابى) قدمت لك فى هذا الباب قصة الحياة الخاصة لفيكتور هوجو ، كما كتبها اديب من اسرته وذوى قرباه هو «ليون دوديه»

وفى كتابى الممتاز الاول قدمت لك فى نفس الباب «اعترافات جان جاك روسو» ، وهو الكتاب الذى فتح فى الادب «الشخصى» فتحا جديدا ، اذ كان اول كتاب يتحدث فيه اديب عن نفسه ، «فيشرح» عيوبه قبل حسناته بصراحة وجراة لم يكن للناس عهد بهما من قبل ..

وفى الاعداد السبعة الماضية من كتابى قدمت لك الفصول الاولى من الكتاب الممتع الذى اصدره الاديب العالمى «اندريه موروا » منذ اسابيع ، وروى فيه حياة الاديبة والملهمة الخالدة « جورج صاند »، بالقلم البارع الذى قدم للعالم من قبل قصص حياة كل من : شيلى .. دزرائيلى .. بيرون .. تورجنيف .. فولتير .. ديكنز .. شاتوبريان .. الخ

واليوم اقدم لك الفصل الثامن من هذا الكتاب الشائق الذى سوف نتابع فصوله التالية فى اعداد كتابى القادمة باذن الله

اندريه موروا

حياة جورج صاند

(ليليا)

خلاصة ما نشر

◆ انحدرت جورج صاند من سلالة عجيبة ، كان بين افرادها الملوك ، والقواد العظام ، والراهبات الذائعات الصيت ، والممثلات الشهيرات .. الخ وكان لكل نساء الاسرة أبناء وعشاق ، وكن مولعات بالابناء أكثر من ولعهن بالعشاق ! .. وتقاطر سيل الابناء غير الشرعيين فى العائلة بغير حساب ، لكن آباءهم كانوا يعترفون بهم ، فينشاون فى ترف ورفاهية ، كأبناء الملوك !

وعن هذه السلالة العجيبة ورثت جورج صاند تحديها الجرىء للحياة ، وتعلقها بالارضيات ، وشراهتها الجنسية .. حتى ليمكن القول بحق ان تاريخ اسرتها فيه الكثير من عناصر قصص الف ليلة وليلة !

وكان ابوها - موريس دوبان - ضابط أركان حرب فى الجيش الفرنسى، فالتقى أثناء الحملة الايطالية بحسناء فاتنة الطرف ضاحكة السن تدعى صوفى ديلابورد - وكانت عشيقة قائده ! - وقد كتبت جورج صاند فيما بعد تصفها بقولها : «كانت امى من النوريات الفجر ، سليلة جنس منحط متشرد .. وقد كانت - فى فترة من حياتها - راقصة ، او بالاحرى شيئا احط من راقصة ، فى ملهى من أقذر ملاهى باريس سمعة !.. حتى قيضت لها الاقدار رجلا موسرا انقذها من هذا الوحل ، ولكن ليفرض عليها حياة أكثر وحلا ! وحين التقى أبى بها كانت فى الثلاثين ، تعيش فى دوامة من الفوضى الضارية .. لكنه كان ذا قلب كبير ، وقد ادرك أن الحسناء التعسة ما تزال قديرة على ان تحب ، وتهب قلبها مخلصا لمن تحب»

لكن موريس اشفق من مصارحة أمه - الوقورة المتزمتة - بحبه لتلك المرأة ذات العفة الجريحة ، وبتفكيره فى الزواج منها . .فلبث يرجىء «الازمة» حتى حملت صوفى منه ، فاضطرا الى عقد زواجهما سرا فى ١٦ ابريل سنة ١٨٠٤ .. وفى مساء أول يوليه من نفس العام وضعت صوفى مولودتها «أورور» التى سنرى نجمها يلمع فى التاريخ باسم «جورج صاند» !

بين بيت جدتها .. والدير !

◆ وحين بلغت «أورور» عامها الرابع فقدت اباها ، على اثر سقوطه من على ظهر جواده ، وتزايد النفور بين امها وجدتها - وكانت الاخيرة قد عارضت فى زواج الاولى من ابنها الراحل - فاضطرت الام الى الرحيل الى باريس ، تاركة طفلتها فى كنف جدتها الارستقراطية الثرية ، كى لا تحرمها من هذا الترف ! وجلبت لها الجدة من علمها الموسيقى ، واللغة اللاتينية ، والعلوم الطبيعية

.. فقرات الصبية «الياذة» هوميروس وهى فى هذه السن الباكرة !.. لكن الجدة اخطأت ذات يوم فصارحت حفيدتها بماضى امها الملوث ، فاحدث ذلك فى نفسية اورور ازمة عنيفة جعلتها ترفع منذ ذلك اليوم راية العصيان والتمرد .. حتى لم تجد الجدة بدا آخر الامر من ادخالها احد اديرة باريس كى تتم علومها بين جدرانها !

لكن حرص العجوز على الاطمئنان على مستقبل حفيدتها ، قبل موتها، جعلها تخرجها من الدير كى تعدها للزواج .. غير ان منية الاولى حانت قبل امنيتها ، وكانت اورور ما تزال فى السابعة عشرة ، فاخذتها امها لتعيش معها فى باريس .. لكن جنون الام المتزايد كاد يفرض على المسكينة زواجا اجباريا ، فاوشك الكمد ان يقتلها .. بحيث اضطرت امها الى اخذها لتقضى اياما فى ضيعة اسرة من اصدقاء زوجها القدامى ، بغية تبديل الهواء ..

زواج .. وخيبة امل !

◆ وعن طريق هذه الاسرة تعرفت اورور الى الضابط الشاب «كازيمير دوديفان» ، فلما فاتحها فى الزواج قبلته مرحبة .. ولم تلبث ان زفت اليه .. غير انها سرعان ما تبينت - ولاسيما بعد انقضاء النشوة الاولى وبعد ان رزقت بطفلها الاول «موريس» - ان بين طباعها وطباع زوجها تنافرا كبيرا ، فبقدر ما كانت هى تتذوق الادب والفن والموسيقى ، كان هو يجهل هذه كلها ولا يعبا بغير ما يشغل الرجال التافهين .. وحتى المتعة الجنسية كان يشوبها التنافر ايضا بين شهوانية الزوج ، وبرود الزوجة ! كان هو ينشد فيها المرأة ، وهى تنشد فيه العاشق «الروحى» الذى يحقق لها احلام صباها .. بالحب !

حب عذرى

◆ وفى غمرة هذه العزلة النفسية الموحشة التى كانت تعانيها اورور ، التقت بالمحامى الشاب «اوريليان دى سيز» ، وكان مرهف الحس ، ذواقة للشعر ، فوقع من فوره اسير هواها .. لكنه كان عفيف النفس فلم يسالها اكثر من الصداقة الخالصة ، وان اعترفت هى لصديقاتها بانه لو طالبها بالمزيد لعجزت عن الضن عليه بما يشتهى ، ولو ادى بها الامر الى التضحية بنفسها وباخلاصها لزوجها !

وكان اقصى ما ناله اوريليان منها ان ضمها الى صدره ، فى عناق عذرى .. وذات يوم فاجاهما الزوج فى موقف عاطفى مشابه ، لكنها اقنعته ببراءتها.. واستمرت على صلتها بفتى احلامها ، بعد ان جددا العهد بان يتبادلا الحب دون ان تشوبه صلة جسدية .. فقد كانا يؤمنان بامكان قيام صداقة طاهرة بين الزوجة الوفية ، و«صديق العائلة» !

وبالفعل التزم العاشقان ميثاقهما العذرى - وان تحللت منه الزوجة فى احلامها ، حيث كانت تطلق العنان لرغباتها .. فتمنح نفسها له ! - ولكن بمرور الايام بدأ يدب فى خطابات الشاب اليها لون من الفتور ، والتراخى ، فادركت اورور استحالة ان تحتفظ امرأة برجل ، دون رباط من التجاوب الجسمانى . استحالة ان تكون معشوقة ، ولا تهب عاشقها جسدها !.. ولم تعد خطابات اوريليان المتباعدة تصلح «خطا دفاعيا» قويا لها ، يحميها من الاستجابة لمغازلات «المعجبين» الملتفين حولها !

وكان قد ظهر فى افق حياتها شاب عرفته فى بيت جدتها قبل ان تتزوج، يدعى «ستيفان دى جراندسانى» .. ووجدت فيه اورور اكثر من سبب يجذبها اليه : فهو اول من ايقظ فيها عواطف الانوثة فى صباها ، ايام ان كان يدرس الطب ويلقنها دروس التشريح فى غرفتها الخاصة .. وهو باحث مطلع يتجاوب ذهنه مع ذهنها .. وهو اخيرا مريض يستدر عطفها الفطرى على المرضى (اذ كان نصف مصدور ، ونصف مجنون !)

وصارت تراه كثيرا ، لاسيما فى فترة تغيُّب زوجها فى باريس . ثم لم يكد الزوج يعود حتى رحلت هى الى باريس ، وكان ستيفان قد سبقها اليها! وبدأت رائحة الفضيحة تفوح ، وكثرت الاقاويل عن علاقة مؤكدة بين الاثنين. وتميزت خطابات اورور الى زوجها فى تلك الفترة بالمغالاة العاطفية التى تنغمس فيها النساء الخاطئات نتيجة «شعورهن بالاثم» ! .. ثم حملت وولدت طفلة - سمتها سولانج - فى تاريخ لاحق بتسعة اشهر لفترة اقامتها فى باريس ! وصار مفهوما لاصدقاء ستيفان ان الطفلة طفلته .. أما الزوج المخدوع فقد اغرق أساه فى الخمر ، وازداد مذلة وتبلدا فى الذهن ، كما اكتشفت زوجته صلة آثمة بينه وبين مربية الطفلة ، ثم صلة ثانية مع خادمة لاحدى صديقات الاسـرة !

.. وعشيق جديد !

وذات يوم التقت أورور فى دار بعض الاصدقاء بفتى فى التاسعة عشرة يدعى «جول صاندو» ، كان يدرس القانون فى باريس وقد جاء ليقضى اجازته فى (نوهان) .. ووقع الشاب فى هواها ، واحبته هى بدورها حبا ملك عليها مشاعرها ، فمنحته نفسها !

وحين إنتهت فترة العطلة ورحل العاشق الشاب الى باريس احست اورور بفراغ ووحشة قاسيين ، وبدأت تداعب خيالها فكرة اللحاق به فى العاصمة !.. ثم قرنت الفكرة بالفعل فاعلنت زوجها بقرارها الحاسم الذى لا رجعة فيه : لقد اعتزمت ان تقضى نصف العام فقط فى نوهان .. ونصفه

الثانى فى باريس .. وبذلك تبقى على رباط الزوجية الزائف ، محافظة على المظاهر !

وحين حلت ساعة الرحيل المحتومة بكى الزوج كالطفل .. أما هى فكانت تحلم بباريس ، بالعودة الى أحضان فتاها الساحر «صاندو» .. انها ستبعث الى الحياة من جديد ، وستعيش فى الجو الذى طالما اشتاقت اليه : جو المجتمعات الباريسية والصالونات الادبية التى تسمو بالقيم الانسانية وتحلق بالذهن فى السماوات السابعة .. ستعيش فى باريس التى يعيش فيها «بلزاك» ويتنفس فيها «معبودها» هوجو !

وفى ٤ يناير سنة ١٨٣١ - وهى فى السابعة والعشرين - رحلت «مدام دوديفان» الى باريس .. الى الحياة البوهيمية الموعودة التى سنراها تخلع فيها شخصيتيها السابقتين : شخصية الفتاة «أورور دوبان» ، وشخصية الزوجة «مدام دوديفان» ، كى تتقمص شخصيتها الثالثة الخالدة : شخصية الاديبة والعاشقة والملهمة للعباقرة والعظماء : «جورج صاند» !

الشهرة .. والثراء

◆ وكان جول صاندو فى انتظارها فى العاصمة ، وقادها الى مسكن أعده لها . وسرعان ما جمع الاثنان حولهما « صالونا ادبيا » صغيرا من الشباب ، واحست أورور بالسعادة وسط أولئك الشبان الذين احبوها جميعا حبا متفاوت الدرجات .. ولكى تكون حرة فى الخروج الى حيث يروق لها ، واقتصادا فى نفقات الثياب ، ارتدت زى الرجال الذى ألفته من قبل فى غابات (نوهان) . وكان المبلغ الشهرى الذى يصلها من ضيعتها لا يكفيها لمواجهة نفقات الحياة فى باريس ، فاختارت الكتابة مهنة تحاول الارتزاق منها ، والتحقت محررة باحدى المجلات الصغيرة .. ولم تلبث أن الحقت حبيبها صاندو بالمجلة ، وصار الاثنان يشتركان فى كتابة مقالات يرسلانها الى مختلف المجلات ، حاملة توقيع صاندو وحده .. فقد كان عارا فى نظر « حماتها » البارونة أن تضع اسم الاسرة فى ذيل مقال أو على غلاف كتاب !

واشترك العاشقان فى تاليف أول قصة طويلة لهما ، وكان لأورور النصيب الاكبر فيها ، فلاقت عند نشرها رواجا شجع الاديبة الناشئة على الشروع فى كتابة قصة جديدة بمفردها .. فلما قرأها عشيقها وأعجبته ، أنف أن يضع اسمه عليها وهو لم يكتب فيها حرفا ، ومن هنا ابتكر صاندو لأورور اسما مستعارا محرفا من اسمه . هو « جورج صاند » !.. وحين نشرت الرواية اطراها النقاد أيما اطراء ، وتعاقد الناشرون مع صاند على وضع روايات جديدة دفعوا لها أجرها مقدما .. وهكذا وجدت نفسها فجأة غنية ومشهورة !

امرأة من نساء ألف ليلة وليلة !

◆ ولكن ، برغم أن الاحداث قد جاوزت أحلامها ، فان طعم الحياة فى فمها كان فى مرارة العلقم ! كانت قد بدات تضيق بعشيق لم يمنحها الشبع الجنسى ولا النشوة الناتجة من الاعجاب .. فصار جو التوتر بينهما يزداد كل يوم تكاثفا .. حتى عمدت صاند ذات يوم الى القطيعة ، وابتاعت لصاندو تذكرة السفر الى ايطاليا ، كى يسلو حبها !

والهمتها خيبة املها فى حبه قصة جديدة كتبتها واطلقت عليها « ليليا » ، وقد صورت نفسها فيها فى صورة امرأة متعطشة للحب ، ولكنها عاجزة مع هذا عن ذلك الضعف أو «المذلة» التى بغيرها لا يتحقق حب !

وفى تلك الآونة التى كان فيها قلبها خاويا ، وحياتها بلا طعم ، التقت ذات مساء فى مادبة عشاء بالشاعر الشاب « الفريد دى موسيه » - وكان يومئذ فى الثالثة والعشرين ، يصغرها بست سنوات - وبرغم ان اوساط باريس الادبية كانت قد بدات تلوك سيرته بالكثير من السوء ، من فرط انغماسه فى الخمر والافيون والعاهرات ، فانه كان ذا نفس شاعرية مرهفة افلحت فى اجتذابها .. فدعته الى بيتها ، حيث استقبلته فى زى جارية شرقية ، وجلست على وسادة عند قدميه تدخن سجاير مصرية !

ولم تمض أيام حتى كاشفها الشاب بهواه !.. لكنها ترددت ، حتى لمس وترها الحساس ذات مرة حين قال لها انه يحبها كالطفل ، وبكى .. فاستسلمت له

وصارا عشيقين .. ومضى موسيه ليعيش معها فى مسكنها !

والآن تستطيع ان تتابع القراءة :

حب سعيد .. لا تشوبه الالام !

◆ واطلق ذلك الســنة الحاسدين بحملة تشهير ضد العاشقين ، فكتبت صاند الى صديقها وناصحها الناقد المشهور «سانت بيف» هذه الرسالة تبريرا لموقفها : « لقد وقعت - جديا هذه المرة - فى حب الفريد دى موسيه. وليست هذه نزوة عابرة من نزواتى ، وانما هى عاطفة عميقة الجذور! وليس من طبعى أن اقطع على نفسى عهدا بمدى دوام هـذا الحب ، بالقياس الى العلاقات القدسية المأثورة عنك ، لكنى احببت مرة من قبل حبا استمر ستة اعوام ، ومرة اخرى ثلاثة اعوام ، ولست اعرف

قابليتى فى هذه المرة ومدى استمرارها .. ولقد رفضت فى البداية هذا الحب الجديد ، ثم استسلمت له ، وقد كوفئت الآن عليه بالسعادة .. وينبغى ان تعلم ان شعور الصداقة لا الحب هو الذى حفزنى فى البداية على الاستسلام ، ثم تطور الامر فيما بعد الى حب ، وحب خال من الآلام التى كنت اخشى ان تصحبه .. اننى سعيدة ، ولك ان ترفع الشكر لله من اجل ذلك ، نيابة عنى .. »

وكانت صادقة ، فقد صغرت فى مظهرها عشر سنوات ، واستردت فى صحبة هذا الطفل ـ كما كان يحلو لها ان تطلق عليه ـ ذلك المرح الذى كان طابع سنواتها الاولى مع صاندو .. وهكذا عاد مسكن شارع (كيه مالاكيه) يردد صدى الضحك والغناء.. وصار ألفريد يشدو بأشعاره العاطفية الخفيفة ، التى من لون هذه المقطوعة : « جورج فى مخدعها ، بين آنيتين من اوانى الزهر .. تدخن سيجارتها ، وقد سبحت عيناها فى دمع ضحكاتها .. »

وقد كانت الاسابيع الاولى لاقامة العاشقين معا مفعمة بالسحر والهناءة ، فى ذلك المسكن الذى يطل على منظر من اجمل مناظر العالم .. « ان حياتنا حياة حرية ، والفة عذبة وسكينة ، وآمال لا نهاية لها ! أواه يا الهى ، أى سبب يدعو البشر الى الشكوى ؟ أى شىء يمكن أن يكون أمتع من الحب ؟ »

على ان الخلافات بين اثنين يتقاسمان فراشا واحدا كان لابد أن تنشأ بالتدريج : كانت صاند بطبعها نظامية دقيقة ، ذات نزعة جدية فى عملها ، وكانت حريصة على ان تقدم قصتها التالية للناشر فى الموعد المتفق عليه ، فكانت تهب من فراشها فى منتصف الليل لتعمل، بينما ألفريد مستغرق فى نوم عميق.. فاذا استيقظ فى الصباح ألقت عليه درسا ـ كما كانت تفعل مع صاندو ، فقد كان طبعها أليق بناظرة المدرسة منه بالعاشقة ! ـ فكان موسيه يجيبها ضاحكا فى لهجة احتجاج

« لقد ظللت أعمل طوال اليوم، وفى نهاية النهار كنت قد أنتجت عشرة أسطر واستهلكت زجاجة من الكونياك » فى حين كانت هى من جانبها تجهز فى نفس الوقت على لتر من اللبن وتكتب نصف مجلد !

الراية السوداء !

◆ **وكان** بعض الاصدقاء يلقون على مسامع ألفريد بعض عبارات التحذير ، فيذكرونه بما حدث لسلفه صاندو ، قائلين : « تذكر .. ذلك الشاطىء الرملى المميت لنهر السين ، عند (كيبوف) ، حيث تخفق الاعلام السوداء فوق صوارى السفن الغارقة فى احضانه .. ان فى حياة هذه المراة علما اسود ، ينبىء عن صخرة خفية ! » .. لكن موسيه كان من طراز أولئك العشاق الذين يبحثون عن المخاطر ويمنحون قلوبهم طائعين للنساء اللواتى يعلمون انهن سوف يمزقنها شر تمزيق ! »

وفى شهر سبتمبر اقترح الشاعر على خليلته ان يذهبا الى (فونتنبلو) ليقضيا أياما بين غاباتها وصخورها ، فرحبت هى بالفكرة .. فقد كانت شغوفة بمزج الحب والطبيعة معا .. ولم تكن تخشى التعب ولا الظلام ، بل كانت تنطلق خلال الغابات وقد ارتدت ثياب الرجال ، تخطو على الممر الرملى فى عزم وقد جمعت بين رقة الانوثة وعبث الطفولة .. كانت تسير كالجندى ، وقد رفعت عقيرتها بالغناء .. وفى طريق العودة ، كانت تتكىء على ذراع رفيقها ، ويمضيان يثرثران بحديث ناعم لا معنى له ..

ومن المؤكد أن هذه العطلة كانت فى البداية هانئة ، فقد راح موسيه يردد ذكرها عندما ألمت به فترة الحسرات والندم .. ولكنها لم تستمر هانئة ، فقد وقع فى احدى الامسيات حادث أفسد أثره كل شىء .. كانا قد زارا احدى المقابر تحت ضوء

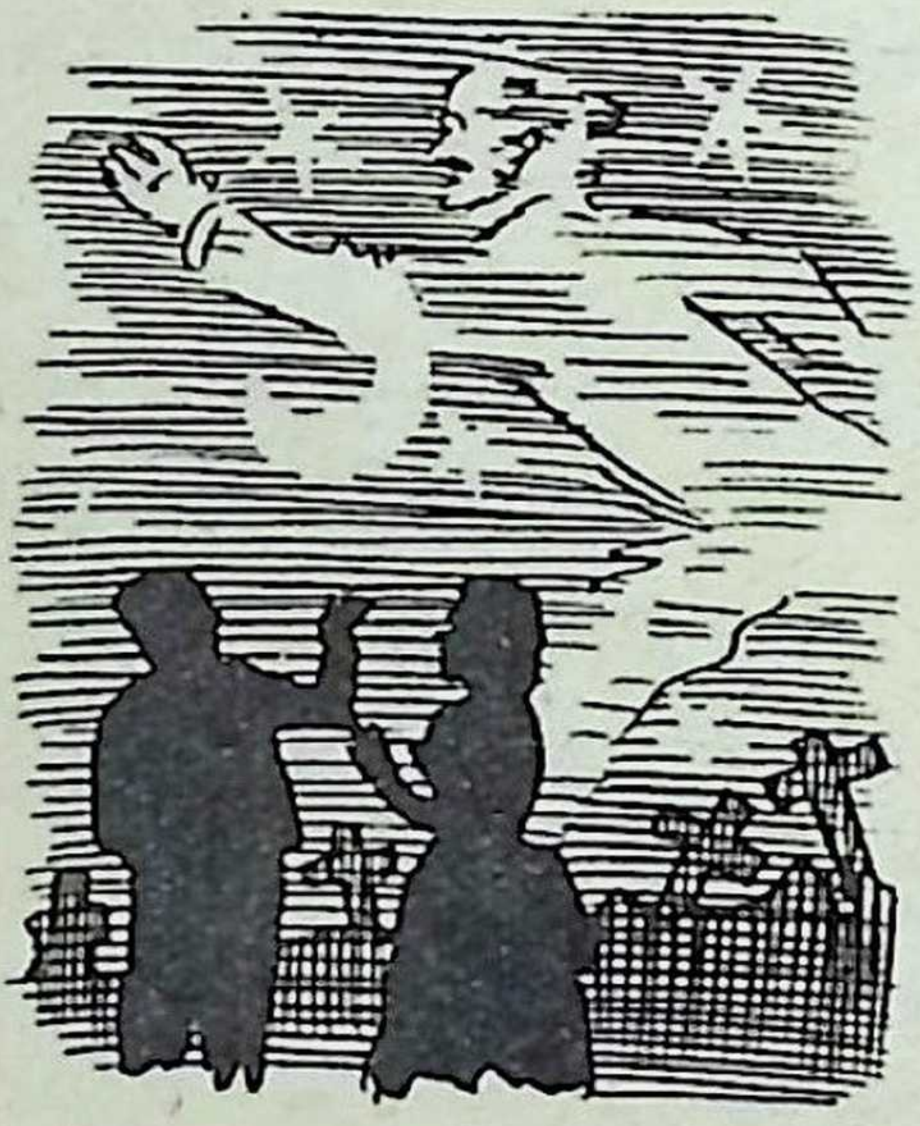

القمر ، وهناك ، وقع الفريد فجأة فريسة للهواجس والمخاوف التهوسية ، اذ خيل له أنه رأى شبحا شاحبا ، ذا ثياب ممزقة ، وشعر أشعث، يقفز فوق المروج ! ٠٠ وقد وصف ماحدث بقوله: «فتولانى الخوف ، وارتميت منبطحا على الارض ، اذ كان الرجل الذى رأيته ٠٠ أنا نفسى ! »

ولقد قيل ان «صاند» كانت مغالية فيما ذكرته عن نوبات موسيه التهوسية ٠٠ ولكنا نجد ـ الى جانب ما أورده موسيه نفسه من وصف لهذه النوبات فى قصيدة « ليلة ديسمبر » ـ دليلا عليها لا يمارى فى خطاب كتبته « لويز ألان ديبريو » ـ الممثلة التى صارت خليلة له بعد ستة عشر عاما ـ وقد روت فيه لصديقة لها ما يعزز قصة هذه النوبات ٠٠

هى القوية ٠٠ وهو الضعيف !

◆ **والواقع** أن جورج صاند وجدت نفسها ازاء رجل مزدوج الشخصية ٠٠ فهو رجل كريم ، رقيق ، ساذج ، يفيض ذكاء وذوقا ، فنان بكل مافى الكلمة من معنى ٠٠ لكنه اذا تملكته النوبات ، انقلب الى شخصية عجيبة متناقضة ٠٠ الى شيطان مارد ، ضعيف ، عنيف ، فظ ، صلب العناد ، متناهى الانانية ، كافر ، يشعر بلذة جامحة للشر ! ٠٠ **وما جعلها تظل على ارتباط به سوى ما فطرت عليه من ضعف لم تكن تملك مقاومته ٠٠ وقد عرف هو فيها ذلك ، فكان يستغل رقة شعورها بأن يغالى فى وصف ضعفه ، ومسكنته ، فى لهجة تفيض بالاخلاص والرثاء**

لنفسه ٠٠ حتى اذا لانت لهذه الادلة التى يقدمها على ضعفه ، استرد من قواه ما يمكنه من ايلامها وايلام نفسه ! ٠٠ فقد كان الالم ضرورة لابد له منها كى يمضى فى العمل ، أو يستمرئ اللهو ، على السواء !٠٠ وكانت صاند طيلة الوقت تحنو عليه حنو الدجاجة على صغارها ٠٠ فهى تناديه « يا طفلى المسكين » ، وهو يناديها « ياحبيبتى جورج الكبيرة العظيمة » !

وهكذا كانت هى فى هذه المرة أيضا ٠٠ رجل الاسرة !

الرحلة المشؤومة ٠٠ الى ايطاليا

◆ **وكانا** يتوقان الى زيارة ايطاليا : أما موسيه فلانه تغنى بها فى شعره قبل أن يراها ٠٠ وأما هى فكانت ترجو أن يبعث تغيير المناظر فى نفسها الهاما أدبيا خفيا ٠٠ فحزمت جرأتها وسعت الى أم ألفريد لتقنعها بأن تأتمنها عليه ، واعدة بأن ترعاه فى حنان الام ، وعلى ذلك وافقت السيدة العجوز على الرحلة ٠٠

وبدءا رحلتهما فى ديسمبر سنة ١٨٣٣ ٠٠ وكانت جورج ترتدى «بنطلونا» و «طاقية» وتسرف فى الضحك ٠٠ على أن رحلتهما لم تظل مرحة الى النهاية ، فقد كانت العربة التى أقلتهما الى « ليون » تحمل الرقم ١٣ ، وقد اصطدمت بأحد الاعمدة وكادت تدهم أحد الذين يعملون فى نقل الماء ٠٠ غير أن العاشقين استخفا بشياطين الشر استخفافهما بآلهة الخير !٠٠ وفى المرحلة البحرية من الرحلة ، من مرسيليا الى جنوا ، أصيب موسيه بدوار البحر ٠٠ وكان يجلس متدثرا ، منكمشا ، بينما كانت جورج تدس يديها فى جيبى بنطلونها وتقف تتأمله فى استعلاء ، وسيجارتها بين شفتيها ! ـ وكان ألفريد يغتاظ من استرجال عشيقته ، ويشكو من استعلائها ، وتحفظها ، وبرودها !

ولكن ما كانت أية رحلة لتشغل صاند عن المضى فى العمل ،

مهما كان الجو العاطفى الذى يتوفر فيها ٠٠ لذلك انصرفت خلال هذه الرحلة الى استكمال رواية كانت تؤلفها ، وكانت - فى جنوا وفلورنسا - تعمل ثمانى ساعات فى كل يوم ، فاذا لم تكتب المعدل الذى قدرته لانتاجها أغلقت الباب عليها لتمضى قدما ٠٠ واذا ما احتج حبيبها أهابت به أن يقتدى بها !٠٠ واذا كان المثل يقول ان الرجل المحظوظ هو الذى يجد المرأة التى لا تحجم عن أن ترى فيه حظها ونصيبها ، الا أن صاند كانت تفرق بين حظها وحبها !٠٠ فكان أن ازدادت أخلاق موسيه شراسة لما كان يلقى من عشيقته من هوان ومعاملة ضاقت بها نفسه ، فراح يدعوها : « الملل المجسم ٠٠ والحالمة ٠٠ والغبية ٠٠ والراهبة » ٠٠ وكان يعتب عليها أنها « لم تعرف قط كيف توفر له متع الحب ومسراته » ٠٠ ويبدو أن هذه الحملة أصابت من صاند مقتلا ، فراحت ترد التهمة عن نفسها بكل مرارة كبريائها وقلبها الجريحين ، فكانت تقول له : « لكم يرضينى أن أعرف أن هذه المتع أكثر اتزانا وأقل ظهورا مما تستطيع أن تجد عند سواى ٠٠ حتى اذا ما ارتميت يوما فى أحضان غيرى من النساء فلن تفسد عليك نشوتك ذكرياتى ! »

على أن هذا «المنطق» لم يكن يسرى عن أى منهما ٠٠ حتى اذا كانا فى جنوا ، انتابت «صاند» حمى ٠٠ **ولما كانت النزوات لا تنسجم مع المرض ، فقد أقصى موسيه نفسه عن مخدع المريضة ، وانطلق وراء النساء والخمر !٠٠ كان قد ضاق بما اعتادت جورج أن تسميه « الحب الرزين » وتاقت كل جارحة فى كيانه الى الاندفاع الاهوج الذى ألفه فى الايام السالفة ٠٠ وأخذ يجنح الى المغالطات ، فيبرر لنفسه مسلكه بقوله ان « الفنان لاينبغى أن يكون عبدا »** ٠٠ والمرأة التى تملك ناصية نفسها وتسيطر عليها خليقة بأن تدخل الهم على عشاقها ، اذ تظل على رزانتها وتمالكها لنفسها فى الوقت الذى يسعى فيه

الرجل الى أن ينسى نفسه فى غمرات عواطفه المشبوبة ، ويقهر كل احتشام فى المرأة، ليحولها من انسان ذى عقل الى مجرد «شىء» .. وقد كانت صاند تضايق عشاقها لانها كانت دائما تحتفظ بوعيها وسيطرتها على نفسها !

تحطيم قلب !

◆ **وكانت** الطبيعة فى حداد حين بلغا البندقية .. كان الليل قد هبط ، وبدت زوارق «الجندول» فى الظلام أشبه بالتوابيت !.. ولمحت صاند القمر يشرق لحظة واحدة ، كئيبا ، محتقنا ، فرأت على شعاعه كاتدرائية سانت مارك بقبابها الذهبية ، وقصر الدوق بأحجاره ذات النقوش العربية ، وأبراج الاجراس فيه .. وما كان المنظر بالخارق للمألوف ، ولكنه الحب الذى يضفى على المناظر والمدن سحرا وفتنة !

وفى ذلك المساء ، قال موسيه لعشيقته فى فندق « دانييلى » الذى نزلا فيه : « لقد كنت مخطئا فيما توهمت عن مشاعرى يا جورج ، انى لأسألك الصفح ، ولكننى فى الواقع .. لا أحبك ! »

وأحست بمذلة مدمرة ، بحيث ماكانت لتحجم عن الرحيل لتوها لولا أن صحتها لم تكن تساعدها ، ولولا نفحة من الضمير جعلتها تربأ بنفسها أن تترك رجلا هو أقرب الى الطفل : وحيدا ، معدما ، فى الغربة !.. وقد وصفت هذه الفترة له فيما بعد بقولها : « لقد ظل الباب الموصل بين حجرتينا موصدا من ذلك الحين .. ولقد حاولنا أن نعود بنفسينا الى عهد الصداقة الصريحة .. ولكن هذا كان مستحيلا ، فقد كنت ملولا ضجرا ، وما كنت لأدرى ما كنت تفعل بنفسك فى الامسيات .. »

وليس من العسير أن نحدس ماكان يفعل فى تلك الامسيات! .. كان قد هجرها ، لانه مل – فى البداية – اصرارها على أن تعامله كطفل ، لا تكف عن ردعه ونصحه .. ثم لاشمئزازه اذ

كانت مصابة بديسنطاريا مستفحلة ٠٠ لذلك أطلق لنفسه العنان وراء المباذل التى كان يلفها فى خيال شاعرى ، فأقبل على ارتياد أحياء البندقية الوضيعة بمستنقعاتها الآسنة ٠٠ وعلى تعاطى ألوان غريبة من المسكرات القوية ٠٠ وأخذ يسعى الى قبلات وعناق فتيات المراقص والحانات ٠٠ والواقع أن جورج كانت قد قضت عليه بأن يمارس حياة عفيفة طاهرة ، نتيجة مرضها وعنادها ، فولى وجهه شطر غيرها من النساء !٠٠ وما قدر لها قط أن تنسى تلك الساعات الطوال التى كانت تقضيها فى انتظاره ، وقد اضطجعت مرهفة سمعها الى رشاش الماء فى الشارع ، ووقع أقدام رجال الشرطة على الرصيف ، وصراخ الجرذان المتسللة من الحقول الى حافة الطريق ٠٠ وما الى ذلك من أصوات كانت تخرق سكون ليالى البندقية ٠٠

طب الاجسام ٠٠ وطب القلوب !

◆ **وذات** صباح عاد ملطخا بالدماء ، نتيجة عراك طارىء ، فما لبث أن انتابته نوبة رهيبة ــ لعلها جاءت نتيجة حمى مخية ، أو حمى تيفويد ــ وكيفما كان سببها ، فان منظره خلالها كان يبدو مرعبا ٠٠ وتولى صاند الخوف من أن يقتل الفتى نفسه أو يموت نتيجة مرضه فى الغربة ٠٠ وأزعجتها المسئولية ، والخاتمة الفظيعة المرتقبة للرحلة ، فاستدعت طبيبا شابا يدعى « باجيللو » كان قد عنى بها قبل ذلك ٠٠

ولقد ثارت مجادلات حامية ، ووضعت كتب فى صف موسيه ، وكتب تدافع عن صاند ٠٠ وصدرت مجلدات ومجلدات لمحاولة اثبات أن صاند وباجيللو قد استسلما لتيار الهوى الى جوار فراش المريض !٠٠ ولعل خير تعليق منصف فى هذا الصدد هو أن كلا من دى موسيه وصاند قد أذنب فى حق الآخر وخانه ٠٠ وان كلاهما كان موغر الصدر !٠٠ وقد قالت صاند فيما بعد تسائل موسيه : « بأى حق تسألنى عما حدث فى

البندقية ؟ ٠٠ اترانى كنت لك ونحن هناك ؟ » ٠٠ واذا كان العرف الخلقى يحتم على المرأة أن لا تكون لأكثر من رجل واحد ، فان موسيه كان قد كف عن أن يتخذها خليلة ، فرأت بذلك أنها حرة فى حبها ٠٠ وقد أقر بنفسه أنه كان يستحق أن يفقدها ٠٠ غير أنه لم يلبث أن هون من شأن تصرفاته ، وتملكته أنانية الرجال فرأى أن المرأة التى لم يف لها كانت خليقة بأن تظل وفية له !

على أنه مهما يكن من أمر الصلة التى فاحت رائحتها بين صاند والدكتور باجيللو ، فان الحقيقة التى لا يتطرق اليها شك هى أن الاثنين قد توفرا على رعاية موسيه بكل تفان واخلاص خلال نوبات الهذيان والجنون التى لازمته طيلة ثلاثة أسابيع ٠٠

دفاع عن صاند

أما لماذا سمحت صاند لنفسها بأن تشتهى باجيللو ، فمسألة معقدة ٠٠ ولكن أغلب الظن أنها كانت ـ أولا ـ تتشبث بالامل فى أن تجد عنده الحب المطلق الذى يرضى الذهن والبدن معا ، وهذا الامل هو الذى كان يجعلها تتطلع الى كل شاب ـ طالما كان صغيرا ، وقويا ، وذا شخصية متزنة ـ عسى أن يحل المشكلات التى كانت تعيى بطلة قصتها « ليليا » ـ أو تعييها هى فى الحقيقة !٠٠ ثم انها كانت وحيدة ، وفى غربة لا يحيط بها فيها سوى أغراب أجانب ، وفى رعايتها « طفل » نصف مجنون ، فكانت فى حاجة الى عون أدبى ومعنوى ـ وهى حالة تختلط فى لحظات الضيق والقلق بالحب فتتخذ مظهره !٠٠ ثم أنها كانت من ناحية ثالثة ترجو أن تلم بالبندقية وايطاليا تأهبا لما تعتزم أن تكتبه فى المستقبل من روايات ، وكل فنان يعرف أن الحب وحده هو المفتاح الى انشاء علاقات « من لحم ودم » مع أية أمة أو جنس غريب !٠٠

وكان باجيللو وصاند مرغمين على أن يقضيا ليالى طوالا الى جوار مريض مستغرق أما فى النوم أو الهذيان الناتج من الحمى

والشعور المشترك بالقلق والواجب ينتهى غالبا الى انشاء رابطة بين الجنسين ٠٠ ثم ان الارهاق البدنى يغرى على الاستسلام٠٠ ولقد استولى على باجيللو الاعجاب بالاجنبية الحسناء ، فراح يحدق فيها فى وله ورغبة ، ولكنه كان يفتقد الجرأة الكافية كى يطمع فيها ٠٠ سيماوانها كانت كاتبة ذائعة الصيت ، فى حين لم يكن هو غير طبيب فقير ناشىء ٠٠ كما انه كان على اتصال بخليلة تغنيه عن اراقة ماء وجهه فى محاولة استمالة صائد ٠٠ وفوق ذلك كان لهذه عشيق جاءت فى رفقته من باريس الى البندقية ٠٠ وأخيرا كان هناك واجب الطبيب المحتوم نحو مريضه ٠٠ الخ ٠٠ وهكذا كان الموقف مشكلة معقدة بالنسبة لضمير الشاب الساذج الذى لم يتجاوز السادسة والعشرين !

مفاتحة لبقة بالحب !

ولكن٠٠فى ذات مساء رغب موسيه فى الاخلاد للنوم والراحة، فسألهما أن يخرجا من الغرفة٠٠ فجلسا فى الردهة بالقرب من المدفأة ٠٠ واذ ذاك وجه الطبيب الى جورج سؤالا بريئا : « هل تعدين العدة لكتابة قصة جديدة تدور حوادثها فى مدينتنا الجميلة ؟ »

فأجابته : « من يدرى ؟ » ٠٠ ثم تناولت ورقا ، وراحت تكتب فى سرعة عجيبة ، حتى اذا انتهت ، وضعت الاوراق فى ظرف وأسلمته الى الطبيب ٠٠ فقرأ على ظهر الظرف : «الى باجيللو الغبى»٠٠ فلما آب الى داره ، قرأ الرسالة العاطفية التى لم تكن سوى اعتراف بالحب صاغته فى أسلوب أجمل من أى أسلوب سجلته على ألسنة أبطال قصصها الخياليين٠٠ وكانت الرسالة تتألف من سلسلة من الاسئلة الجريئة المكشوفة وقد أشار موسيه فيما بعد الى هذه التحفة الادبية فى أكثر من مناسبة ، فى لياليه ومسرحياته ، وكان مما جاء فى الرسالة :

« اتراك ستصبح سيدى ومولاى ، ام عبدى ؟٠٠ هل تسرى عنى العذاب الذى ذقته قبل ان القاك ؟٠٠ هل اوتيت صبرا ووجدا وودا ؟٠٠ اتراك لشات على

ان النساء لم يؤتين قلوبا ونفوسا ؟٠٠ أو تبينت أن هذا صحيح ؟٠٠ هل أغدو زميلتك أم جاريتك ؟ ٠٠ ما شعورك نحوى ٠٠ أهو حب أم شهوة ؟٠٠ عندما ترضى عاطفتك المتقدة هل ستشكرنى ؟٠٠ اذا أسعدتك فهل تعرف كيف تنبئنى بذلك ؟٠٠ هل لديك فكرة عن رغبة القلب التى لا يطفئها عناق آدمى أو يوهنها ؟ ٠٠ عندما تنام عشيقتك فى أحضانك ، أتظل يقظا تتأملها وتناجى الله وتبكى ؟٠٠ هل تخلفك ملذات الحب لاهثا ، مذهولا ، أو أنها تنقلك الى نشوة قدسية ؟٠٠ هل تدوم خفقات قلبك أكثر من توتر أعصابك اذا ما انفصلت عن محبوبتك؟٠٠ اننى أجد فى صمتك لباقة ٠٠٠ وعندما تحملق فى بحنان ، سأعتقد أن قلبك يحدث قلبى ٠٠ فلنبق هكذا ٠٠ ولا تتعلم لغتى ٠٠ أود أن أبقى جاهلة شانك فى الحياة ، ودورك بين اقرانك ٠٠ بل أود أن لا اعرف ، حتى اسمك ٠٠ اخف قلبك عنى ، لاظل أخاله جميلا٠٠»

يعجز عن المقاومة !

◆ **ودوى** هذا الاعتراف فى جو الصمت الواله الذى كان مسيطرا على باجيللو دوى الرعد القاصف ، فاذا به يشعر ان الفوز الذى ظفر به قد غلبه٠٠ وذعر لمجرد التفكير فى الفضيحة التى قد تحيق به لو درت البندقية بهذا الامر ٠٠ ولكنه لم يقو على الاغراء وسحره، فلم تلبث صاند أن صارت عشيقته !

ترى ماذا رأى موسيه أو الى أى حد درى بما كان يجرى ؟٠٠ كان يعانى من حمى مخية تسلمه معظم الوقت الى الهذيان ٠٠ ولكن ثمة ساعات من الصفو والوعى كانت تمر به، يرى فى خلالها امرأة تلتصق برجل ، وشفاها تتعانق فى قبلة٠٠ وكان يضحك ـ فيما بعد ـ للهياج الذى تولاه لما كان يرى ! ٠٠ وذكر شقيقه بول ان ألفريد وجد جورج مرة تكتب رسالة ،

فاتهمها بمراسلة باجيللو ، ولكنها نفت ذلك ، وهددته بأن تزج به فى مصح للامراض العقلية ، ثم مزقت الخطاب وألقت به من النافذة ٠٠ ولكنها تسللت عند الفجر فى قميص النوم تجمع القصاصات ! ٠٠على أن أحدا لا يستطيع ان يجزم ان كانت هذه مجرد أوهام أو حقيقة٠٠الشىء الوحيد الذى يمكن تأكيده ، هو ان ظهور باجيللو خلق عالما أحس موسيه ان لا مكان له فيه، وان صاند انتصرت فى النهاية واستطاعت أن تقصيه ٠٠ وان تنتقم لما ذكره عنها كعشيقة ، وان تثيره الى درجة الغيرة ٠٠ والغيرة توقظ الحب النائم ٠٠

ولقد فطن موسيه الى أن جورج أحبت باجيللو ، ولكن الشىء الذى لم يعرفه هو هل أسلمت جورج نفسها الى الطبيب قبل ان يغادر موسيه البندقية ؟ ٠٠ هذا ما لم يتح له أن يعرفه وما رفضت أن تجيبه عنه فى دقة ٠٠ متمسكة بأن هذا سرها، وانها لا ترى داعيا لاطلاعه عليه ما دامت لم تعد عشيقة له ٠٠

فى سبيل الحب !

◆ وفى نهاية مارس ، كف موسيه وجورج عن أن يتشاطرا المسكن ٠٠ اذ رحل موسيه الى باريس فى ٢٩ مارس وهو يغالب أساه المربر ويتجلد ٠٠ ولقد رافقته جورج فى بعض الطريق ، وودعته فى حنان أموى ، ثم عادت الى البندقية وليس فى جيبها سوى سبعة سنتيمات ، فاستقرت مع باجيللو فى مسكن صغير ٠٠

وقضت فى البندقية خمسة شهور ، أتمت خلالها رواية « جاك » ، وبعثت بها الى موسيه مع رسالة مقتضبة كتبت فيها بالقلم الرصاص « من جورج الى الفريد » كما كتبت أولى « رسائل رحالة » وبعض مذكرات تمهيدية اعتزمت ان تنسج حولها قصصها الايطالية ٠٠ وفى لحظات فراغها كانت تقبل بمثل نشاطها المعهود فى التأليف ، على التطريز والوشى لاعداد مفارش وأغطية لاثاث عشها الايطالى !

وانغمس باجيللو فى العشق ٠٠ وحاولت عشيقاته من بنات البندقية ان يستردنه ٠٠ وتدخل اخوه وراح يلقب الفرنسية الشاحبة بـ «السردينة» ! ولكن الشاب كان يحبها ٠٠ وكانت جولاته لعيادة مرضاه تتيح لها الساعات

الثمانى التى كانت تخصصها للعمل ، فكانت فرصة تفرغها هذا للعمل من اسباب بقائها على حب عشيقها الجديد !

على أن هناء هذا الهوى لم يطل ٠٠ اذ لم تكد جورج وموسيه يفترقان ، حتى بدأ الندم يداخلهما ٠٠ فكتبت اليه تقول : **«من ذى التى ستعنى بك ٠٠ ومن لى يعنى بى ؟ ٠٠ من ذا الذى يحتاج الى الآن ، ومن ذا الذى ساقوم بعد اليوم على رعايته ؟ ٠٠ وداعا ياعصفورى الصغير ٠٠ وفكر فى اشفاق فى صديقتك الحميمة: جورج »**

وكذلك موسيه ، لم يكد ينأى عن لومها ولسانها اللاذع حتى ندم على الصديقة التى فقدها ، وكتب اليها يقول انه « ما زال » ـ بكل ما فى التعبير من معنى ـ يحبها ! ٠ بل انه آل على نفسه مخلصا ان يلعب دور المنصف الذى ينكر نفسه ، ويمتدح لها غريمه ٠٠ ثم ختم رسالته مشيرا الى باجيللو : «٠٠ كلما خطر ببالى أغرورقت عيناى بالدموع ٠٠»

٠٠ وانتهيا الى أن اتفقا على أن لا ينحى أحدهما على الاخر باللائمة ويحمله وزر ما حدث ٠٠ بل أجمعا على أن طباعهما الحامية ، وواجباتهما كفنانين ، حالت بينهما وبين أن يعيشا كما يعيش العشاق العاديون ٠٠

وظلا وفيين ، كل للآخر ٠٠ وكان هو يؤدى لها المهام التى تعوزها فى باريس ، وقد طوى جوانحه على أساه ولوعته وقلبه الجريح ٠٠ **وذات مرة ذهب الى دارها فى باريس ، فوقع بصره على سيجارة تركتها قبل رحيلها ، فطفق يبكى ، وهو يستشعر للدموع لذة ٠٠ وكتب يقول لها : « لست افتقد الحبيبة ، وانما افتقد ٠٠ جورج الصديقة ! »**

العذاب ٠٠ جواز المرور الى قلبها !

◆ **ووجد** باريس قد اطلقت لسانها تخوض فى سيرة صاند حين رجع ، فبادر ـ فى نشوة النسيان ـ يدبر خطة للدفاع عنها ٠٠ وعزم على أن يكتب قصتهما ، قائلا لها بصدد ذلك فى احدى رسائله : « ان العمل فى هذا شفاء لى ، واذكاء لروحى ٠٠ اننى أهفو لان أبنى منبرا لك ، من عظامى اذا دعت الضرورة ٠٠ وخليق بك أن تشعرى بالفخر يا عظيمتى جورج الشجاعة ، لانك التقطتنى طفلا فجعلت منى رجلا ! » ٠٠ وكان هذا حقا ٠٠ ومن خطاباته لها وخطاباتها له ، اقتبس فقرات بأكملها فى روايته المسرحية التى كان يكتبها

ولكنه كان فى الوقت ذاته يزداد عذابا وضنى ٠٠ وكان يبعث اليها بصيحات قلبه الملتاع ، فاذا قلب جورج يستجيب له من جديد فى النهاية ٠٠ والواقع أن باجيللو كان فتى طيبا ، ولكنه لم يكن يتعذب فى هواها ٠٠ فى حين كانت هى فى حاجة الى معذب تبذل له حنان الامومة الجامح فى فؤادها٠٠

حتى لقد كتبت الى موسيه تقول : **«اواه .. لماذا .. لماذا لا استطيع العيش معكما سويا ، اسعد كلا منكما ، دون ان اكون ملكا لاى منكما ؟ .. اننى استطيع ذلك ، فقد عشت عشر سنوات على هذا الوضع .. »**

واخيرا .. بدأت فى يوليو سنة ١٨٣٤ تفكر فى العودة الى فرنسا ! .. وكانت قد فرغت من روايتها ، واستوعبت من البندقية كل الهام ، وأنفقت كل مالها الا نذرا يسيرا .. كما انها لم تكن قد رأت أطفالها ثمانى شهور كاملة .. وتاقت الى أن تقضى الخريف فى « نوهان » .. ولم يشغلها سوى أمر باجيللو .. أتصحبه معها ؟ .. بل لقد دفعه الحب الى أن يشفق أن يدعها تقوم بالرحلة وحدها ، فكتب الى أبيه يقول : **« اننى ادخل فى المرحلة الاخيرة من مراحل جنونى .. غدا ارحل الى باريس .. وهناك سافترق عن صاند »** .. وكان حزينا للفراق المنتظر .. وسعيدا لان أسرته ستهنأ بذلك ، ولانه سيتحرر من أعباء الخطيئة الكبرى ..

الرأى العام يوليها ظهره !

◆ **واستقبلت** صاند فى باريس ثلاث مشكلات عويصة ، متباينة : أولها ان الرأى العام كان قد تأثر بما أطلقوه عنها من فضائح ، فراح يوليها ظهره، وأخذ الناس يعرضون عنها .. لا سيما حين رأوا « باجيللو » وتبينوا انه مجرد طبيب مغمور ، لا عظيم من علية الايطاليين ، فاحنقهم أن تـؤثره على شاعرهم موسيه !

وكانت مشكلتها الثانية مع باجيللو نفسه ، فلقد ودت أن تعامله فى حنان وسخاء ، وقدمته الى عدة أطباء ، والى عدد من المستشفيات .. وساعدته فى الحصول على مال دون أن تخدش شعوره ، بان أوعزت اليه أن يحمل معه من البندقية صورا لا قيمة لها ، ثم أوهمته بانها باعتها ، وبذلك استطاعت أن تقدم له تباعا حوالى ألف وخمسمائة من الفرنكات !

غير أن باجيللو ما لبث ان استسلم للغيرة تعصف به .. لا سيما حين رأى علاقتها مع موسيه تعود الى الازدهار .. وكان موسيه يأبى ان يعترف بأن غرامه عاد يستعر ، سيما بعد أن زعمت له ـ كاذبة ـ انها تهوى فتاها الايطالى .. فرحل الى « بادن » كى ينسى هواه ويسلوه ! ورحلت جورج بعد اربعة أيام الى « نوهان » .. وابى باجيللو الا أن يبقى فى باريس ليتردد على المستشفيات .. واجتمعت جورج فى « نوهان » باسرتها ، وأهلها ، ومعارفها الاقدمين .. وهناك ، خلت الى قلبها ، **فاذا حب رجليها يحيرها ! .. واذا العاطفتان تتنازعانها ، حتى لقد فكرت فى الانتحار ، لولا ان اشفقت على اولادها !**

والتهمت كثيرا من الكتب خلال شهر سبتمبر سنة ١٨٣٤ ٠٠ ولكنها كانت أكثر اقبالا وشراهة على قراءة خطابات موسيه المشبوبة العاطفة ، ذات العبارات الوالهة التى رددها فى « ليالية » : « **قولى انك تهبيننى شفتيك، و اسنانك، وشعرك ٠٠ أجل ، كلها ، وذلك الرأس الذى طالما احتويته بين راحتى ٠٠ آه٠٠ من الفظيع أن أموت ٠٠ من الفظيع أن احب كما احب ! ٠٠ ما أظمانى ياجورج ٠٠ ما أحر ظمأى اليك** » ٠٠ كانت الغيرة التى راحت تكويه فى « بادن » غيرة صادقة ٠٠ وكانت جورج تلجأ الى الغابة لتكتب اليه مسرية ، مواسية٠٠وكانت فى الوقت نفسه تشفق على باجيللو هو الآخر من الغيرة ٠٠ ولكن قلبها لم يعد يتردد بين العشيقين ، فان خطابات الشاعر الرائعة فعلت المعجزات ، لا سيما وان خطابات الايطالى كانت مليئة بالوساوس والكلمات الجارحة ٠٠ حتى لقد بدأت تشكو قسوته وجفاءه لموسيه !

وفى ١٥ سبتمبر ، كتب اليها موسيه يفاجئها بتأهبه للعودة الى باريس ، ويقول لها : « **اذا كان ابن البندقية يعانى ، فدعيه يتعذب ٠٠ لقد علمنى الفنى، وها أنذا أرد اليه الدين بنفس العملة ٠٠** »

وبادرت جورج بالعودة الى باريس لتمهد الامر لباجيللو قبل أن تضحى به ٠٠ وما كان الشاب بحاجة الى تلطف ، فلقد وقر فى نفسه مذ بارح البندقية ان لابد للمغامرة من أن تنتهى الى هذه الخاتمة ٠٠ وكان قد وجد من أطباء فرنسا كل عطف ورعاية ، وبدأت الحياة تبدو له — فى غياب عشيقته — حلوة، ناعمة ٠٠ فكتب فى مذكراته يقول : « وتم فراقنا فى هدوء ٠٠ صافحتها ، ولكنى لم أقو على التطلع اليها ٠٠ وبدت حائرة ٠٠ ولست أدرى ان كانت تتألم وتعانى ٠٠ ولكن وجودى كان يربكها ويحرجها ٠٠ »

وخرج باجيللو من حياتها ، وعاد الى بلاده ٠٠

الغيرة من المــــاضى !

◆ وخلا الجو لجورج وموسيه ، فلم يكادا يلتقيان ، حتى استانفا حياتهما كعاشقين ٠٠ وكان الوجد قد حرق الشاعر بناره ، بينما لطف الفراق من طباعها هى وألان عواطفها ! ٠٠ **وكان موسيه قد وعد بان ينسى الماضى ، ولكنه لم يقو ، بل راح يلاحق جورج باسئلته عن علاقتها بالطبيب الايطالى ! ٠٠ لكنها أصرت على أن لا تجيب ، فاذا بالرغبة فى معرفة اسوأ ما فى الامر تستبد به٠٠ واعترضت حياتهما نوبات من الخلاف المحتدم ، والغيرة ، يعقبها الندم والاستغفار ٠٠ فاما غفرت له فاحاطها بحنانه ونعم بحنانها ، واما تصدت له ، فمرض ٠٠ وكم من مرة راحت تمرضه ، فى دار أمه !**

ولم تدم سعادتهما طويلا ، فما لبثت الامور ان عادت الى ما كانت عليه من قبل ٠٠ وتبينت صاند أن غرامهما ميئوس منه ، فكتبت تقول : « اننا

ـ انت وانا ـ نعبث ، ولكن حياتينا وقلبينا فى مهب الخطر ، وليست هذه اللعبة بالتسلية المستعذبة كما تلوح » ·· واقترحت عليه أن ينتحرا ، ولكنها لم تكن جادة ·· حتى اذا رأت أن لا جدوى من المكابرة ، آثرت أن تضرب بينها وبينه فرقة ·· ورحلت الى نوهان !

ندم ·· وجـــوع !

وبدا اذ ذاك موقف حافل بالمتناقضات التى يحفل بها الخيال الروائى ·· ذلك ان المرء فطر على ان يزهد فى الشىء الذى فى متناوله ، وان يمضى وراء ما يتعذر حصوله عليه ! ·· فما ان تبينت صاند ان موسيه راغب فى القطيعة حتى كفت عن الضرب على هذا الوتر ، وبادرت بالرحيل الى باريس وقد طعنت فى الصميم من كبريائها ، وراحت تسعى لرؤيته !·· ولكن موسيه تمسك بالصمت والاعراض ، يذكى عزيمته طائفة من الاصدقاء على رأسهم « الفريد تاتيه » ·· ولم تنثن صاند عن سعيها ·· وكانت تكتب فى يومياتها الخاصة تقول : « **ماذا لو هرعت اليه فى فورة الحب وشدته ، فرحت أدق جرس بابه حتى يفتح لى ؟ ·· ماذا لو ارتميت على عتبة داره ؟ ·· ماذا لو قلت له : انك ما زلت تحبنى، وقد تالم من ادراك ذلك ، وقد تخجل اذ تجده صحيحا، ولكنك ترثى لى لدرجة لا تدعك تجحد حبى ·· انك تعرف تماما اننى أحبك ، ولا أقوى على حب سواك ·· خذنى بين ذراعيك دون ما كلمة ·· لا تقل سوى بضع عبارات ناعمة ، ثم ضمنى اليك ، فانك لا تزال حتى الآن تدرك اننى جميلة ·· ثم ·· اذا ما بدأ احساسك يهن ، ويعاودك الضيق ، اقصنى عنك ، وأسىء معاملتى ، ولكن··ولكن لا تلفظ قط تلك العبارة الرهيبة : « هذه هى المرة الاخيرة » ! ·· لسوف أتعذب طالما شئت أن أتعذب ·· ولكن ، دعنى احيانا أسعى اليك لانال ضمة ،وقبلة ـ ولو مرة فى الاسبوع ـ فاسوف يعيننى ذلك على الحياة ، ولسوف يهبنى قوة ·· »**

وعادت تكتب اليه : « أيتها العينان الزرقاوان اللتان لن تعودا الى التطلع الى ·· أيها الوجه الابيض الجميل الذى لن أراه ثانية يحنو على فى بحران الوجد ·· أيها الجسد العزيز الدافىء ·· وداعا لكل هذه التى كانت لى يوما ! ·· لسوف أعمد كلما شعرت بوقدة النار فى بهيم الليل الى احتضان الاشجار والصخور فى أعماق الغابة ، وأنا أصرخ باسمك ، حتى اذا انتشيت باللذة فى الاحلام ، ارتميت على الارض الرطبة ، فاقدة الوعى ·· »

اقرأ الفصل التالى فى « كتابى » القادم

نحن فى ركب الأدب

ظهر فى المكتبة العربية

عزيزى القارىء ...

هذا باب جديد احسبه قد طاف بخيالك منذ زمن .. ففى كل شهر تخرج المكتبة العربية عشرات من الكتب، لعشرات المؤلفين ، فى شتى الموضوعات .. وانت حائر لا تدرى ايها تقرأ وايها تدع - فان وقتك لن يتسع لقراءتها جميعا ولا شك ، ومن العسير عليك أن تعرف مايوافق ذوقك من المطبوعات من مجرد معرفة اسم الكتاب واسم كاتبه .. بل ان تصفح الكتاب بين يديك فى المكتبة التى تبيعه لن يكفى كى تعرف عنه ما تود معرفته من أبوابه وجزئياته ..

لذلك رأيت ان افتح لك فى «كتابى» هذا الباب الذى سيقدم اليك فى كل شهر ملخصا لاهم كتاب ظهر خلال الشهر المنصرم ، فى أسلوب يكاد يكون هو اسلوب كاتبه ، وبعبارات أكثرها عباراته ذاتها - او على حد التعبير الانجليزى
In the author's own words
- كيما تلم الماما وجيزة بالكتاب ، فتقتنيه اذا راقتك مادته ووافقت هواك ، او تقنع بهذه الخلاصة اذا آثرت عليه كتابا آخر .. وهكذا يستطيع كل قارىء ان يقتنى فى بيته اقرب الكتب الى ميوله ومزاجه (وارجو ان اقدم اليك فى فرصة قريبة الى جانب هذا الباب بابا آخر للنقد الادبى يطوف بك حول مجموعة كبيرة من الكتب التى تظهر خلال الشهر)

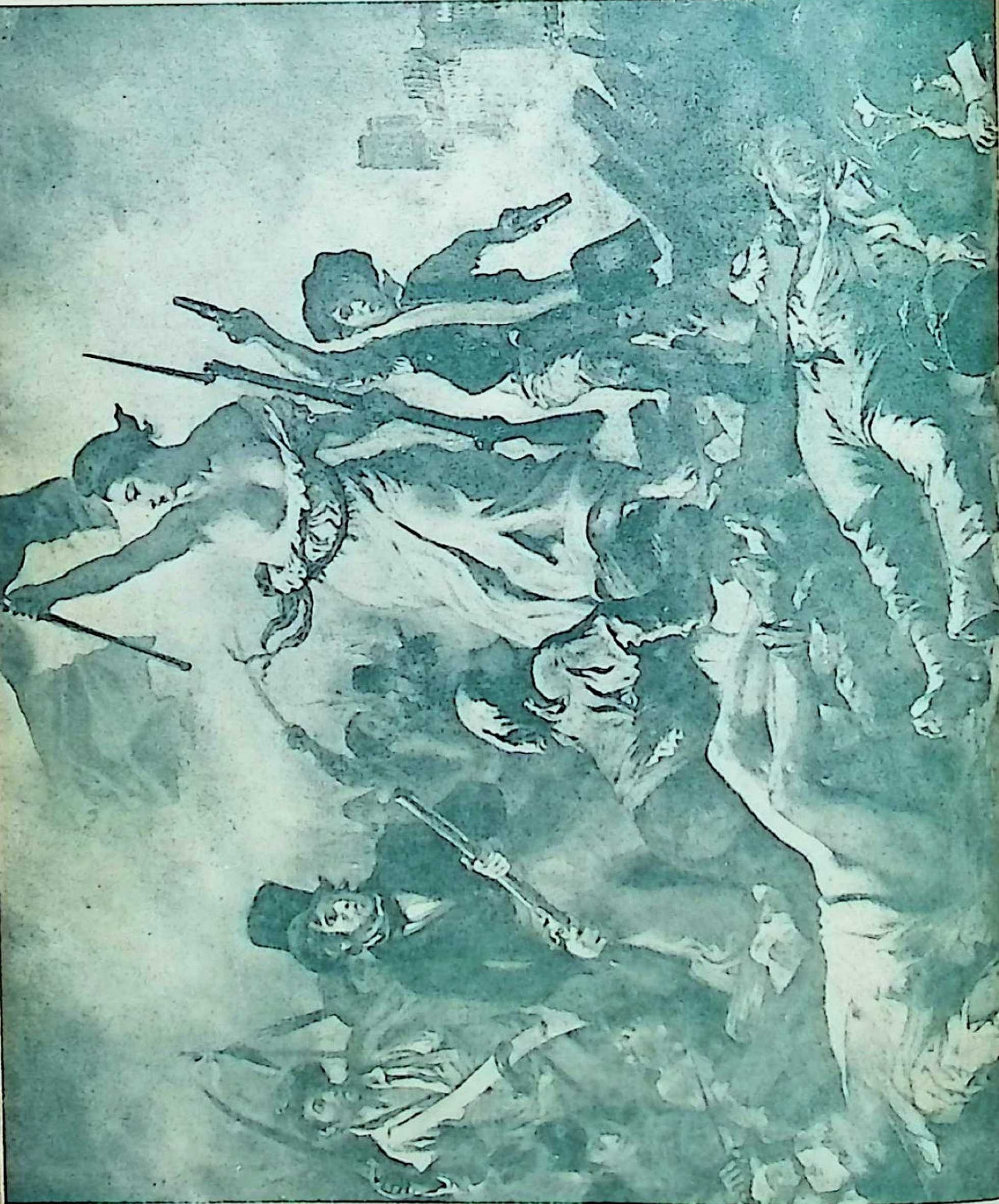

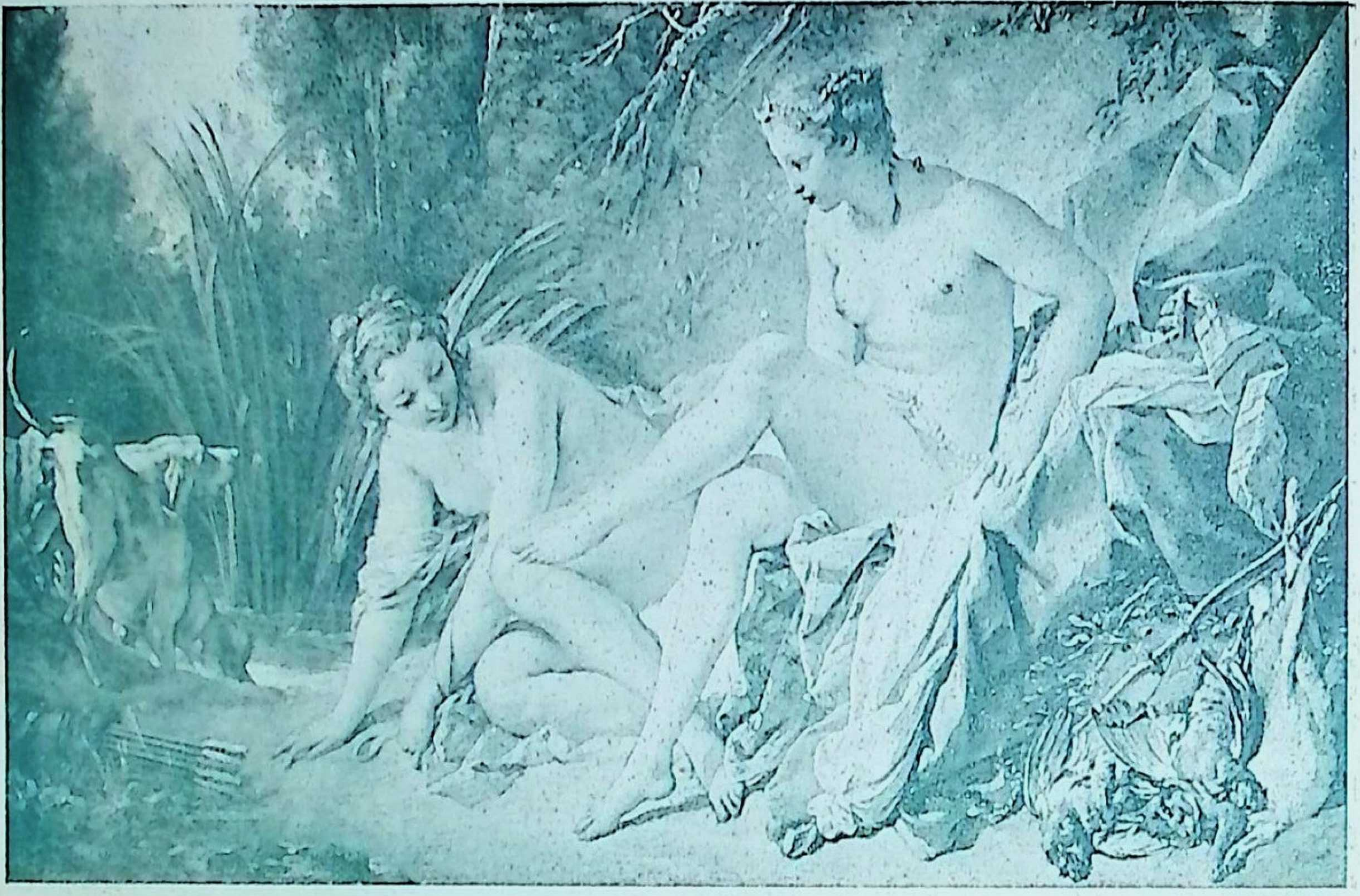

« ديانا تستحم » لوحة تمثل احدى اساطير الاغريق ، للرسام فرانسوا بوشيه (١٧٠٣-١٧٧٠)

عباس محمود العقاد

أبو نواس

الحسن بن هانئ

دراسة فى التحليل النفسانى والنقد التاريخى

تلخيص : الاستاذ أنيس منصور

الكتاب الذى أثار معركة !

◆عندما شرع « العقاد » فى وضع هذا الكتاب ، أعلن انه اعتزم تصحيح الافكار والمعلومات الخاطئة الشائعة عن حياة ابى نواس وفنه.. ثم أصدر كتابه فى أول فبراير المنصرم ، فتلقفه « سلامه موسى » مهاجما أبا نواس باعتباره نموذجا للفنان المنحل فى مجتمع لايوجد به اختلاط جنسى . وقال ان هيام الشاعر بالذكور دون الاناث خير دليل على ذلك !.. فرد عليه العقاد بقوله ان ابا نواس كان يحب الاناث كذلك ، وله عشر عشيقات معروفات فى كتب التاريخ !.. واضاف أن اختلاط الجنسين لم يمنع من الشذوذ فى بلاد الغرب ، والاديب الايرلندى اوسكار وايلد أصدق مثال على ذلك . ودخل « كامل الشناوى » فى المعركة وأهاج العقاد على سلامة موسى .. فعاد العقاد يهاجم سلامة موسى بعنف يذكرنا بملاحمه المشهورة منذ عشرين عاما ! وجاء دور طه حسين فهاجم كتاب العقاد وذكر أن العقاد قد أسرف فى تطبيق النظريات العلمية على « اخبار » و « اشعار » ابى نواس ، مع أن العقاد لايملك « معامل » العلماء ولم يقم بتجاربهم ، كما أن أبا نواس ليس حيا بيننا حتى نستطيع أن نجرى تجاربنا عليه !.. ثم تمنى للعقاد كتابا أجمل وأكمل عن ابى نواس ، ووعد بأن يكون أول قرائه !

وسيرد العقاد ولا شك .. وسوف يحمى وطيس المعركة !.. وبهذه المناسبة ، ولكى تكون على بينة من أمر الكتاب بحيث تستطيع أن تتتبع هذا الجدل المحتدم الناشب بشأنه .. اخترت أن اقدمه لك فى هذا العدد ، مفتتحا به هذا الباب الجديد الذى سوف يلخص لك فى كل شهر باذن الله كتابا جديدا من أحدث ماتخرجه المطابع العربية فى مصر وشقيقاتها .. استكمالا لرسالة « كتابى » فى تزويدك بملخصات لأشهر الكتب وانفع المؤلفات التى تمكنك من مسايرة ركب الانتاج العالمى ، فى الشرق والغرب ..

◆ **اشتهر** كثير من الشعراء والادباء القدامى عند العوام وأشباه العوام .. ومن بين هؤلاء « أبو نواس » ، الذى عاش فى القرن الثانى للهجرة ، والذى اشتهر بنوادره ولم يشتهر

بشعره . وقد عرفه العوام باسم « أبى النواس » ! ـ بلام التعريف .. وأهم ما يمتاز به أبو « النواس » عند العوام أنه شخصية النديم الحاذق ، أو « الحدق » .. لان « الحداقة » عندهم هى الصفة التى تغلب على الشخصية « النواسية » ، وهى ترادف سرعة الجواب ، والفهم بالاشارة ، واللباقة فى اللعب بالكلام والافهام .. ولا سيما فى مقام اللهو ونبذ الحياء !

وليس أشهر من الادب المنسوب الى ابى نواس فى كتب « الف ليلة وليلة » وأمثالها .. وقد جاء فى بعضها : « قيل ان أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق ذات ليلة فقام يتمشى فى قصره بين المقاصير ، فرأى جارية من جواريه نائمة فأعجبته ، فداس على رجلها ، فانتبهت فرأته ، فاستحيت منه وقالت : «يا امين الله ما هذا الخبر ؟ » فأجابها يقول :

قلت ضيف طارق فى ارضكم ... هل « تضيفوه » الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدى ... اخدم الضيف بسمعى والبصر

فبات عندها الى الصباح ، وعندئذ روى القصة لأبى نواس فنظمها هذا فى قصيدة منها البيتان السالفان .. وجاء فى مصدر آخر أن الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمى « الخيزران » على غفلة منها ، فوجدها تغتسل . فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئا ، فاعجبه منها ذلك الفعل واستحسنه . وحين عاد الى مجلسه أمر باحضار « بشار » و « أبى نواس » واستنشدهما فى وصف تلك القصة ، فنظم بشار أبياتا لم تعجبه ، ثم جاء دور ابى نواس فانشد :

نضت عنها القميص لصب ماء ... فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت ... بمعتدل ارق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها ... الى ماء معد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت ... على عجل لتاخذ بالرداء
رات شخص الرقيب على اقتراب ... فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل ... فظل الماء يجرى فوق ماء
فسبحان الاله وقد براها ... كاحسن ما تكون من النساء

فقال الرشيد : سيفا ونطعا ياغلام ! قال ابو نواس : ولم يا امير المؤمنين ؟ قال أمعنا كنت ؟ قال : لا والله ، ولكن شىء خطر ببالى .. فامر له بأربعة آلاف درهم .

وقد ساير الاجانب هذا الاتجاه فى اسناد الاخبار الى أبى نواس ، فرأينا رسالة انجليزية تطبع فى الجزر الهندية أهداها المؤلف الى ذكرى المستشرق «برتون» الذى ترجم ألف ليلة وليلة . وفيها يروى أن أبا نواس كان يلهو مع صحبه ، فاذا الخليفة يفاجئهم بحضوره فيصيح بأبى نواس : «ما أراك تصلح الا أن تكون اماما للقوادين وقاضيا للفجرة الفاسقين ! »

.. فيجيبه أبو نواس على البديهة : « هل من قضية تعرضونها؟»

.. فغضب الخليفة وأمر بتجريده من ثيابه وبأن توضع على ظهره بردعة حمار ويطوفوا به بين الخدم والجوارى .. ثم يسلموه للجلاد ليطيح برأسه ! ولكن أبا نواس راح يلاطف الجوارى بنكاته ودعاباته ، ونزلت عليه هداياهن حتى امتلأت يداه بالمال والجواهر . ورآه جعفر البرمكى فسأله : فيم كان عذابه ؟ فأجابه بأنه مدح أمير المؤمنين فخلع عليه خلعة من خاصة ثيابه .. ولما بلغ أمير المؤمنين أمره ضحك وعفا عنه وأمر له بهدية !

وهنالك نوادر أخرى جمعها هذا المؤلف الاجنبى من أفريقيا الشمالية منها : قيل للشاعر وكان يمشى فى جنازة : « أيهما أكرم فى تشييع الميت أن تمشى أمام نعشه أو تتبعه ؟ » فقال أبو نواس :

لا تكن داخل النعش . وسر حيث طاب لك المسير

ورأى أبو نواس رجلا سكران يتمايل فى الطريق . فسأله

من معه من أصدقائه : « ألم تنظر من قبل الى سكران ؟ » قال : « ومن أين لى أن أرى السكارى وأنا أول من يسكر وآخر من يفيق ! »

وجمع المؤلف أخبارا لابى نواس من قبائل تسكن أفريقيا الجنوبية وزنجبار ، وأضاف أن فى تلك الاصقاع من يسمى باسم « كيبو نواس ، وبنواس ، وبا نواس ، وأبا نواس ٠٠ ومن تصوراتهم له أنهم يلبسونه شخصية الارنب الذى نعرفه نحن فى ألعاب خيال الظل لانهم يمثلونه سريع الفطنة حاضر الجواب !

شخصية أبى نواس

◆ **وأما** سر هذه الشهرة فهى أن أبا نواس « شخصية نموذجية » تمثل نموذجا اجتماعيا يعيش فى كل زمن ، وسر رجحانه على الشخصيات النموذجية الاخرى من مثل عنتر بن شداد أن وقائع الشجاعة التى اشتهر بها عنتر ، أندر من وقائع « الحداقة » فى المجتمع ، وانها لا تصادف الناس فى كل زمن كما تصادفهم الوقائع التى تدخل مخايل الشخصية النواسية ، ومن ثم فهذه تجد هوى فى نفوس سامعيها أكثر مما تجد تلك ٠٠

والناس مولعون بالتحدث عن الشخصيات النموذجية ، يضيفون اليها كل يوم جديدا ـ كما يضيفون نوادر الجود مثلا الى حاتم الطائى ، وهى لم تقع له ولا لأحد من الكرماء ، وبعضها قد وقع لاناس آخرين ! ٠٠ أو كما ينسبون أخبار الحكمة الى لقمان ، وأخبار الشجاعة الى عنترة ، وأخبار الطب الى أبقراط ٠٠ الخ

والشهرة التى ظفر بها أبو نواس لم يكن سببها راجعا الى « شخصيته النموذجية » وحدها ، بل يرجع الكثير منها الى ملازمته لشخصية نموذجية أخرى هى شخصية الخليفة « هارون الرشيد » ، الذى قيل ان أبا نواس كان شاعره ونديمه ، وانه كان يلازمه فى حله وترحاله ، ويطلع على أسراره وخفاياه !

وجملة القول أن «شخصية نموذجية» واحدة تفعل الاعاجيب في تزويد صاحبها بالاخبار والاوصاف من حيث لا يحتسب .. فماذا تفعل شخصيتان اثنتان ؟

وفي عصرنا هذا نظير لابي نواس في الاداب الغربية .. فالشاعر الايرلندي « أوسكار وايلد » أشبه الشخصيات النموذجية بأبي نواس .. ومهما تكن قيمته الفنية فشهرته أكبر من فنه بكثير . ولم يعرف في القرن التاسع عشر أديب استهجنت سيرته كما استهجنت سيرة أوسكار وايلد ، ولا أديب شاعت كتبه من أجل ذلك كما شاعت كتب هذا الاديب المجدود ، الذي ترجمت كتبه الى كل لغة وكتب عنه النقاد ، وتضاعفت الكتابة عنه بعد شيوع التحليل النفسي والابحاث العامة في الجنس والاخلاق ..

اباحية أبي نواس

◆ **وقد** اشتهر أبو نواس بأنه اباحي ..

وهو من غلاة الاباحيين ، اذا كانت الاباحية معناها انه يستحل المحرمات ويخالف الدين والعرف والطبيعة ! وأكثر الاباحيين على عهده كانوا يتظاهرون بالصلاح والتقوى ، لان عصره كان عصر شكوك واختلاط ونفاق . ولكن أبا نواس يزيد عنهم في انه « اباحي متهتك » ، يظهر أمره ولا يتكلف باخفائه ..

وقد يتهتك المرء لحالتين متناقضتين : الاولى لانه هين على الناس ، مسلم بحقارته ، وشاعر بقلة الجدوى من النشر أو المداراة ، فلا ينفعه ان يحتجب ولا يضره ان ينكشف ويتبذل .. ولسان حاله يقول : أنا الغريق فما خوفي من البلل !

هذه هي اذن الاباحية المتهتكة !

أما الحالة الاخرى فهي ان صاحب الاباحية يتحدى الناس عامدا ، يسخر منهم ويكشف رياءهم ، وقد يهون عليه الرياء والصراحة ، فلا يعلن رذائله لانه يكره الرياء ويحب الصراحة ، ولكن لانه يريد أن « يعزز شخصيته » ويشعر الناس بوجوده !

وأبو نواس ليس من أصحاب الحالة الاولى ، بل هو من أصحاب الحالة الثانية .. لان شعره يعرب عن نزعته في التهتك والمجاهرة به ، ولا يقف عند حد قلة التكلف والمداراة . وهو يقول في الجهر بشرب الخمر .

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر

ويقول ايضا : اطيب اللذات ما كا ن جهارا بافتضاح

وبيت القصيد عند أبي نواس هو : الاغاظة والظهور . وصاحب هذا المزاج يغيظ جمهرة الناس بالمخالفة ، لان الظهور واثارة الشعور هما الهوى الغالب عليه !

نزعة ((النرجسية)) واسطورتها عند الاغريق !

اسطورة النرجسية عند الاغريق

◆ على أن آفات أبى نواس جميعا تفسرها ظاهرة نفسية هى «النرجسية»، وهى شذوذ يؤدى الى ضروب شتى من الانحراف فى غرائز الجنس وبواعث الاخلاق .

والنرجسية لها أصل عند اليونان : فقد كان هنالك فتى جميل تهيم به العذارى ولايعبأ بهن ، فاشتكينه للآلهة، وقد استجابت لهن آلهة الثأر.. فحكمت عليه بان يقع فى غرام نفسه وان يلقى العذاب الذى لقيته الفتيات فى حبه !.. وانطلق هذا الفتى الى بركة من الماء ورأى صورته ، فهام بها .. وراح يذبل حتى تحول الى نرجسة مطرقة ترنو الى الماء ولا ترفع اوراقها الى السماء ..!

ويرى بعض الكتاب ان كلمة نرجس مأخوذة من كلمة يونانية بمعنى التخدير أو الغيبوبة ، (ومنها كلمة NARCOSIS بمعنى التخدير ، وهى تطلق على المواد المخدرة) ..ولم يكن النرجس من هذه النباتات ولكن اطراقته على الماء تشبه من تعاطى مخدرا ! .. ومن هنا جاء تعبير « النرجسية » المجازى الذى يطلق على تلك الآفة من الانحراف فى الغرائز والميول ـ التى سنتحدث عنها ـ وهى متصلة بالغيبوبة والنشوة والهيام ..

وأول من أدخل هذا المصطلح فى العلاج النفسى هو العالم « هافيلوك اليس » ، ثم توسع العلماء بعده فى دراسته . والذى يعنينا هنا منه معانيه التى تتعلق بأبى نواس وموضوعات عشقه وغزله ، وأهمها شعبتان : الاولى هى الاشتهاء الذاتى AUTO-EROTISM والثانية هى التوثين الذاتى AUTO-FETISHISM ـ من « الوثنية » ..

والاشتهاء الذاتى يغلب على الحالات الجسدية ، فقد يمنى به المرء اذا طال النظر الى نفسه عاريا فى المرآة . فهو يشتهى بدنه كانه بدن انسان غريب عنه ! .. اما التوثين الذاتى فيغلب على الحالات العاطفية والفكرية ، حين يتخذ المصاب من نفسه وثنا يعبده ويدلله . ويشوب هذا التوثين حب كحب المرء لمعشوقه ، فهو لا يخلو من اختلال فى وظائف الجسد ..

وهناك حالات تلازم الاشتهاء والتوثين منها لازمة التشخيص Identification ولازمة العرض Exhibitionism • والتشخيص هو عشق الانسان لـذاته من الناحية الشهوانية • فالشاذ فى حب جنسه أو الجنس الآخر يجد فى شذوذه طلبته ويقضى مأربه • أما الذى يشتهى بدنه فليس فى وسعه أن يقضى مأربه منه بغير الاحتيال لذلك بالتلبيس والتشخيص ، فهو يتلبس شخصية آخر يتوهم انه هو ذاته او يحل محل ذاته — كما يفعل «جالد عميرة» حين يضع امامه صورة أو يتخيل فى ذهنه عشيقة يتوهم أنه يواقعها •• وهو فى الواقع يتعلق بذاته !

أما لازمة العرض فهى تشمل الاظهار بجميع درجاته • فاذا أمعن المصاب بها فى النزعة والشواغل الجسدية ، شوهد وهو يكشف عورته ويعرض أعضاءه ويتعرى من ثيابه او يلبس الثياب التى تشبه العرى ولا تستر ما وراءها

وخلاصة « النرجسية » عنده انه كان من الشواذ فى تكوينه الجنسى ودوافعه النفسية ، ولكن شذوذه غير الشذوذ الذى اشتهر به ، وهو ايثاره الذكور على الاناث ، ولابد من التفرقة بين الشذوذين : لان النرجسية تفسر أطوار ابى نواس جميعا ، والشذوذ الآخر لا يفسرها •• وهذا عدا ضرورة التفرقة بين الشذوذين للكشف عن بواطن السريرة وفهم الاخلاق الخاصة والاخلاق الاجتماعية • وغرام أبى نواس بالجنسين واغراقه مع بنى جنسه فاعـلا ومنفعلا أمر لا يفسره ايثاره الذكور على الاناث ••

والنرجسية تفسر الولع بالمجاهرة والاباحية •• وأوسكار وايلد كثير الشبه بأبى نواس فى لوازم النرجسية • وهما مختلفان بعدها فى كل شىء : فى الزمن ، والموطن ، واللغة ، والدين ، والطبقة الاجتماعية • ولكنهما يتماثلان فى كل لازمة من لوازم النرجسية : ففى أوسكار وايلد الملامح الانثوية وخصل الشعر المرسلة والصوت الذى تمازجه الرخامة ، وفيه حب الظهور ولفت الانظار وشغل الاذهان ، ولم تكن مصطلحات التحليل النفسى قد شاعت فى زمنه ، فأطلق على حالته فى ذلك الوقت Dandysm ومعناها حب الزهو والتبرج ••

والنرجسية التى نتتبعها فى « الحسن بن هانىء » ليست حالة نلاحظها فى أنداده ومن فى مثل عمره • ولكنها حالة منحرفة ولد ببعض أعراضها وجاءته الاعراض الاخرى من البيت والمجتمع والعصر الذى نشأ فيه وعاش كل حياته • وهى حالة لا يشابهه فيها أحد من شعراء عصره ، ولم يخطىء معاشروه الذين أفردوه بها وأحسوا انه هو دون غيره صاحب تلك الشخصية النموذجية التى طبعت بطابع واحد لم يتعدد فى زمانه ولا بعد زمانه •

فتكوينه الجسدى وصفه ابن منظور فقال : « **كان حسن الوجه ، رقيق اللون ، أبيض حلو الشمائل ، ناعم الجسم • وكان فى رأسه سماحة**

وتسفيط ، أى كان شعره منسدلا على وجهه وقفاه ٠ وكان ألثغ الراء يجعلها غينا ، وكان نحيفا وفى حلقه بحة لا تفارقه ٠٠

ويروى أبو نواس أن تسميته بهذه الكنية ترجع الى أن رجلا من أهل البصرة رأى ذؤابته تتحرك على جبهته فناداه بقوله : ياأبا نواس ٠٠ ولم تفارقه هذه الكنية بعد ذلك

واللثغة والبحة الحنجرية لها علاقة بالنفسية الجنسية والتكوين الجسدى ٠ وقد بقى أبو نواس على حالة واحدة من صباه الى شيخوخته : شعر غزير وجسم ناعم وصوت مبحوح ولثغة ، فحكمه فى هذه الحالة حكم النساء والخصيان٠٠

وأبو نواس يغازل الجوارى كما يغازل الغلمان ٠ وكلامه كثير فى استحسان الفتاة لانها كالغلام ، واستحسان الغلام لانه كالفتاة ٠ وهو يقول فى جارية :

غلام والا فالغـلام شبيهها   وريحان دنيا لذة للمعانق

ويقول فى غلام :

من كف ذى غنج حلو شمائله   كانه عند رأى العين عذراء

غزل ابى نواس ٠٠ فى المؤنث والمذكر !

◆ **أما** فى الغزل فاليك امثلة متفرقة من غزل ابى نواس فى المؤنث والمذكر ، جمعناها بين جدها وهزلها ، ومبالغتها واعتدالها ، وجيدها ورديئها ، ليوازن بينها من يشاء٠٠ ويلاحظ تشابه الصفات والملامح التى يهواها الشاعر فى معشوقاته ومعشوقيه ، فهو يهوى المعشوقة أحيانا لانها « مذكرة مؤنثة » ويهوى المعشوق أحيانا لانه « متفتر وفيه تأنيث » !

ومن أشهر شعر ابى نواس فى الغزل قوله فى محبوبته عريب :

صيرنى عبدا لها مذعنــا   حبى لها ، والحب شىء عجب
لو وعدتنى موعدا صادقا   أو كاذبا ، بالجد أو باللعب
ظننت أنى نلت ما لم ينل   ذو صبوة من عجم أو عرب

وقال فى أخرى :

جفن عينى كاد يسـ   ـقط من طول ما اختلج
وفؤادى لحر حبـ   ـك والهم قد نضج
خبرينى فداك نفس   ى واهلى متى الفرج
كان ميعادنا خرو   ج زياد ، وقد خرج

وقال فى دنانير :

صليت من حبها نارين واحدة   بين الضلوع واخرى بين أحشائى
يا ويح اهلى ابلى بين اعينهم   على الفراش وما يدرون ما دائى
لو كان زهدك فى الدنيا كزهدك فى   وصل مشيت بلا شك على الماء

وقال فى حسن (بضم الحاء) :

طفلـة خـود رداح   هام قلبى بهـواها

قدها احسن قد فاسالوا من قد رآها
ما براها الله الا فتنة حين براها
تنثر الدر اذا غنـ ـت علينا شفتاها
وترى للعود زهوا حين تحويه يداها
ربما اغضيت عنها بصرى خوف سناها
هى همى ومناى ليتنى كنت مناها

وقال من غزل المذكر :

غزال به فتر وفيه تانث واحسن مخلوق واجمل من مشى
اقول له يوما وقد مضنى الهوى اطلت عذابى فيك ياخير من نشا
ارى له وجها فتت القلب حسنه به ينجلى كربى وقد ينجلى الغشا
اتقتلنى ان قلت انى احبه ولا ذنب لى ان كان فى الناس قد فشا
كتمت الهوى حتى اضر بمهجتى وكان الهوى طفلا صغيرا فقد نشا
فرق لى المولى ففزت بموعد وقال انتظرنى قبل مقتبل العشا

وقال أيضا :

ومعشوق الشمائل والدلال كقرن الشمس فى قد الغزال
تازر بالملاحة وارتداها وسربل بالكمال وبالجمال
له فى خده خال مليح بنفسى ذاك من خد وخال

وقال :

مستيقظ اللحظ فى افنان وسنان قبلت فاه فحيانى بريحانى
يا من تانق باريه وصوره دعصا من الرمل فى غصن من البان

وقال : وظبى تقسم الآجا ل بين الناس عيناه
وتورى البث والأشجا ن فى القلب ثناياه
وتحكى البدر وقت التم للاعين خداه
تعالى الله ما احسـ ـن ما صوره الله
فلو انا جحدنا اللـ ـه يوما لعبدناه

وقال فى آخر :

لو رايتم حين يمشى كاسرا من حاجبيه
فى ازار قد لواه ثم دلى طرفيه
قلتم ذا الفتك حقا ليس ما نحن عليه

وقال فى معشوق ملتح :

قال الوشاة بدت فى الخد لحيته فقلت لا تكثروا ، ما ذاك عائبه
الحسن منه على ما كنت اعهده والشعر حرز له ممن يطالبه
ابهى واكثر ما كانت محاسنه ان زال عارضه واخضر شاربه

أمــــه أفسدته !

◆ **وكانت** أمه تدلله لانه وحيدها ، وكان يجد متعة فى هذا التدليل . وكانت أمه تستخدم صناعتها فى الاتجار بملابس النساء لتجمع الغوانى وطلابهن فى بيتها . ولصقت بها هذه السمعة .. وكان العصر الذى يعيش فيه أبو نواس عصر تناحر بين الشعوبيين والعرب ، ومفاخرة بين القحطانيين والعدنانيين، وعصر مناجزة بين العلويين والعباسيين . ولم يكن أبو نواس قصير اللسان منزويا عن الناس فيسكت وينزوى ، ولا كان صغيرا عند نفسه فيعترف عليها بالصغر والمهانة .. **ولا شك أن هذه العقدة كانت من اقوى البواعث لابى نواس على معاقرة الخمر وألفة مجالسها واحتقار المجالس التى لا تسمع فيها المفاخرة بالانساب !**

.. والعصر الذى عاش فيه يبتدىء بالقرن الثانى للهجرة الى نهايته. وهو عصر سقطت فيه دولة بنى امية وقامت فيه دولة بنى العباس .. وأمثال هذا العصر فى تواريخ الامم يتميز بسمة من سمات الانقلاب ويشيع فيه اليأس من جانب والمجازفة من جانب ، ويتبدل فيه الولاء غير مرة بين النجم الافل والنجم الطالع ، ولا تطول فيه الثقة بشىء حتى تثوب الامور الى قرار ..

وقد زامل أبا نواس فى هذا العصر كثيرون منهم الشعراء والادباء والظرفاء والندماء والعلماء والحكماء ، ولكن أحدا منهم لم يبتل بمحنة العصر ، كما ابتلى هو بها ، لا لانه كان مستعدا للاباحية بتكوينه وتربيته وحسب ، بل لانه عاش فى قلب التقلبات ، اذ فقد ابوه رزقه بقيام الدولة العباسية ، وهاجرت به امه الى البصرة مركز المؤامرات السياسية ، فلما آن لوليد هذين الابوين ان يفهم ويعقل ، فهم ان الدنيا كلها نفاق وشقاق ، ولم يعقل من احداثها وخلائقها الا انها اباحة او رياء .

ادمانه الخمر كان عقدة نفسية !

◆ **ولم** تكن طبيعة أبى نواس من الطبائع التى تتسلل اليها العقد النفسية ، لانه كان يبوح برذائله ويكشف عنها ويتعمد أن يواجه الناس بها علانية . والعقد انما تتكون نتيجة للكتمان والكبت ..

الا عقدة واحدة !

هى عقدة الادمان . وقد غلبته هذه العقدة لانها جاءته من قبيل طبيعته ، ونعنى بها طبيعة النرجسية !.. ومنادمة الخمر

هى من قبيل « الوجاهة » التى يسمو بها الشاعر على النظراء ، وهى التى تنفث فيه الزهو والفخار بديلا من زهو السادة الاصلاء وفخار الابناء والآباء ٠٠ والعصر الذى عاش فيه كان معترك الانساب والاحساب فى الدولة الاسلامية !

وهناك خلة أخرى من خلال الطبيعة النرجسية تعرضها لادمان الخمر وما اليها من عقاقير التخدير ، وتلك هى نوبات السآمة التى تعاود النرجسى كلما خلا الى نفسه وفرغ من العمل ٠٠ فالوقت ثقيل على الطبيعة النرجسية ٠٠ ومن هنا يتسرب حب الخمر الى الطبائع النرجسية ، فاذا أعانتها بواعث أخرى من غواية الطبع أو البيئة تمادى بها حب الخمر الى الادمان والاصرار عليه !

سبب آخر لادمانه الخمر

◆ **وينبغى** ألا ننسى فى معرض المغريات التى سولت لابى نواس ادمان الشراب ، باعثا قويا نظنه احدى هذه المغريات ، ظن الاحتمال والترجيح ٠ وذاك هو سوء العيش ونقص الغذاء وافتقار الجسم الى الحركة والتنبيه ٠ **فان أبا نواس قد عاش فى ضنك وفاقة معظم أيامه ، على غير ما يتوهم المتوهمون ٠ وكان يسمى نفسه فى بعض شعره العاشق المفلس ، ويبالغ فيما أنفقه على الخمر أحيانا ٠٠ وتلك حال لا يستبعد على صاحبها أن يدفعه سوء التغذية الى استفزاز البنية بالكحول وما اليه ، كأنه بديل من الفخر بالآباء وبديل من السآمة والخواء٠٠** ولعل مما يعزز هذا الظن ايضا ــ الى جانب ما سلف ــ ان أوسكار وايلد لم يكن يدمن الخمر : فهو لا يشكو عقدة النسب ، لانه نبيل ٠٠ ولا يشكو سوء التغذية ، لانه غنى ٠٠ ولا يدفع السآمة بالخمر لانه مقتدر على السياحة والتردد على المقاصف والملاهى ٠٠ وليس من همه أن يتحدى الناس بالشراب، لان بيئة عصره لم تكن كتلك التى كان أبو نواس يتحداها ٠٠

دائرة معارف
الثقافة العالمية
مطالعات
فى الكتب والمجلات والموسوعات
ومشاهدات
فى المسارح والمعارض
ودور السينما.

روضة الشعر

فى مكان آخر من هذا العدد ، قدمت لك قصة غرام «جورج صاند» والشاعر «الفريد دى موسيه» ، كما حققها ورواها الكاتب العالمى اندريه موروا فى كتابه الجديد .. وفيما يلى أقدم لك الليلة الاولى من «الليالى» الشاعر الخالد التى بكى فيها حبه الضائع ، وهى الليالى التى خلدت اسمه الى آخر الزمان.. وفى الاعداد القادمة اقدم لك بقية هذه الليالى الرائعة

ليلة أكتوبر

ترجمة الدكتور
محمد مندور

الشاعر : لقد تبدد الالم الذى أضنانى كما تتبدد الاحلام ، حتى لتشبه ذكراه البعيدة ما يبعث الفجر من ضباب خفيف يتطاير وندى الصباح ..

الهة الشعر : مابك اذن، شاعرى؟ ما هذا الالم الخفى الذى أقصاك عنى، حتى ما أزال اشقى به ؟ ما هذا الالم الذى خفى عنى ، وان طالما ابكانى ؟

الشاعر : كان ألما مبتذلا مما يصيب الجميع ، ولكننا نحسب دائما - لحبلنا الجدير بالرحمة - ان ما يتسرب الى قلوبنا من ألم لم يتسرب مثله الى قلب أحد سوانا !

آلهة الشعر : لا ، ما فى الالم من مبتذل الا ألم نفس مبتذلة .

دع - عزيزى - هذا السر ينطلق من فؤادك .. افتح لى نفسك وتكلم ، واثقا من أمانتى ، فان الصمت أخ للموت .. ولكم شكا متالم ألمه فتعزى عنه .. ولكم نجى القول قائله من وخزات الضمير ..

الشاعر : اذا كان لا بد اليوم من الكلام عن ألمى فوالله ما أدرى بأى اسم أسميه : أكان حبا ؟ أم جنونا ؟ أم كبرياء ؟ أم محنة ؟ وما أدرى من سيفيد من سماعه.. وانا بعد قاص عليك نبأه ، وقد خلونا الى أنفسنا فى جلستنا هذه الى جوار الموقد . خذى قيثارتك وتعالى الى جانبى ثم ايقظى ذكرياتى بعذب نغماتك ..

آلهة الشعر : شاعرى ، اسائلك أولا أشفيت حقا من ألمك ؟ وعليك أن تذكر اليوم انك متحدث عنه فى غير جفوة ولا عوى .. كما عليك أن تذكر انى رسول السلوى فليس لك أن تزج بى فى شهوات نفسك التى أنزلت بها الخراب ..

الشاعر : نعم شفيت من ألمى شفاء يحملنى على الشك فى أنى ألمت يوما ما .. لا ، لا تخافى ، وما دام هذا وحيك نستطيع أن

يثق كل منا باخيه .. ما أعذب أن نبكى ، وما أعذب أن نبتسم كلما ذكرنا آلاما نستطيع أن ننساها !

آلهة الشعر : دعنى أحنو بشفقة على قلبك ـ وقد أغلقته دونى ـ حنو الام الحنون على مهد طفلها الحبيب . تكلم ـ عزيزى ـ وها قيثارتى تنصت الى جرس صوتك فتصحبه بنغماتها الباكية المتهافتة .. وأما أشباح الماضى فها هى تمر فى فيض من الضوء كالرؤيا المشرقة ..

الشاعر : أيام جدى ما حييت غيرك ! ايتها الوحدة المقدسة تباركت آيات الله أن عدت اليك ، الى معبد أفكارى ! أيتها الجدران ، لطالما هجرتك . وتلك المقاعد علاها غبار الهجران . وانت مصباحى الوفى .. هذا قصرى ، هذا عالمى الصغير ..

آلهتى . آلهتى المقدسة، تقدست رحمة الله اذ نعود فنغنى سويا . **نعم ، سافتح لك نفسى . ساقص عليك كل ما كان ، لتعلمى مبلغ الالم الذى تستطيع ان تحدثه امراة ! .. وانتم تعلمون ، رفاق نفسى ، اية امراة تلك التى اذلت رقابى كما يذل العبد سيده ! ما ابغضه من نير . لقد اضنانى فذهب بقوتى وشبابى .. ولكنى لا اكذبكم انى لمحت السعادة الى جوارها !**

أذكر اننا كنا نسير عشية جنبا الى جنب فوق الرمال الفضية ، واشجار الحور تهدينا اشباحها عن بعد .. فاذكر جسمها الجميل وقد تعطف بين ذراعى والقمر يغمرنا شعاعه ، ثم .. لننس كل ذلك .. وهل كنت أعلم الى أين يقودنى القضاء ؟ من يدرينا لعل غضب الله كان يلتمس له يومئذ هدفا ، والا لماذا انزل بى ما ينزل بالمجرم من عذاب ؟

آلهة الشعر : لقد مرت بنفسك ذكريات مشرقة ، فلم لاتعود اليها .. وهل من امانة القصص ان تنكر ما مر بك من أيام سعيدة ؟ ! ! اذا كان القضاء قد تنكر لك يوما أيها الشاب فلم لا تبتسم كما ابتسم لك من قبل عندما عمر قلبك بالحب ؟!

الشاعر : لا ، لا أريد أن أبتسم لغير آلامى ، آلهتى قلت لك انى أريد أن أقص عليك هادىء النفس من كل حفيظة ـ ما كان لى من آلام وأحلام وهذيان ، لتعلمى متى وأين وكيف نزل بى ما نزل ..

اذكر ـ آلهتى ـ اننا كنا فى ليلة حزينة من ليالى الخريف ـ ليلة تكاد تشبه ليلتنا هذه ـ وقد اخذت همسات الريح بحفيفها المطرد الممل ترنح فى عقلى المضنى حالك الآلام .. وقفت بالنافذة انتظر عودتها وقد ارهف منى

السمع ، فاذا بضيق شديد يأخذ بالنفس وينذرني بخيانتها ! وكان الطريق قاتما موحشا الا من بعض أشباح مرت وبيدها مشاعل، والريح تهب من حين الى حين ببابي المنفرج قليلا فيصل الى نفسي ما يشبه أنين البشر . لست أدرى عندئذ الى أى الهواجس أسلمت نفسي ولكن عبثا حاولت ان أستجمع قواى المتخاذلة .. ودقت الساعة فسرت بي رعدة قوية .. ولكنها لم تعد ! وظللت محنى الرأس أقلب البصر بين الطريق وجدران المنازل .. آه ، ذلك انى لم أطلعك على تلك النار القاسية التى أضرمتها تلك المرأة اللعوب بين جوانحى . لم يكن بقلبي حب غير حبها .. وكان الموت أحب الى من يوم لا أقضيه الى جوارها ! ومع ذلك أذكر اننى حاولت بكل قواى أن أحطم اغلالى ، فدعوتها الف مرة بالخائنة الخائنة .. وأخذت أعدد كل ما أنزلت بي من محن .. ولكن ذكرى جمالها لسوء طالعى ما كانت تمر بخاطرى الا هدأت جميع آلامى وتبددت محنتى ! .. وطال بي الانتظار حتى مال النوم برأسى الى حافة الشرفة ، ثم فتحت جفنى على ضوء القمر الناهض فطفا بصرى المبهور ، واذا بوقع أقدام .. وقع خفيف على الحصباء يأتيني من منعرج الطريق ..

يا الهى ! اللهم رحمتك ! هى بعينها ! ودخلت الى الغرفة .. من أين أتيت ؟ ماذا فعلت هذه الليلة ؟ أجيبي ؟ ماذا تريدين منى .. لم أتيت فى هذه الساعة ؟ أين امتد هذا الجسد الجميل طوال الليل ؟ بينما انا بالشرفة وحيدا ساهد الجفن باكى العين ؟ فى أى مكان وبأى مخدع ؟ ولمن ابتسمت؟ أيتها الخائنة الجسور ، أتستطيعين بعد ذلك أن تأتينى مانحة شفتيك لقبلاتى ؟ ماذا تبغين منى ؟ ما هذا الظمأ المخيف الذى تحاولين به جذبى الى ذراعيك المضناتين ؟ اذهبى عنى ! اذهبى .. ما انت الآن الا شبح من احببت ! عودى الى القبر الذى نهضت منه . دعينى انسى الى الابد ايام شبابى .. ويل لك أيتها المرأة الداكنة الاعين .. لقد طوى حبك المشؤوم ربيع حياتى ونضرة أيامى .. دعينى أومن — كلما ذكرتك — اننى كنت فى حلم تقضى ..

آلهة الشعر : عدىء من روعك، أجزع اليك . لقد بعثت نبراتك الرعدة فى نفسى .. ايها العزيز المحبوب ، يوشك جرحك أن يدمى من جديد . واحسرتاه ، أكان اذن بهذا العمق ؟ أما لآلام تلك الحياة أن تحت خطاها الى النسيان ؟ انس ما كان ، ونح عن نفسك اسم تلك المرأة الذى لا أريد أن أفوه به !

الشاعر : ويل لك ٠ لقد كنت أول من علمنى الخيانة ـ وقد ذهب بعقلى الرعب والغضب ـ علمنى صوتك ، وابتسامتك ، ونظرتك الخادعة : كيف أتنكر لكل سعادة ولو لم يكن منها الا الشبح ! لقد ألقى بى شبابك وسحر جمالك الى اليأس ٠٠ وأصبحت ـ وقد رأيتك تبكين ـ أشك حتى فى صدق الدموع !

ويل لك ! لقد كنت فى سذاجة الطفل ، كالزهرة يبللها ندى الصباح ، حتى تفتح قلبى لحبك ٠ وكان قلبا غريرا فخدعته آثامك٠٠ ولكم كان أيسر عليك أن تتركى له طهره ٠٠

ويل لك ! لقد كنت مصدر أول ما عرفت من ألم ، وعنك تفجرت دموعى ٠ ثقى انها ما تزال تتدفق وانها لن تجف ، وهى تجرى من جرح ليس له أن يندمل ٠٠ ولكنى سأغسل قلبى من هذا النبع المر وسأخلف به ـ ان صدقت آمالى ـ ذكرياتى البغيضة ٠٠

آلهة الشعر: كفى، ايها الشاعر، فما ينبغى أن تجرح يوما قضيته الى جانب حسناء خادعة ، وقد لمحت فيه سرابا من السعادة ٠ احترم حبك ما أردت أن تحب ٠٠ واذا كان من الشاق على ضعفنا البشرى أن نصفح عما يصيبنا الغير به من الم ، فلنوق أنفسنا لظى الحفيظة ٠ ان عز الصفح فليكن النسيان ٠ وكما يرقد الموتى الى أحضان الارض يجب أن يرقد ما همد من عواطفنا مخلفا رمادا ٠٠ رمادا مقدسا ما يجوز أن تمتد اليه يد بعدوان ٠ ثم خبرنى ، لماذا وقد أخذت تقص على نبأ بلواك الحارة لا تريد أن ترى فيما كان الا حلما تقضى أو حبا خاب ؟ أتحسب أن القضاء يصدر عن غير حكمة ؟ أتظن أن الله قد بلاك غير واع بما يفعل ؟ من يدرينا ، لعل بلواك سبيل نجاتك !؟

اذكر ـ أيها الطفل ـ انك مدين لها بتفتح قلبك ٠٠ والمرء طفل يهذبه الالم ٠ وما لنفس أن تفطن لمكنونها الا أن يصيبها الم قوى ٠ تلك نواميس الطبيعة القاسية ٠٠ ولكنها نواميس قديمة قدم القضاء المحتوم ، وما لنا من مناص عن أن يعمدنا الالم ندفع به ثمن ما نصيب من سعادة ٠٠ أما ترى النبت لا يقوى أو يبلله الندى ؟ ومثلنا مثله تغذينا الدموع٠ وقديما رمزوا للسعادة بشجرة محطمة كستها الزهور وندتها قطرات المطر ٠ الم تقل انك قد شفيت من جنونك ؟ انك بعد فى عنفوان شبابك ، مكتمل السعادة ، معززا اينما حللت ٠٠ ولى أن أسالك عما كنت فاعلا، لو انك لم تعرف البكاء ، عندما تختلس من الحياة مسراتها

العارضة ؟ أكنت تستطيع أن تقدرها قدرها ؟ أكنت تستطيع ان ترفع الكاس مشرق القلب وقد نادمك خل قديم فوق منبسط العشب ، والشمس آفلة للغروب ؟ أليس ذلك لانك عرفت الالم فقدرت السرور ؟ ثم كيف كنت تستطيع أن تحب الزهر والغياض والمروج ، وأن تطرب لاناشيد المعمدان وتغريد الطيور .. ثم ميكيل انجلو وسحر الفنون .. وشكسبير وآيات الطبيعة ؟ لا ، ما نعمت بكل ذلك الا لانك وجدت بها آثار الزفرات القديمة ! وكيف كان لك أن تفهم جمال انسجام السماء وصمت الليل وهمس المياه ما لم يسبق أن حملتك الحمى والسهاد – حيث كنت – على النزوع الى الراحة الابدية !؟

ثم أما تنعم اليوم بمحبوبة أخرى تسكن الى جوارها فى ظلمة الليل وقد وضعت يدك فى يدها فتزيد ذكريات آلام شبابك من عذوبة ابتسامتها !.. ثم أما تذهب معها كما ذهبت من قبل الى أعماق الغابات المزدهرة وفوق الرمال الفضية واشجار الحور وسط معبد الطبيعة ؟ أما تهديك السبيل اشباحها كما هدتك من قبل ؟ وعندما يغمرك القمر بشعاعه ، أما يتعطف بين أذرعك جسد جميل [illegible] آخر من قبل ؟ وهناك

لاقيت الحظ فى طريقك ، أما كنت تسير خلفه مغنيا من جديد ؟ ففيم الشكوى اذن ؟ لقد قوى الالم عود الامل فى نفسك . لم اذن تأبى الا أن تبغض ألم شبابك وقد جعلك ذلك الالم خيرا مما كنت ؟

ولدى العزيز ! ما اجدر تلك الخادعة برحمتك ، وان أسالت دموعك . ارحمها فهى امراة ، وقد اراد الله أن يلقنك سر السعادة الى جوارها وبما انزلت بك من آلام ! لقد كلفتها جسيما ومن يدرى ، لعلها احبتك صدقا . ولكنه القضاء شاء أن يحطم قلبك على يديها ! كانت على علم بكنه الحياة وقد علمتك اياه ، ثم احتضنت ثمرة آلامك حبيبة أخرى .. ارحمها فقد مر حبها كحلم حثيث .. لقد رأت جرحك داميا فلم تستطع له شفاء ! وانا اعلم – وارجوك أن تصدقنى – ان دموعها لم تكن كلها كاذبة .. ولو انها كانت كذلك لما اغناك ذلك عن واجب الرحمة وانت بعد تعرف كيف تحب !

الشاعر : حقا تقولين . ان البغض اثم ، ينساب فى نفوسنا انسياب الافعى فترتعد منا القلوب . اسمعى عنى آلهتى ، هذا قسمى أستشهدك عليه : بحق أعين تلك الحبيبة الزرقاء .. بحق صفاء السماء .. بحق تلك النجمة اللامعة التى تحمل اسم آلهة الحب « فينوس »

وقد اخذت تتوامض فى الافق كاللؤلؤة أصابتها رعشة خفية .. بحق جلال الطبيعة ورحمة الله .. بحق ضياء النجوم الساجى الذى يهدى عابر السبيل .. بحق الغياض والروض والغابات الملتفة .. بحق قوة الحياة وروح الوجود .. اقسم انى طارح عن ذاكرتى ما تخلف بها من آثار حب عاثر، مخلفا له وسط ظلام بعيد !

وأما أنت .. فها أنا أتركك بعد أن دعوتك غير مرة بارق الاسماء .. ولتكن ساعة فراقنا ساعة صفح شامل . ليصفح كل عن أخيه ، ولنفصم عرى ذلك السحر الذى ربط قلوبنا أمام الله . وها أنا أذرف بين يديك دمعة تصحب وداعى الاخير ..

والآن ، آلهتى المشرقة الجمال .. هيا بنا الى غرامنا . أسمعينى من نغماتك السارة كما سبق أن سمعت منك والحياة فى بدئها ..

ها هو العشب المعطر ينتفض لقرب الصباح .. فتعالى نوقظ حبيبة قلبى ، ولنذهب نجنى زهر الحديقة .. تعالى نرى الطبيعة الخالدة تطرح غلائل النوم .. فسنبعث معها الى الحياة عندما تبعث الشمس اول شعاعها

خطب الخالدين

◆ كان «مازينى» (١٨٠٥ - ١٨٧٢) من اعظم زعماء ايطاليا .. كرس حياته من اجل تحريرها وتوحيدها تحت حكومة جمهورية .. فما اشبه الدور الذى قام به بذاك الذى يقوم به ابطالنا اليوم .. وما اشبه جهاده بجهادهم .. وجهاد الشعب الايطالى الذى استجاب له فى اواسط القرن التاسع عشر ، بجهاد شعب وادى النيل فى أواسط القرن العشرين ..

وهذا خطاب القاه مازينى فى (ميلان) فى سنة ١٨٤٨ تخليدا لذكرى شابين شهيدين من المجاهدين الايطاليين ، اعدمهما الغاصبون النمسويون !.

◆ « عندما انتدبت لالقى عليكم فى هذا المعبد بضع كلمات لتخليد ذكرى أخويكم المجاهدين ، وزملائهما ممن استشهدوا فى « كوسينتزا »

خطر لى أن بعض المستمعين قد يهتف فى أنفة وكبرياء : « **فيم البكاء على الموتى ؟ ٠٠ انما خير ما يكرم به شهداء الحرية أن تكسب المعركة التى بدأوها ٠٠ فلننقض على الاعداء الاجانب ، وحتى تحين هذه اللحظة لا ينبغى أن تنبعث من بين شفاهنا سوى كلمات الحرب !** »

« غير أن فكرة أخرى قفزت الى ذهنى : « لم لم ننتصر ؟ ٠٠ لماذا تحتضر الحرية فى جنوب ايطاليا بينما نجاهد فى سبيل الاستقلال فى الشمال ؟ ٠٠ آه ، لو اننا هببنا جميعا فى فورة الفكرة التى مات من أجلها شهداؤنا ٠٠ ولو أن لواء ايمانهم القدسى تقدم شبابنا الى المعركة ٠٠ ولو اننا بلغنا وحدة الحياة التى كانت قوية فيهم، وجعلنا من كل عمل من أعمالنا فكرة ، ومن كل فكرة من أفكارنا عملا ٠٠ وتعلمنا منهم ان الحرية والاستقلال واحد ٠٠ وان الله والشعب ، والوطن والانسانية ، مصطلحان لا ينفصلان للوسيلة التى لا غنى عنها لكل شعب يكافح لكى يصبح أمة ٠٠ وان ايطاليا لا تستطيع أن تحظى بحياة حقة ، الا اذا صارت موحدة ، طاهرة فى حبها لجميع ابنائها ، عظيمة فى احترامها للحقيقة الخالدة ٠٠ اذن لكنا قد حصلنا اليوم على النصر لا الحرب !

« لقد نسينا فى نشوة انتصاراتنا الاولى ، وفى عدم تحوطنا للمستقبل ، الفكرة التى كشفها الله لاولئك الذين ذاقوا العذاب ، فعاقبنا الله لنسياننا بأن قلب انتصاراتنا هزيمة ٠٠ ان الحركة الايطالية يا ابناء وطنى ، حركة أرادها الله لاوروبا ٠٠ فانما نحن ننهض لنقطع على أنفسنا عهدا بالرقى الخلقى للعالم الاوربى ٠٠ ولكن ، لا الاوهام السياسية ، ولا عظمة الملك وعراقته ، ولا نظريات الاهلية والجدارة ، بمستطيعة أن تغير أو تجدد حياة الشعوب ٠٠ **فانما تعيش الانسانية وتتجدد بالايمان ، والمبادىء الجليلة هى النجوم الهادية التى ترشد أوربا الى المستقبل ٠٠ فلنتحول الى قبور شهدائنا نستلهم اولئك الذين ماتوا من اجلنا ، ولسوف نجد سر الفوز فى تمجيد الايمان ٠٠ ان ملاك الاستشهاد وملاك النصر شقيقان ، غير أن احدهما يتطلع الى السماء والاخر يطل الى الارض ٠٠ فاذا ما التقت أنظارهما بين الارض والسماء - وهو ما لا يتحقق الا مرة فى كل حقبة وعصر - حظيت الخليقة بحياة جديدة ، ونهض شعب من المهد أو اللحد ، ليؤدى رسالته ٠٠**

« ان ايمان اخوة اللواء (وهى جماعة الشباب المجاهد) يقوم على حقائق بسيطة لا مماراة فيها : الله والشعب ٠٠ الله فى قمة صرح المجتمع ، والشعب الذى يشمل

اخوتنا جميعا عند قاعدته ٠٠ الله ، الذى يرعانا ويرشدنا ٠٠ والشعب السادر فى الاجتهاد فى تفسير قوانينه وشريعته ٠٠

« ولا قيام لمجتمع حقيقى دون عقيدة مشتركة وهدف مشترك ٠٠ والدين يوضح العقيدة والهدف ٠٠ والسياسة تنظم المجتمع فى سعيه العملى لتحقيق هذه العقيدة ، وتمهد الوسائل لاصابة هذا الهدف ٠٠ وكما انه لا توجد فى السماء سوى شمس واحدة للارض جمعاء ، فكذلك ليس هناك سوى قانون واحد لكل أولئك الذين يعمرون الارض ٠٠ فالقانون الذى يحكم المخلوق ، والقانون الذى يسود الانسانية مجتمعة ، سواء ٠٠ وما خلقنا لنستغل مواهبنا الفردية كما نهوى - فان مواهبنا وحريتنا وسيلة لا غاية - وانما خلقنا لنكرس وجودنا فى الكشف عن قسط من القانون الالهى ، ثم نطبقه بقدر ما تسمح لنا ظروفنا وقوانا ، وننشر حبه والمعرفة به بين اخوتنا ٠٠

« انما نحن فى الارض لنجاهد معا فى أخوة لبناء وحدة الاسرة الانسانية ٠٠ وقد منحنا الله التقاليد وصوت ضمائرنا لنستعين بهما فى بحثنا عن الحقيقة ٠٠ فكل مايتعارض معهما خطأ ٠٠ وليس من تضحية تجل من أجل تحقيق الانسجام والوئام بين ضمير الفرد وضمير الانسانية ٠٠ فما الاسرة ، والمدينة ، والوطن ، والانسانية ، سوى مجالات متباينة ، نمارس فيها نشاطنا وقوة تضحيتنا فى سبيل الهدف الاعظم ٠٠ وان الله ليرقب من عليائه التقدم الذى لا محيص للانسانية من أن تحرزه ، ويبعث من آن الى آخر عظيما فى العبقرية ، أو فى الحب ، أو فى الفكرة ، أو فى العمل ، ليكونوا رسلا يهدون الى حقيقته ، ويرشدون الجمع فى سيره ٠٠

« وما الحب ؟ ٠٠ ما الحب الا انطلاق النفس محلقة نحو الله ٠٠ **فليحب كل فرد اسرته ، وشريكة حياته ، وأولئك الذين يحيطون به ، المتأهبين كى يشاطروه المسرات والاحزان ٠٠ أحبب الميت الذى كان عزيزا لديك وكنت عزيزا لديه ٠٠ ولكن ، ليكن حبك كذاك الذى بشر به دانتى ٠٠ حب النفوس والارواح المشتركة فى الطموح ٠٠ ان الحب هو أن تعطى وان تأخذ العهد للمستقبل ٠٠ وقد منحنا الله الحب ليتيح للنفس المثقلة أن تعطى وان تتلقى العون فى سبيل الحياة ٠٠ فطهروا انفسكم ، وقووها ، وهذبوها بالحب ٠٠**

« **أحبوا وطنكم** ٠٠ انه الدار التى منحكم الله اياها ٠٠ انه اسمكم ، ومجدكم ، ورمزكم بين الناس ٠٠ فهبوه أفكاركم ، وآراءكم ٠٠ ودماءكم ٠٠ ارفعوه ، جليلا جميلا كما دعا من

قبل عظمائنا ، واحرصوا على أن لا تدعوه مشوبا بأى أثر للتزييف أو العبودية أو الانتقاص ٠٠

« **واحبوا الانسانية ٠٠** فانما منحكم الله بلدكم مهدا ، والانسانية اما ، ولن يقدر لاى منكم أن يحب أخاه فى المهد حق الحب ، مالم يحب الام المشتركة بينهما ٠٠ ان وراء الالب ، ووراء البحر ، شعوبا تقاتل أو تتأهب لخوض القتال المقدس من أجل الاستقلال ، والقومية ، والحرية ٠٠ وشعوبا أخرى تكافح لتصل الى نفس الغاية بطرق أخرى ٠٠ بالتطور ، والتعاون ، واقامة سلطة تضع حدا للفوضى الخلقية وتعيد الارتباط بين الارض والسماء ٠٠ فاتحدوا معها ، تتحد معكم ٠٠ لا تلتمسوا معونتها حيث تكفى سواعدكم للغلبة ، وانما قولوا لها ان الساعة لن تلبث أن تحين قريبا ، ليشب صراع رهيب بين الحق والقوة الغشوم ، وانكم فى هذه الساعة ستقفون دائما الى جانب أولئك الذين يرفعون نفس اللواء الذى ترفعون ٠٠

« **واحبوا – أيها الشباب – المثل الاعلى ووقروه** ، فان الكمال كلمة الله ٠٠ ان فوق كل دولة ، وفوق الانسانية ، تقوم دولة الارواح ، ومدينة النفوس ، حيث يتآخى كل من يؤمنون بقوة الفكر ومناعته ، وبكرامة نفوسنا الخالدة وحصانتها ٠٠ والاستشهاد يبارك هذه الاخوة ويطهرها ٠٠ ومن هذا العالم السامى العلوى تنبعث المبادىء التى تخلص الشعوب ٠٠ **فانهضوا من اجل هذه المبادىء ، ولا تكن نهضتكم نهضة الذى امضه العذاب ، أو الذى اثاره الشر ٠٠ اذ ان الغضب ، والزهو ، والطموح ، والرغبة فى الرخاء المادى اسلحة مشتركة لدى الشعوب ولدى غاصبيها ، ولو انكم استطعتم الغلبة اليوم بها ، فلن تلبثوا ان تنهاروا فى الغد ٠٠ اما المبادىء ، فملك للشعوب وحدها ، ولا يمكن لغاصبيهم أن يجدوا من الاسلحة ما يقاومها ٠٠**

« بمثل هذه الكلمات ايها الشباب يحدثكم شهداء كوسينتزا لو انهم كانوا أحياء بينكم ٠٠ وانى لادعوكم هنا ، حيث تحوم أرواحهم حولنا يحدوها حبنا ، ان تدخروها فى قلوبكم ، وان تتخذوها كنزا تستعينون به وسط العواصف التى لا تزال تتهددكم ٠٠

والله معكم !

بنك مصر

أسس شركاته الكبرى التى وطف بها خصائص البلاد واستخل مرافقها فإذا بها الدعائم التى قام عليها التصنيع القومى فى البلاد وكانت السياج المنيع للتحرر الاقتصادى منذ ٣٣ عاما فدل على الكفاية المصرية وتفوق العقل المصرى فى مضمار الحياة العملية

النقد الفنى

◆ النقد الفنى النزيه من أهم عوامل رقى الفنون وازدهارها . وللنقد فى كل بلد مكانة سامية معترف بها من اهل الفن جميعا .. وقد آن ان يكون لنا فى مصر فى نهضتها الجديدة نقد فنى نزيه لا يتاثر باى عامل من العوامل غير مصلحة الفن والفن وحده .. لذلك يسر « كتابى » أن يضطلع بهذه الرسالة فيقدم لك هذا الباب ليكون دليلك المخلص فى كل ما يتعلق بفنون المسرح والسينما والاوبرا والنحت .. الخ .. وان ضاق نطاق هذا العدد عن نشر الكثير مما أعد لهذا الباب وموعدنا به العدد القادم

◆ نحن الآن فى عز الموسم الفنى للقاهرة والاسكندرية – فقط لاغير، اذ أن الاقاليم المصرية وعواصمها ما زالت بعيدة كل البعد عن هذا النشاط الذى يترى على عاصمتى الجمهورية من معارض الفن وأنديته ومهرجاناته ، وليالى المسرح والفرق الاجنبية التى يتراءى لها أن تزورنا بين الحين والحين ..

أقول ما زال ريفنا المصرى فقيرا فى فنه .. ولا ندرى الى متى .. ولكن مع كل هذا لا أعتقد أن الامر سيطول عليه ، **بل اعتقد ان سياسة يجب أن ترسم لنشر الثقافة الفنية فيه باقامة معارض متنقلة ومهرجانات فنية فى المناسبات التقليدية الهامة فى عاصمة كل اقليم ، فى مساحة ولو صغيرة يقيم عليها مجلسه البلدى مسرحا حديثا ..**

ولا أظننى مبالغا حين أقترح وألح فى المطالبة بأن نقيم مهرجانين للسينما أحدهما فى الاقصر ، والآخر فى الجيزة ، بقرب مشارف أهرامها !

النحت

◆ **وقبل** أن نجول جولتنا حول الفن أحب أن أقف لحظة ، لاترحم على « مختار » مثال مصر العظيم ، فبعد أيام معدودة تمر ذكراه العشرون .. وجمعيات الفن عندنا غافلة عنه حتى الآن .. **وحتى مسابقة مختار**

«كاتمة الاسرار» للمثال الخالد «مختار» (تصوير: انيس رزق الله)

السنوية توقف المسئولون عن اقامتها منذ سنتين ، ولم يتابعوا رسالة نصيرة الفن هدى هانم شعراوى ، رغم ان هذه المسابقة قد خلقت اجيالا من المثالين !! ..

شيء واحد يعزينى هو ان آنسة مصرية جامعية - هى الآنسة « لبنى عبد العزيز » تقدمت لاول مرة فى تاريخ مصر الحديث برسالة جامعية الى الجامعة الامريكية عن « مختار » أول مثال مصرى حديث ، لمناسبة ذكراه العشرين !

الباليه

◆ **ولننتقل** الى أجواء دار «أوبرا» القاهرة لنسهر بعض لياليها ، حيث قدمت برنامجين مختلفين لفرقة الباليه اليوغوسلافى ، الذى قدم مصر لاول مرة ، عرضت خلال كل منهما اكثر من ١٥ رقصة مختلفة اشترك فيها نحو خمسين راقص وراقصة ، والرقصات كلها محصورة فى الفن الشعبى الراقص الذى فيه شبه غريب بجو الشرق ، من ألبانيا واليونان وتركيا .. **حتى فى نغم المزمار التركى ، او قرع الطبول ، أو الملابس اللامعة الزاهية الالوان ذات الزخرفة الدقيقة والتى تغطى الراس والعنق وكل الجسم حتى اليدين والساقين .. ثم الجو اليوغوسلافى التقليدى : وحشة الجبل ، وحركة الرياح والعشب الجاف ، وقسوة الطبيعة ، يتوج كل هذا مرح صاخب يحتفظ مع ذلك بالخفر الشرقي والحياء !**

الاوبرا

وتذهب فرقة الباليه اليوغوسلافى الى الاسكندرية لبعض ليال .. وتخلو أوبرا القاهرة لفرقة « الاوبرا الايطالية » لتقدم الينا ١١ أوبرا خالدة من بينها «كارمن» و « أندريه شينيه» ، و«عايدة» ، و«بلياتشى» ، و«الصديق فريتز» و«صيادو اللؤلؤ» و «لاترافياتا» والباليه «بوليرو» . ويقوم بأهم الادوار التينور «جينو بيكى» و «أنتونيو أنالورو» - زوج السيدة أمينة البارودى - وهذه الاوبرات العالمية تعتمد الى حد كبير على موسيقى وتلحين كبار الخالدين أمثال «بللينى» و «فردى» و «بيزيه» و «روسينى» و «منوتى»

المغنى العالمى «اماتو» وزميلته المغنية « كالفيه » فى دورهما باوبرا كارمن

لقد وصل أخيرا..

بان ستيك

Pan-Stik

الماكياج كريم المدهش الذى لم تستعملى مثله من قبل !..

ابتكر خصيصا لكواكب السينما ولك...

ماكس فاكتور هوليوود

Max Factor Hollywood.

من سبعة ألوان باهرة توافق لون بشرتك !.

٦٤

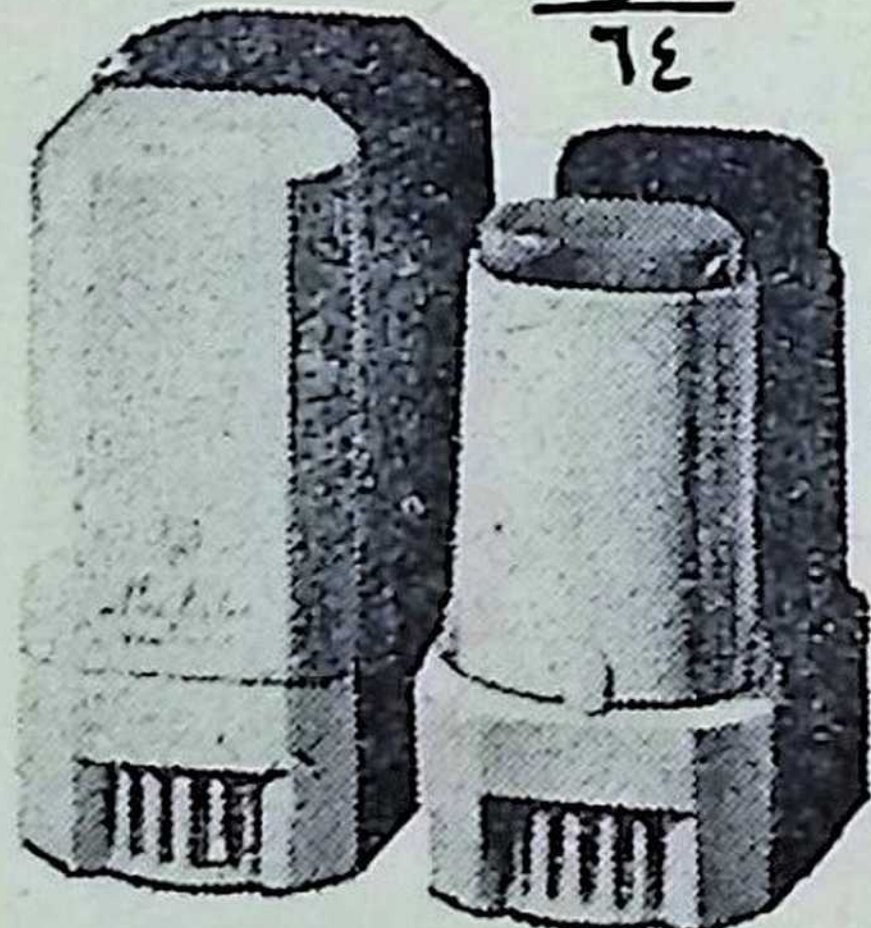

ديبورا كير
كوكب فيلم م.ج.م الملون
غرام الاميرة
بسينما مترو

والآن .. اليك ياسيدتى ... أحدث طريقة ابتكرت فى هوليوود لتكسبك فى الحال جمالا باهرا خلابا... إنه «بان ستيك» ماكياج - كريم الجديد ... إنقلاب ثورى فى عالم الماكياج وهو كاول إكتشاف لأحمر الشفاه...

سوف تبدو ملامحك نضرة وكأنك ولدت من جديد وستشعرين بان بشرتك قد اكتسبت طراوة فائقة ونعومة لا تكاد تصدق...

وطريقة إستعمال «بان ستيك» فى غاية السهولة وتنتهى عملية الماكياج بسرعة... فبان ستيك خفيف يدوم طويلا وثابت ويناسبك تماما... وهو يختلف إختلافا تاما عن كل أنواع الماكياج التى إستعملتها من قبل...

سوف تغرمين به من اول مرة

• بان ستيك علامة مسجلة هو الماكياج كريم - ماكس فاكتور هوليوود

سهل الاستعمال كأحمر الشفاة !

يباع فى جميع المحلات الكبرى ومخازن الأدوية والصيدليات ومحلات العطور

الموزعون : ناديكو الشركة الاهلية للتوكيل والتوزيع

فيتا وشركاه ش.ت ١٠ القاهرة ـ س.ت ٣٣١٣

وقد كانت مناظر الاوبرات بصفة عامة فخمة مدروسة فى أدق تفاصيلها، الا فى ظهور دفتر تليفون ضخم مكتوب عليه اسم محل تجارى مشهور فى القاهرة وضع فى الفصل الثانى من الاوبرا الوطنية «اندريه شينيه» بدلا من كتاب قانون الثورة !! ولكن هذه هنة بسيطة أصلحت فى الليلة الثالثة من التمثيل .. اما الحركة والضوء والتوزيع على المسرح فكانت موفقة جدا ، وكم احب ان يقتبس أهل المسرح عندنا بعض هذه العناية بالمناظر وبالتنسيق والدراسة ، مع مراعاة اختلاف المسرحية عن الاوبرا الى حد ما بطبيعة

((جين سيمونز)) .. شاهدتها القاهرة فى اكثر من عشرة افلام هذا الموسم !

الحال ..

وبهذه المناسبة ، لا أدرى لأى سبب لم تحاول الدولة حتى الان احياء فكرة انشاء الباليه المصرى. ولهذا الحديث عودة فى العدد القادم

السينما

◆ وابدأ الآن بالكتابة عن الافلام العالمية التى رأتها مصر فى الاسابيع الاخيرة ، ومن بينها فيلم « الرداء »

و «الرداء» ، أول فيلم طويل « سينماسكوب » ، أخرج فى العالم .. وقد أراد منتجه «فرانك روس» أن ينافس السينما المجسمة (ذات الابعاد الثلاثة) فادخل عليها البعد الرابع ، وهو الصوت المجسم ، فكأنك وأنت تشاهد الفيلم تعيش فيه كأحد أفراده ، تسمع ذات اليمين واليسار .. وتلتفت خلفك أحيانا لتسمع مايقال ! والسينما سكوب تحتاج الى دار للسينما خاصة .

و « الرداء » فيلم مبنى على فكرة دينية حول صلب المسيح والرداء الذى خلع عنه .. وكاغلب افلام السينما يجب ان تكون فى حوادث الفيلم قصة غرامية ، وهذا ماكان فعلا .. مع تحوير للقصة التى اخذت من المؤلف الروائى المشهور لويد دوجلاس .. وقد قام بالتمثيل : جين سيمونس وريتشارد بيرتون وفيكتور ماتيور فنجح الثلاثة فى أداء أدوارهم. وتدور القصة بين روما القديمة وفلسطين ، وتظهر فيها شخصيتا المسيح ويهوذا .. كما يخرج المخرج بعض مناظر جزيرة كابرى القديمة.

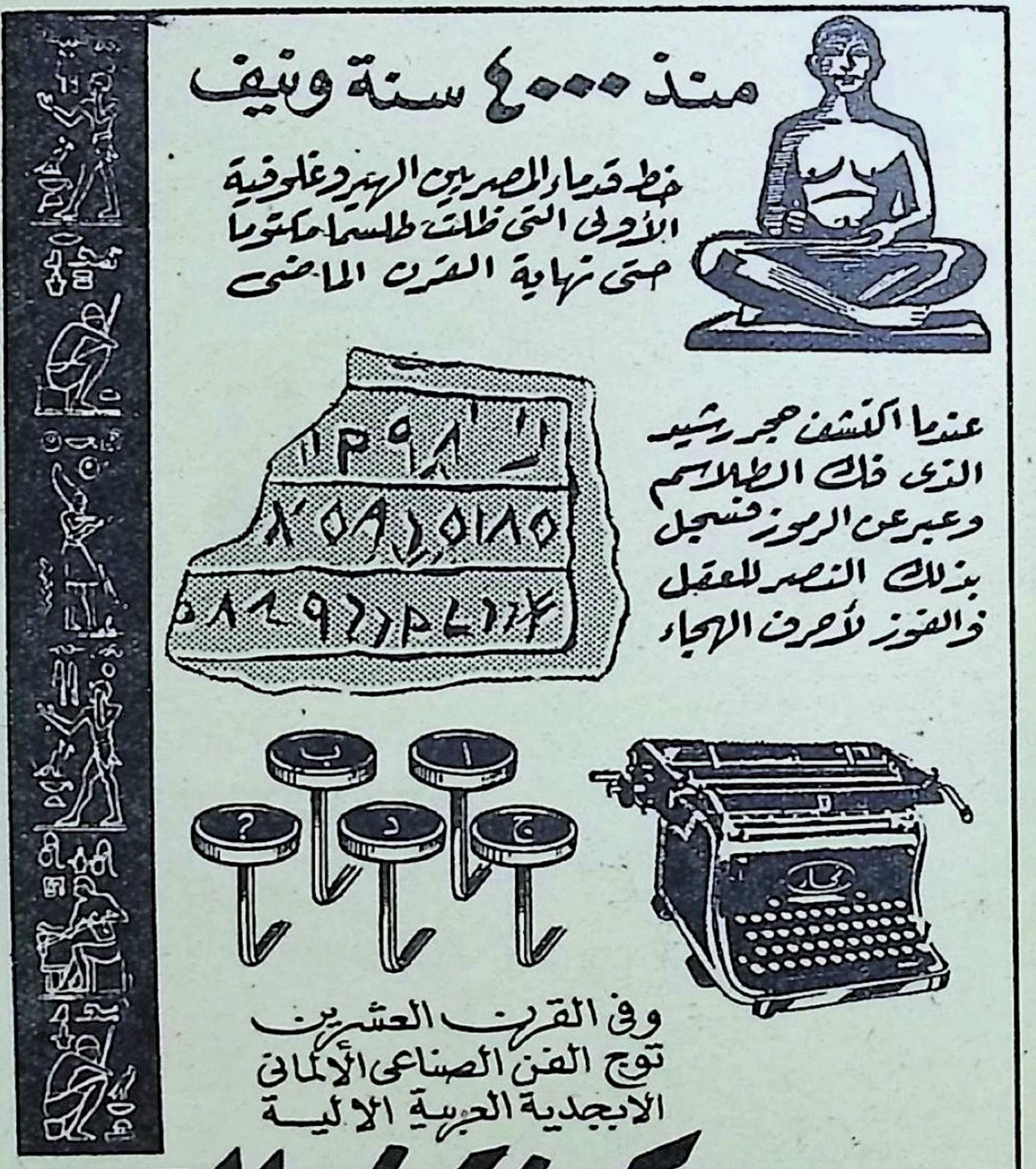
منذ ٤٠٠٠ سنة ونيف
خط قدماء المصريين الهيروغلوفية
الأولى التي ظلت طلسما مكتوما
حتى نهاية القرن الماضي
عندما اكتشف حجر رشيد
الذي فك الطلاسم
وعبر عن الرموز فسجل
بذلك النصر للعقل
والفوز لأحرف الهجاء
وفي القرن العشرين
توج الفن الصناعي الألماني
الابجدية العربية الآلية
بماكينات
الكونتيننتال
الوكلاء الموزعون للشرق
محلات النجار
٦٢ شارع ابراهيم باشا بالقاهرة

وليس من الغريب اذن ، بعد نجاح فيلم الرداء وطريقة السينما سكوب، أن يقرر المنتجون فى هوليوود أن يتخلوا قليلا عن فكرة السينما المجسمة ليخرجوا هذا العام ١٥ فيلما على طريقة السينماسكوب ، التى أعتقد أن المستقبل لها وللسينمارااما فى الخمس سنوات القادمة .

◆ **قلوب الناس :** تمثيل فاتن حمامه ، أنور وجدى ، حسين رياض ، واخراج حسن الامام .. الفيلم مقتبس . يحكى حكاية ابنة لا تعرف أباها منذ مولدها .. ثم تشاء حوادث الفيلم أن يقابل (أنور وجدى) — صاحب الكباريه ورئيس والدها — البارمان (حسين رياض) على أنه أبوها .. ومن ثم تكتشف الحقيقة بعد أن تتعلق الفتاة بأنور وجدى .. تمثيل فاتن حمامه وحسين رياض فوق المتوسط بالنسبة للافلام الامريكية . غير أنه من الممكن الاختصار فى حوادث القصة وعدم المبالغة فى لقطات الرقص المحشورة باسراف . والفيلم (**متوسط**)

◆ **يوليوس قيصر :** احتفلت شركة مترو جولدوين ماير فى الاسبوع الماضى بعرض سبعة أفلام منها « يوليوس قيصر » — كل فيلم

كتاب البحث الطبى

فى الامراض البولية والتناسلية المستعصية وتضخم البروستاتا التى هى سبب العلل فى جسم الانسان وطريقة علاجها بجهاز فهجر الذى لا يستعمله الا مخترعه **مؤلف هذا الكتاب الدكتور فهمى جرس فهجر ٧٨ ش ابراهيم باشا ت ٥٦٢٠٤ ويطلب من المؤلف - الثمن ٥٠ مليما**

مع الباعة : أروع المسرحيات الغنائية فى كتاب

الاوبرات العالمية

عايدة ، كارمن ، سالومى ، مينون ، تاييس ، توسكا ، فاوست ، أرفيو وايريديس ، حلاق أشبيلية لوتشيا دى لاميرمور ، مدام بترفلاى، فيديليو ، لاترافياتا، التروفاتورى

هاشم وفرحات ٢٤٥ شارع الملكة عمرة
تليفون ٧٤٥٠٦

ليوم واحد – وذلك لمناسبة مرور ٣٠ عاما على انشائها .. و«يوليوس قيصر» فيلم غير ملون وهذا أمر غريب بين تيار المنافسة الحالية . الا أن اعتماد شركة مترو جولدين ماير على قوة مسرحية شكسبير ، التى بنت عليها الفيلم وحواره هو الذى كفل له النجاح فى رأيى .

ويحكى الفيلم بالطبع قصة روما قبل الميلاد بأربعين سنة ، وكيف قتل بروتس يوليوس قيصر ، ثم انتصار انطونى صديق قيصر على بروتس .. والتمثيل رائع ، والمناظر متوسطة ، والحوار ممتاز بعد تبسيطه عن لغة شكسبير . ويلاحظ أن الفيلم خلا تقريبا من النساء . وحتى البطلتين الزوجتين لم تظهرا فى القصة اكثر من دقائق معدودة . ومستوى الفيلم (جيد) .

المسرح

◆ ولننتقل الى خشبة المسرح المصرى عندنا .. وكنت أود أن أقدم شيئا قليلا أو كثيرا عن روايتى الفرقة الحكومية – بشعبتيها – اللتين قدمتهما فى الشهر الماضى الا ان عدم نجاحهما شجعنى على أن اختصر واختصر كثيرا فى الكلام عن المسرح عندنا .. والى العدد القادم ارجو ان اقدم شيئا .. ولو قليلا !

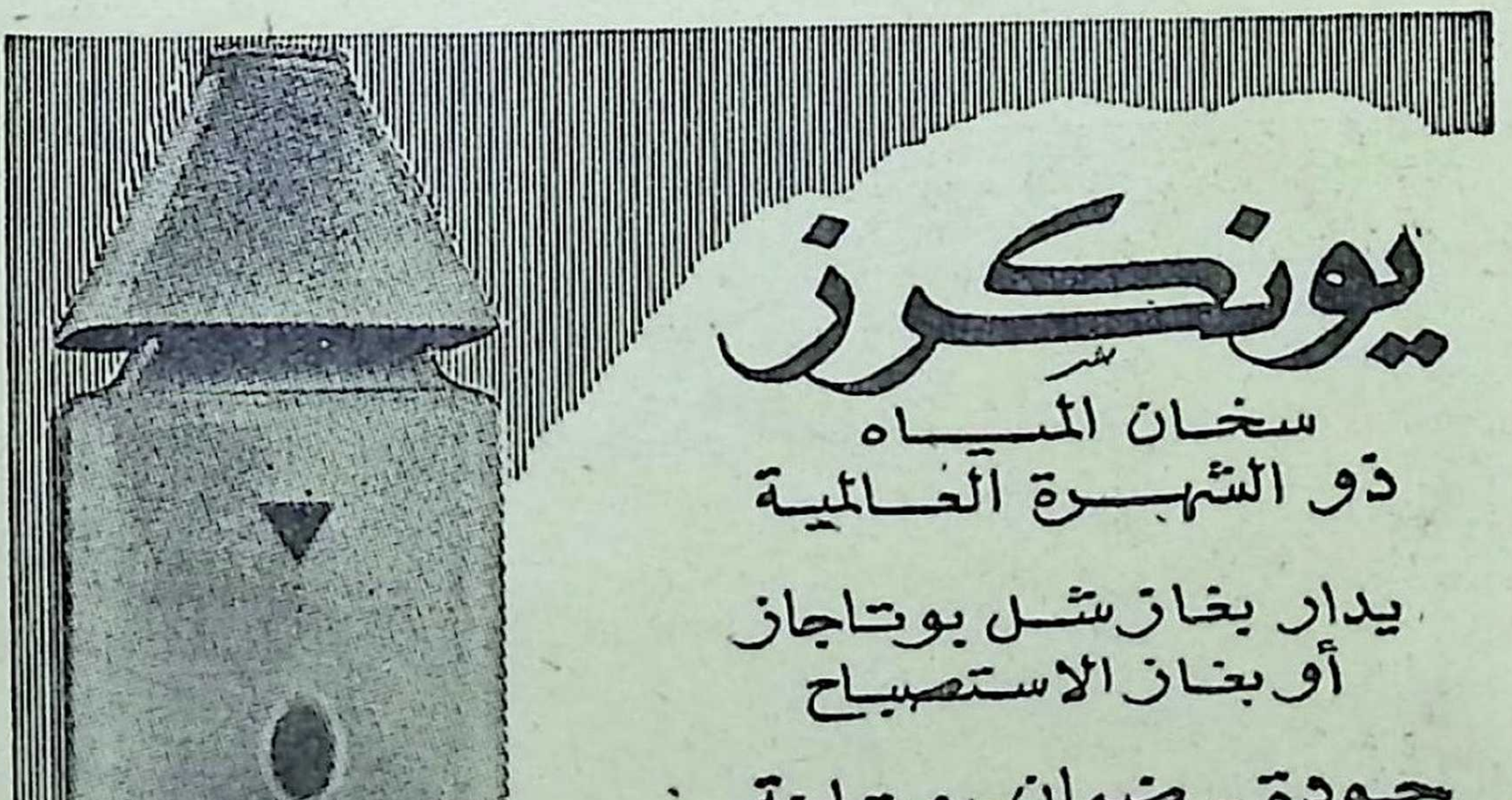

سكك حديد الحكومة المصرية

تشغيل سيارات نقل سريعة

يسر مصلحة سكك حديد الحكومة المصرية أن تعلن الجمهور أنه ابتداء من أول فبراير سنة ١٩٥٤ قد تم تشغيل سيارات سريعة ما بين :

مصر « مكتب الازهر » وبضائع مصر والسويس وبالعكس لنقل الطرود بالشحنة الغير كاملة وبأجور مخفضة .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة العدد	٧
رجل له ماض : قصة مصرية للمحرر	٩
ابواب الحب المغلقة : (كتاب علم النفس)	٢٧
هرناني : قصة تمثيلية كبرى لفيكتور هوجو	٥٧
مستقبل زوجك فى يدك : كتاب الشهر ، لزوجة الكاتب العالمى ديل كارنيجى	٧١
الحب والجريمة تحت سماء فلورنسا : من مآسى التاريخ الكبرى	٩٣
البوهيمية : (قصة الحياة والحب فى الحى اللاتينى) لهنرى مرجيه ، تلخيص الاستاذ محمد بدر الدين خليل	١٠٣
رسالة الغفران : لابى العلاء المعرى (تلخيص الدكتورة بنت الشاطىء)	١٢١
حياة جورج صاند : اندريه موروا	١٤٥
ابو نواس : (كتاب «العقاد» الجديد ، تلخيص الاستاذ انيس منصور)	١٦٩
ليلة اكتوبر : لالفريد دى موسيه (ترجمة الدكتور محمد مندور	١٨٢
خطب الخالدين : خطاب تاريخى للزعيم الايطالى «مازينى»	١٨٧
النقد الفنى : (للسينما والمسرح والاوبرا)	١٩١

صورة ص ١٦٧ : «الحرية» تقود الشعب!

عن لوحة رائعة للرسام الفرنسى الشهير يوجين ديلاكروا (١٧٩٨ - ١٨٦٣) بمتحف اللوفر

استفتاءا «كتابى»

بالرغم من انتهاء فرز ردود القراء الاعزاء الذين اشتركوا فى استفتائى «كتابى» المنشورين فى العددين السابقين ، فقد حال ازدحام العدد بالمواد دون نشر الردود الفائزة بالجوائز ، وهى تشغل عدة صفحات . وموعدنا بها وباسماء الفائزين فى العدد القادم

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

ميمى ! لوحة فوتوغرافية من تصوير « مسز ايفى م. هيل»

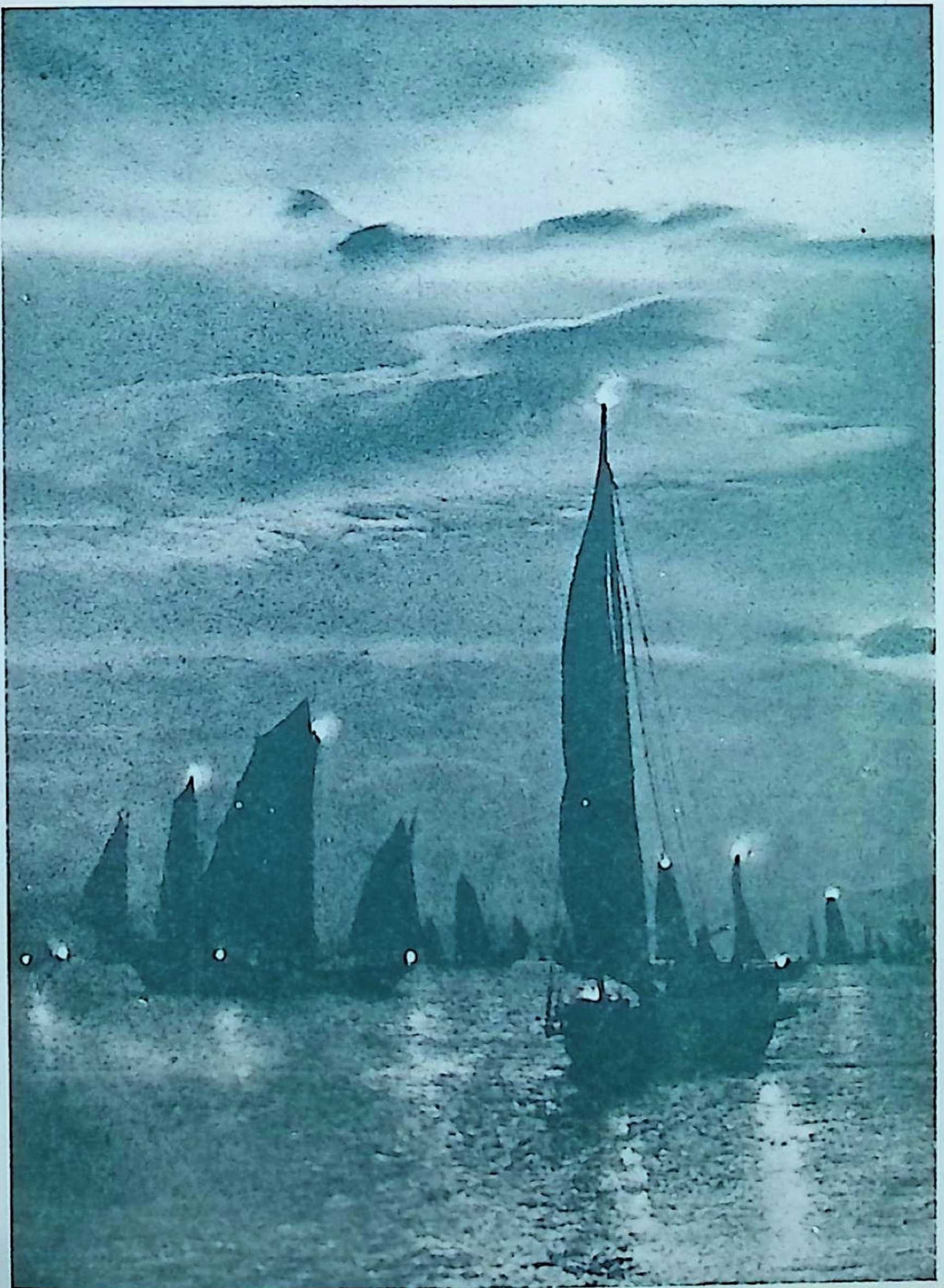

شروق القمر .. لوحة للمصور الصينى «لوك لو» (هونج كونج)

ترقب..
يوم ١٤ مارس
غاندي
شكسبير
ايلنشتين
الامبراطورة كاترين
كليوباترة
لينين
بيرون
موزار
ماركوني
اديسون
برنارد شو
كل هؤلاء..
وعشرون غيرهم من عظماء العالم
القدماء والمحدثين
كتب قصص حياتهم الشائقة بأرشق أسلوب
الكاتب العالمي ذائع الصيت
ديل كارنيجي
في كتاب واحد طويل
تقدمه لك قريباً بنصه الحرفي الكامل
مطبوعات كتابي
في كتابها الثالث
أروع من "قصة مدينتين"، و"ذات الثوب الأبيض"
مطبوعات كتابي
يصدرها: حلمي مراد